

للبلاغة

الجزء الثالث

بقلم

حامد عوني

الأستاذ بكلية اللغة العربية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على خير الناطقين بالضاد من ولد عدنان محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد : فهاهى ذى مذكرة البلاغة لطلاب السنة الثالثة الثانوية للمعاهد الدينية ، تحريت فى وضعها الدقة فى استيعاب ماقرر عليهم من مباحث السعد ، مع اضافة مالا غنى عنه من آراء الشراح ، وأحسبنى قد صادفنى بعض التوفيق فى عرض المسائل عرضا واضحا ، مبسط المعنى ، منسجم الترتيب يتلاءم مع الدراسات الأزهرية الحديثة — وقد عنيت بالمسائل المختلف فيها بما جعلها أسرع الى العقل من المتفق عليها ، وما كان لى أن أجتزىء بما أوردوه من أمثلة قصدا الى زيادة الايضاح ، ولامداد النفس بنوع من الترفيه والنشاط — الى ما وضعته فى ختام كل مرحلة من اختبارات وتطبيقات منوعة الأساليب بعضها مجاب عنه ، وبعضها مطلوب جوابه ليكون الطالب على ذكر دائما من قواعد العلم ومسائله .

والله سبحانه أسأل أن يثيبنى من فضله بقدر ما بذلت من جهد انه نعم المجيب .

حامد عونى

تمهيد

بنشأة علوم البلاغة وتدرجها ، والمامة ببعض أمهات الكتب المؤلفة فيها ، والتعريف بالخطيب القزوينى ، وبسعد الدين التفتازانى .

اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل لكل أمة لغة تتفاهم بهـا ، ولسانا تؤدى به مطالبها . قال تعالى : (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) . وكان من سنته أن جعل بين الأمة ولغتها صلة فى الرفعة والانحطاط ، والموت والحياة ، تلك سنة الله فى خلقه .

واذا كان لســـان المرء أحد أصغريه المقومين له ، ونصفه المنضم الى فؤاده ليكونا وحدته ، فالأمة كذلك لسانها أحد أصغريها ، ونصفها المتمم لوجودها .

ومن ثم ندرك سر عناية الأمم بلغاتها ، ونشاطها فى ذيوعها . وان فيما تفعله الأمم القوية بين أظهرنا — من نشر لغاتها ، وفتح دور العلم ، وتشجيع الناس ببذل الجوائز والهدايا على الاقبال عليها — لشاهدا ناطقا بأن اللغة عنوان الأمة ، وبأن رقيها وامتداد ظلها رقى للأمة ، وامتداد لسلطانها .

على هذه السنة أرسل الله نبيه الكريم الى الناس بلسان عربى مبين ، وأنزل عليه بهذا اللسان كتابا يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ، فدعا الناس الى توحيد الله تعالى ، والعمل بشريعته ، فآمن به من هداهم الله بنوره من العرب وغير العرب ، وتكون من هؤلاء جميعا تلك الأمة المحمدية التى ربط بعضها ببعض ذلك الدين الذى ارتضاه

الله ، وذلك اللسان العربى لسان الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وقد بارك الله فى الذين آمنوا بالنبى ، فنما عددهم وتزايد جمعهم، وانسابوا فى بقاع الأرض ترحل معهم لغتهم فى كل مرتحل ، وتلاحقهم فى كل موطن . وقد تآخى العرب والعجم ، وامتزج هؤلاء بأولئك ، فجرت كلمات غريبة من غير اللسان العربى فى أفواه العرب ، كما غزت العربية ألسنة من عداهم ممن دخلوا فى دينهم وتقربوا الى لغتهم .

عند ذلك لوحظ اعوجاج فى ألسنة بعض العرب نتيجة لهذا الاختلاط والتداخل ، فخاف الحرصاء على اللغة أن تفسد ملكة العربية ، ويضطرب لسانهم من جراء هذا الاندماج ، فوجهوا عنايتهم الى اللغة ، فجعلوا منها علوما تستنبط قواعدها ، وتقرر قضاياها ليتحامى العربى بتعلمها مزالق الخطأ ، ويسير غيره على محجة الصواب — وجهوا عنايتهم أول ما وجهوها الى ما يحفظ هذه اللغة من جهة الاعراب والبناء ، وهو ما عرف بعد « بالنحو » ، ثم الى ما يحفظها من جهة تصريفها وبنيتها ، وهو ما عرف « باسم الصرف » ثم الى ما يحفظها من جهة مادتها ، وهو ما عرف باسم « متن اللغة » ، فكان ذلك أول ما حدث من تدوين العلوم اللسانية ونشأتها .

ثم وجه العلماء عنايتهم الى ما عرف باسم « علوم البلاغة » دفاعا عن القرآن الكريم من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف ، وبراعة الأسلوب ، وبديع الايجاز .

وكان مما حفزهم الى ذلك مسألة البحث فى اعجاز القرآن الكريم من أى جهة هو ؟ — أمن جهة اشتماله على مغيبات صح الاخبار بها بعد؟ أم جهة الصرفة، وهي: صرف الله العرب عن معارضته مع يسرها عليهم تسكينا لنبيه وتصديقا له ؟ أم من جهة مخالفة أسلوبه لأسلوب الشعر والرسائل ؟ أم من جهة جودة النظم وقوة التأليف ، والسمو

بالبلاغة الى الحد الذى لم يستطع عنده أحد من البشر أن يحاكيه أو يمنى نفسه بذلك ؟

وكان الحق من ذلك كله آخر هذه الأقوال ، وهو ما ارتضاه عامة العلمـاء ، واعتنقه جمهور المسلمين ، ومنذ اعتناقهم له أخذوا يبحثون عن معنى الفصاحة والبلاغة والفرق بينهما ، وعن سر هذه المزايا والخصائص التى ظهرت فى نظم القرآن وتأليفه ، وكيف كانت له هذه الجزالة التى أخرست الألسن ، وأعجزت أساطين البيان ، فنشأت عن ذلك مباحث الفصاحة والبلاغة ، وأخذوا يدونون فيها .

ولم يكن دون فيها اذ ذاك كتاب مستقل يضع ضوابطها ، ويضبط عامة أصولها وقواعدها بل كان كل ما عرف من ذلك رسائل وجيزة أثرت عن بعض العلماء ردا على سائل ، أو افادة لمستفهم على نحو ما كان من أبى عبيدة على ما سيأتى ، وعلى نحو ما كان من المبرد حين قصد اليه الفيلسوف أبو يعقوب يوسف الكندى الى آخر ما جاء فى هذه المسألة (١) .

ثم أخذت مسائل هذه العلوم طريقها الى النمو والظهور على ألسنة الرواة والمتأدبين فى غير نظام ولا احكام ، شأن كل جديد ناشىء ، حتى جاء أبو عبيدة المتوفى سنة ٢٠٦ هـ فوضع كتابه « مجاز القرآن » على اثر سؤال وجه اليه فى مجلس الفضل بن الربيع وزير المأمون عن معنى قوله تعالى : (طلعها كأنه رءوس الشياطين) وكيف يشبه الطلع برءوس الشياطين وهى لم تعرف بعد ؟ أى وينبغى أن يكون التشبيه بشىء قد عرف حتى يتبين الشبه ويتضح . فأجاب أبو عبيدة : انما كلمهم الله على قدر كلامهم ، وهو على حد قول امرىء القيس :

---

(١) هى أنه ذهب اليه فقال : انى لأجد فى كلام العرب حشوا فقال : فى أى موضوع وجدت ذلك ؟ فقال أجدهم يقولون : عبد الله قائم ، ثم يقولون : ان عبد الله قائم ، ثم يقولون : ان عبد الله لقائم ، فالألفاظ مختلفة والمعنى واحد فأجاب أبو العباس : بل المعانى مختلفة فالأول اخبـار عن قيامه ، والثانى جواب عن سؤال سائل ، والثالث جواب عن انكار منكر ا هـ . وهذا ما اصـطلح العلماء فيما بعـد على تسميته « أضرب الخبر » .

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال؟

يريد أن المشبه به هنـا غير معروف كذلك ، وأن الغرض من التشبيه فى الآية والبيت عرض المشـبه وابرازه فى صورة مستفظعة مخوفة ، والعرب تشبه قبيح الصورة بالشيطان أو الغول ، فيقولون : كأنه رأس الشيطان ، أو كأنه وجه الغول وان لم يروهما لاعتقادهم أن كلا الشيئين شر محض ، لا يخالطه خير ، فيطبع فى مخيلتهم بأقبح صورة فاستحسن الفضل ذلك ، واستحسنه السائل ، ثم قام أبو عبيدة من فوره ، وتقصى ما ورد فى القرآن من الألفاظ التى أريد بها غير معناها الأول فى اللغة ، وجمعها فى هذا الكتاب ، وأسـماه « مجاز القرآن » ، وهو — على ما قيل — أول كتاب دون فى علم البيان .

وأبو عبيدة هذا هو معمر بن المثنى البصرى أحد رواة اللغـة الأعلام ، وتلميذ يونس بن حبيب شيخ سيبويه امام النحاة ، وأستاذ الخليفة العباسى هارون الرشيد .

ثم تبعه العلماء من بعده ، فوضعوا رسائل فى الاستعارة والكناية لم تميز علم البيان تمييزا خاصا ، وبقيت الحال كذلك مدة العصر العباسى الأول .

أما على المعـانى فلم يعرف بالضبط أول من تكلم فيه ، وانما أثر عن بعض فحول الكتاب والخطباء كجعفر بن يحيى (١) وسـهل بن هارون (٢) وغيرهما كلام فى هذا النوع من البلاغة ، ولكنه لم يطبع هذا العلم بطابع خاص يتميز به عن سواه .

وأول من أسهم لهذا العلم من عنايته ، وخصه بمستفيض بحثه ، ودون فيه ونظم شيخ حملة القلم، امام الأدباء وصاحب التصانيف الممتعة

---

(١) أحد وزراء الرشيد .

(٢) فارسى الأصل اتصل بالمأمون فولاه خزانة الحكمة وكان اديبا شاعرا حكيما يتعصب للعجم على العرب .

والرسائل المبدعة أبو عثمان بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ — دون ذلك فى كتابيه (البيان والتبيين) ، (واعجاز القرآن) ، وتقفاه العلماء من بعده كأبى عباس المبرد صاحب الكامل ، وقدامة بن جعفر [١] ، ووقف الأمر عند هذا الحد طيلة هذا العصر .

أما علم البديع فعلى ما قيل : ان أول من كتب فيه كتابا خاصا عبد الله بن المعتز الخليفة العباسى المتوفى سنة ٢٩٦ هـ ، وكان الشعراء قبله يأتون فى أشعارهم بضروب من البديع — على سبيل الاستطراد — مثل بشار بن برد [٢] ومسلم بن الوليد [٣] وأبى تمام [٤] وغيرهم ، فجاء ابن المعتز وجمع من أنواعه سبعة عشر نوعا ، وقال فى كتابه : وما جمع قبلى فنون البلاغة أحد ، ولا سبقنى اليه مؤلف ، ومن أحب أن يقتدى بنا ، ويقتصر على ما اخترعناه فليفعل ، ومن رأى اضافة شيء من المحاسن اليه فله اختياره .

وكان ممن يعاصره قدامة بن جعفر سالف الذكر ، فجمع منه عشرين نوعا توارد مع ابن المعتز على سبعة منها ، وسلم له ثلاثة عشر، تضاف الى السبعة عشر التى جمعها ابن المعتز ، فتكون جملة ما جمعاه ثلاثين نوعا هى أقصى ما جمع فى ذلك العصر .

وجاء العصر التالى فزاد كل من أبى هلال العسكرى [٥] صاحب

---

(١) كان نصرانيا وأسلم واشتهر فى زمانه بالبلاغة ونقد الشعر والف فى ذلك كتبا .

(٢) هو أبو معاذ اشعر مخضرمى الدولتين — الأموية والعباسية — وكان مع ذلك كفيفا .

(٣) هو صريع الغوانى أبو الوليد أحد الشعراء المفلقين فى الدولة العباسية .

(٤) هو حبيب بن أوس ، عربى الأصل وأحد الشعراء الأعلام فى الدولة العباسية .

(٥) هو الحسن بن عبد الله بن سهل المتوفى سنة ٣٩٥ هـ الف كتابه الصناعتين وبحث فى مسائل الفنون الثلاثة غير أنه أطال الحديث فى البديع .

الصناعتين وابن رشيق [1] صاحب العمدة وغيرهما أنواعا كثيرة بلغت نحو التسعين نوعاً .

هذا — ولم تميز هذه العلوم ، وتبوب وتفصل الا فى العصر العباسى التالى وأول من نزع عن قوسه ، ورمى الى هذا الهدف الامام عبد القاهر شيخ البلاغة المتوفى سنة ٤٧١ هـ ، فهو أول من هذب المسائل ، وضم شتاتها ، وأرسى قواعدها ، وبوبها فأحسن تبويبها ، ورتبها فأبدع ترتيبها ، وألف فى ذلك كتابيه — أسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز — فكانا أحفل كتابين فيما عرف بعد بالمعانى والبيان اذ قد جرى فيهما شوطا لم يبلغه أحد ممن سلف — وقد أبان الشيخ عن ذلك كله باطناب ممتع ، وعبارات مصطفاة ، مع سلاسة وجودة ، ومع عرض لكثير من الأمثلة والشـواهد فى أسلوب طلى خطابى يملك الأسماع ، ويستولى على القلوب .

ومن هنا عد الشيخ الامام عبد القاهر واضع هذا الفن عنـد الجمهرة العظمى من علماء البلاغة .

وبقى الأمر على هذه الحال حتى جاء فارس الحلبة أبو يعقوب يوسف السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فوضع كتابه « مفتاح العلوم » وجعله ثلاثة أقسـام بسط فى القسم الثالث منها مسـائل المعـانى والبيان بما سمح له أن يقول عن نفسه : انه قضى بتوفيق الله منهما الوطر — ولم يكن حديث السـكاكى فى هذه المبـاحث كحديث عبد القاهر ، فقد وضع حدودا استطاع بها أن يفصل بين هذه الأبحاث فخص ما يتعلق برعاية المطابقة لمقتضى الحال « باسم المعانى » ، وخص ما يتعلق بايراد المعنى الواحد فى طرق مختلفة باسم « البيـان » ، وخص ما يتعلق بتحسين الكلام وتزيينه ، بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة باسم « البديع » ، وقد كانت عند عبد القاهر ومن تقـدمه

(١) هو أبو على الحسن بن رشيق المتوفى سنة ٤٠٦ هـ ألف كتابه العمدة فى محاسن الشعر وآدابه وتحدث فيه عن البلاغة بأنواعها الثلاثة وكان كتابه فى ذلك خير الكتب علما وافادة .

مجموعة فى سمط واحد ، وتحت موضوع واحد هو الكلام العربى من حيث انه كيف يكون بليغا فصيحا ، وعذبا رشيقا .

والكتاب غاية فى الجودة وان جفت عبارته . وخلت من الاطناب الذى التزمه عبد القاهر ، ومن الاكثار من الأمثلة والشواهد التى عول عليها الشيخ الى حد بعيد ، ولكنه ــ مع ذلك ــ رتب المباحث ترتيبا حسنا ، وبوبها تبويبا جيدا ، وحدد أنواعها ، وضبطها ضبطا وفر به الجهد على من تصدى بعده للنظر فيها .

ولمـا فى هذا الأثر الجليل من تمييز المسائل بعضها من بعض ، وتحديد مباحث هذه العلوم تحديدا أنار السبيل للباحثين عد الامام السكاكى واضع البلاغة فى رأى كثير من البلغاء .

ومهما يكن من شىء فقد أصبحت علوم البلاغة بعد السكاكى قائمة بذاتها متميزة الموضوع ، واضحة المنهج ، قريبة المورد ، واتية الجنى .

ثم جاء المتأخرون من بعده ، فلم يستطيعوا أن يزيدوا عليه شيئا من أصول البلاغة وكان قصارى جهدهم أن تناولوا كتابه بالاختصـــار تارة ، وبالشرح أخرى ، وأهم مختصرات قسم البلاغة منه تلخيص :

الخطيب القزوينى

وهو أبو المعالى قاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى الشـــافعى المولود بقزوين [1] سنة ٦٦٦ هـ والمتوفى ســنة ٧٣٩ هـ . وقد نشأ الخطيب مقبلا على العلم ، محبا له ، جامعا لمسائله ، يعينه على ذلك ذكاء نادر ، وبديهة قوية ، ولم يمض من عمره كثير حتى عرف بالفصـــاحة ، وسعة الاطلاع . وجودة المحاضرة ، وعذوبة

(١) احدى بلاد طبرستان التى يحدها من الشمال بحر الخزر .

الحديث ولهذا ولى القضاء وسنه أقل من عشرين سنة ، ولم يثنه ذلك عن متابعة الدرس والتحصيل . فأقبل على شتى الفنون يكمل نفسه بها ، وعلى علوم البلاغة يحصلها ويؤلف فيها حتى اشتهر أمره بها . فدعى لتولى الخطابة بجامع دمشق وكانت اذ ذاك وظيفة السادة من العلماء الأعلام ، ولعله سمى الخطيب من أجل ذلك ، ثم طلب لتولى قضاء الشام ، فولى أمره على خير ما يكون ، ثم ما لبث أن دعى لتولى القضاء فى مصر ، وزيادة فى تكرمته أعطى رياسة الأوقاف فيها ، فوسع بأموالها على الفقراء وذوى الحاجات ، فعظم أمره فى مصر ، وتطلعت اليه الأنظار ، وذكر اسمه على الألسنة مقرونا بالعلم والسماحة والمعروف .

غير أن انغماس أولاده فى الترف واللهو ، وقبولهم للرشوة ، واتجارهم باسم أبيهم وجاهه كل ذلك أساء الى سمعة الشيخ الخطيب، فأعفى من العمل فى مصر ، وأعيد الى قضاء الشام مرة أخرى ، فلم يلبث بها كثيرا حتى أصابه فالج مات به بعد أن ترك لعلماء البلاغة سفرين جليلين هما أثره الباقى فى هذا الفن الى اليوم .

أحدهما — كتاب التلخيص الذى ضمنه القواعد الموجودة فى القسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكى . وجعله مشتملا على مايحتاج اليه من الأمثلة والشواهد وقد بلغ هذا الكتاب من الشهرة ما لم يبلغه غيره من كتب هذا الفن ، اذ عنى به أرباب الشروح والحواشى . فكتبوا عليه ، وكشفوا غوامضه . وأبانوا معالمه ، ومن ثم حرص أبناء الأزهر على مدارسته ، وتفهم عباراته ، وما كتب عليه الى يومنا هذا .

ثانيهما — كتاب الايضاح وقد حدث الخطيب عن نفسه : أنه جعله على ترتيب مختصره « تلخيص المفتاح » ، وبسط فيه القول ليكون كالشرح له ، فأوضح غوامضه ، وفصل مجمله ، وأضاف اليه زيادات لم يشأ أن يجعلها فى مختصره — كما أضاف اليه ما أدى اليه فكره ، ولم يجده لغيره .

ولقد خدم الخطيب بهذين الكتابين مؤلفات السابقين ، فجمع شتاتها ، وذلل صعابها ، وسهل عسيرها ، وهذب قواعدها ، وهو لهذا معدود ممن خدموا كتب الفن ، لا ممن ابتكروا فيه ، ووضعوا أصوله، وأرسوا قواعده .

وقد بلغ من اعتراف العلماء بهذين الكتابين وجليل نفعهما أن عدوهما آخر ما وصل اليه الاتقان والابداع فى هذه الفنون ، فلم يحدثوا أنفسهم بالزيادة على ذلك أو التبديل فيه ، أو الخروج عليه ، ووقفت همتهم عندما انتهى اليه هذا الامام الجليل ، وقصروا جهودهم على البحث فى كتبه ، يوضحون غامضها ، ويحلون مشكلاتها، ويفسرون ما انبهم من عباراتها وتراكيبها ، ومن ثم كثرت الشروح والحواشى والتقارير تقريبا للافهام ، وتيسيرا للعقول ، وكل هذه الشروح — ولله الحمد — كانت خير مثابة لطلاب البلاغة وعشاقها ، وأشهر هؤلاء الشراح :

سعد الدين التفتازاني :

هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى الشافعى المولود بتفتازان (١) سنة ٧١٢ أو ٧٢٢ هـ على خلاف فى الرواية .

نشأ سعد الدين عاكفا على دراسة العلم والأدب ، واتصل فى نشأته بالفطاحل من العلماء . فتخرج فى علوم كثيرة منها الفقه ، فهو معدود من أصحاب التصانيف فيه .

وله فى الاهتمام بعلوم البلاغة شأن كبير ، وشهرة ذائعة ، بل له فى كل ما صنف باع طويل فى التحقيق البالغ أقصى المدى ، وكانت تغلب عليه فى ذلك قواعد الفلسفة والمنطق — كما كان مولعا أشد الولع بتعاطى الجدل والمناظرة — وقد تناول فيما تناول كتاب التلخيص فأحسن خدمته والعناية به فى شرحيه — المطول والمختصر — وهما ماهما عند

(١) احدى قرى خراسان من بلاد فارس .

أهل الفن ، ألف المطول أولا ، فتوسع فى الحديث واستطرد فى المباحث فرأى — تلبية لرغبة بعض الفضلاء — أن يوجه همته الى اختصاره ، والاقتصار على ما يوضح معانى كتاب التلخيص للقزوينى لتقاصر همم المحصلين وتقاعد عزائمهم — كما يقول — فتوفر على تحقيق هذه الرغبة ، وألف مختصره ، وهو ذلك الكتاب المشهور ، والشرح المأثور — وقد عنى العلماء بكتابة الحواشى والتقارير عليه ، فاشتهر سعد الدين بذلك شهرة لم تكن لغيره ممن عنوا بالكتابة على « التلخيص » .

غير أن هذا الشرح يؤخذ عليه كما يؤخذ على غيره من الشروح والحواشى ابتعاد عبارته عن أساليب البلاغة بحيث لاينبغى لدارس هذه الكتب أن يتخذ ما فيها من التراكيب قدوة له فى كتابته لأنها لم تتضمن غير عبارات اصطلاحية جافة ، بعيدة كل البعد عن روح البلاغة ، وتذوق الأدب ، قصد بها شرح الكتاب المؤلف دون نظر الى شرح خصائص كلام العرب ، وتبيين مزاياه ، وذلك مما يؤسف له .

هذا — ومن الغريب أن جل من تعاطى البلاغة هم من العلماء الأعاجم أو المستعجمين الذين تنازعت ألسنتهم ملكات لغاتهم الأصلية ، فحسبوا أن البلاغة تجرى مع المنطق والفلسفة فى مضمار ، فكتبوا بأساليبها كتب البلاغة فازدادت تعقيدا وابهاما ، وبدلا من أن تكون عونا على تربية ملكتى الفصاحة والبلاغة ، وحسن الأداء كانت عائقة عن نموها ، حائلة دون بلوغها ما أريد منها .

ونحن لا نعيب أصحاب هذه الكتب بذلك . ولا ننتقص أقدارهم ، ونعتقد أنهم بذلوا غاية الجهد على قدر ما وهبهم الله ، وهداهم اليه — غير أن واجبنا يهيب بنا ألا نقنع بالذى صنعوه ، وأن نعلى فوق الأساس ونتمم البناء معترفين بما للسابقين من فضل متمثلين بقول الشاعر :

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا بكاها ، فقلت الفضل للمتقدم

وما ينبغى أن نقوله فى هذا المقام هو أننا لانستطيع أن نكون بلغاء بمجرد الالمام بهذه القواعد التى انتظمها التلخيص ومختصر السعد وغيرهما ، بل لابد من الحصول على الملكة البلاغية ، وحصولها متوقف — الى جانب ذلك — على دراسة النصوص الأدبية ، والاتصال بالمأثور منها فى مختلف عصوره ، وامتلاء النفس به ، وتذوقه وحفظه ومحاكاته.

وجه الحاجة الى دراستها :

مرجع ذلك الى أمور ثلاثة :

الأول — أن الناظر فى هذه العلوم ، والمدرك لها ، والحائز لملكتها يقف عن يقين ، لا يشوبه تردد على جهة اعجاز القرآن الكريم بالتفصيل . وهى جهة دلالته اليقينية على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ، فيكون بذلك مؤمنا عن عقيدة ، لا عن تقليد ، وعن برهان ، لا عن محاكاة ، وذلك شرف لا غاية وراءه .

الثانى — أن المتمكن من أصولها وأحكامها يلمس بنفسه دقائق العربية وأسرارها ، ويدرك مراتب الكلام ومزايا صوره شعرا ونثرا لأن عليها مدار النقد ومعرفة الجيد من الكلام ورديئه ، ومن وفق الى الاحسان من أرباب القول ومن لم يوفق — والا فكيف يعرف الجاهل بفنون البلاغة وأصولها فضل كلام على كلام ، وشرف متكلم على آخر ، وكيف يستطيع مثل هذا أن يوازن بين شعر وشعر ، أو أن يفاضل بين خطيب وخطيب ؟

الثالث — أن الدارس لهذه الفنون ، الخبير بضوابطها وقوانينها ، العارف لأصولها وفروعها اذا أراد أن يقول شعرا أو نثرا فى أى غرض من الأغراض استطاع أن يجد من أمره رشدا ، فيصيب الهدف ، ويدرك القصد ، ويأتى بما يطابق الحال من الألفاظ والتراكيب ، ويهتدى الى المستجاد من الكلام ، والمختار من القول لأن معه النبراس الذى يستضىء به ، ويسير على هداه .

واليك ما يقوله الامام عبد القاهر فى ذلك :

« ثم انك لاترى علما هو أرسخ أصلا . وأبسق فرعا ، وأحلى جنيا ، وأعذب وردا ، وأكرم نتاجا ، وأنور سراجا من علم البيـــان الذى لولاه لم تر لسانا يحوك الوشى ، وينفث السحر ، ويريك بدائع الزهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر ، والذى لولا تحفيه بالعلوم ، وعنايته بها ، وتصويره اياها لبقيت كامنة مستورة ، ولاستمر السرار بأهلتها ، واستولى الخفاء على جملتها — الى فوائد لا يدركها الاحصاء ، ولا يحصرها الاستقصاء » .

ولو لم يكن لهذه العلوم من سابغ الفضل على ذويها ســــوى الوصول بهم الى موضع السر من اعجاز القرآن ، وكيف أنه تحــدى العرب — وهم ذوو لسن وفصاحة — فى أبين سماتهم ، وأجل صفاتهم بما حواه من محكم الصياغة ، وروائع البلاغة ، وبما تضمنه من جوامع الكلم ، وروائع الحكم حتى وقف بنو العروبة ، وحاملو لوائها أمامه واجمين ، وخر له أعلام البيان ساجدين — لو لم يكن لها سوى هذا الفضل لكان لزاما على عامة أبناء العربية أن يرتضعوا أفاويقها . وينهلوا من مناهلها ، فما ظنك بها وقد تعدى خطرها هذا الأمر ..

انها لتكشف لك عما فى الفصحى من كنوز ونفائس لا تقف عند حد — كما تكشف لك عن سر مالها من فضل التقدم على سائر اللغات حتى نزل بها القرآن الكريم ، فوسعته معنى وأسلوبا — على ما فيــه من روعة وجلال ، فكان ذلك شهادة لها بتبوئها مكان الصــــدارة ، واستوائها على عرش السيادة .

وهل تراك بالغا أعماق القلوب ، مالكا زمام العقــول — تقويما لعقيدة زائغة ، أو احياء لحق مضيع ، أو ردا لشرف مثلوم — بغير معونة هذه العلوم ؟ أجل فرب كلام أقطع من حسام ، وأنفذ من سهام .

وأى أثر ذلك الذى تحسه فى نفسك عندما يجرى على لســانك اللفظ الأنيق ذو المعنى الدقيق ، أو تنعكس على براعتك أشعة الخيال

الرائع ، والتصوير البارع ، أتراك لو حيزت لك الدنيا بحذافيرها لقاء أن يعزى الى غيرك ما أبدعت — أكنت قابلا هذا البدل على جليـــل خطره ، وعظيم قدره ؟ تلك « لعمرى » متعة النفس لا يعدلها شىء فى الوجـــود .

من أجل ذلك كله كانت حاجتنا الى دراسة هذه العلوم فـــوق حاجتنا الى شأن آخر من شئون الحياة ، وحسبك منها أن تعرف بهـــا ما للغة آبائك من قوة واعتزاز ، وما احتـــواه كتاب ربك من أسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز .

الفصاحة والبلاغة

الفصـــــاحة :

تطلق « فى اللغة » على معان عدة ينبىء جميعها عن معنى الظهور والبيان : يقال : أفصح فلان عما فى نفسه أى أعرب عنـــه ، ويقال : أفصح الصبى فى منطقه وفصح فيه اذا فهم ما يقول أول أمره ــ كمـــا يقال : أفصح الأعجمى وفصح اذا انطلق لسانه بالعربية ، لا تشـــوبه لكنة ــ ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه الســـلام : « وأخى هارون هو أفصح منى لسانا » أى أظهر وأبين منى قولا ، وقولك : أفصح ان كنت صادقا أى بين وأظهر .

ويقال : سرينا حتى أفصح الصبح أى بدا ضوؤه ولمع ــ ومنه المثل المشهور : « أفصح الصبح لذى عينين » [1] أى ظهر ــ كما يقال هذا يوم مفصح أى جلى لا غيم فيـــه .

ويقال : أفصح النصارى أى برزوا فى يوم فصحهم [2] ليتبادلو التهانى ، أو ليتسابقوا الى حيث الرياض والبساتين .

ويقال : أفصح اللبن [3] اذا نزعت رغوته فظهر ــ كما يقال : سقاهم لبنا فصيحا أى منزوع الرغوة ــ ومنه المثل المعروف : « وتحت الرغوة اللبن الفصيح » [4] .

فوضح لك من كل هذه الأمثلة أن « الفصاحة » لم توضع لمعنى الظهور والبيان ، وانما وضعت لمعان يدل جميعها على هذا المعنى بطريق

(١) يضرب للشىء يظهر بعد استتاره .
(٢) بكسر الفاء أى عيدهم .
(٣) قيل ان هذا المعنى حقيقى للفصاحة وأن ما عداه مجاز .
(٤) يضرب للأمر ظاهره غير باطنه .

اللزوم وهذا هو السر فى قول « السعد » بيانا لمعناها لغة : هى تنبىء عن الظهور والبيـــان .

أما الفصاحة « فى الاصطلاح » فعلى ما ذهب اليه الخطيب : هى ما يوصف به المفرد ، والكلام ، والمتكلم يريد أن معناها يختلف باختلاف موصوفها وهو أحد ثلاثة ــ الكلمة ، والكلام ، والمتكلم .

يقال : «هذه كلمة فصيحة» اشارة الى كلمة معينة كلفظ «الأجل» ويقال :

«هذا كلام فصيح» اشارة الى مركب معين كقولنا : «الله الأجل» ويقال : « هذا متكلم فصيح » اشارة الى متكلم معين كأبى بكر ، أو عمر ، أو على أو غيرهم من فصحاء العرب .

غير أن فى تعريف الخطيب للفصاحة قصورا اذ لم يشمل المركب الناقص ــ بيان ذلك : أن المركب الناقص ليس بكلمة لأنها قول مفرد، والمفرد ما قابل المركب ، وليس بكلام لأن الكلام خاص بالمركب التام، فالمركب الناقص اذا خارج عنهما ، ومقتضى ذلك ألا يتصف بالفصاحة، مع أنه يوصف بها قطعا ، فيقال : هذا مركب فصيح كما فى قـــول الشـــاعر :

اذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحــواجب والعيـــونا

فان هذا البيت من قبيل المركب الناقص اذ لا يفيد معنى يحسن السكوت عليه لعدم ذكر الجواب الذى هو محط الفائدة ، مع أنه فصيح بالاجماع لخلوه من العيوب المخلة بالفصاحة ــ على ما سيأتى .

أجاب الخلخالى ردا لهذا الاعتراض : بأن يعمم فى الكلام أى أن يراد به المركب مطلقا ــ تاما كان أو ناقصا ــ على سبيل المجاز المرسل، من اطلاق الخاص وارادة العام ، وحينئذ يشمل المركب الناقص كالبيت المذكور .

ورد « السعد » هذا الجواب : بأنه انما يصح هذا التأويل لو أن العرب أطلقوا على المركب المذكور كلاما فصيحا ، ولم ينقل عنهم ذلك

بل المنقول عنهم وصفه بالفصاحة ، لا وصفه بأنه كلام ، فقالوا فيه : هذا مركب فصيح ، ولم يقولوا : هذا كلام فصيح ، ووصف المركب بالفصاحة لا يستلزم وصفه بأنه كلام — فاشتمال الكلام على المركب الفصيح حينئذ غير مسلم .

على أن وصف المركب بالفصاحة يحتمل أن يكون باعتبار مفرداته لا باعتبار ذاته ، فمعنى قولهم : هذا مركب فصيح : أن مفرداته فصيحة فيكون حينئذ داخلا فى المفرد من غير تأويل فيه ؛ وعلى ذلك ينهدم الاعتراض المذكور من أساسه .

فالجواب السليم ردا للاعتراض أن يعمم فى المفرد بأن يراد به ما ليس كلاما أى مركبا تاما ليشمل المركب الناقص — وسند هذا الجواب أنه لم يعهد اطلاق الكلام على المركب مطلقا الشامل للتام والناقص الا بالحمل على المجاز المرسل كما ذكرنا — أما اطلاق المفرد على ماليس كلاما فحقيقة عرفية كاطلاقه على ما ليس مثنى ولا مجموعا « فى باب الاعراب » ، وكاطلاقه على ما ليس مضافا ولا شبيها بالمضاف « فى باب المنادى » ، وكاطلاقه على ما ليس جملة ولا شبيها بها « فى باب المبتدأ والخبر » والحمل على الحقيقة أولى من الحمل على المجاز لأنه خلاف الأصل — والقرينة على أن المراد بالمفرد هنا ما ليس كلاما مقابلته به اهـ .

تنبيـــــه :

يلاحظ أنه قسم الفصاحة أولا الى فصاحة مفرد ، وفصاحة كلام، وفصاحة متكلم ، ثم عرف كلا على حدة — على ما سيأتى — مع أن الشأن أن يؤتى للمعرف بتعريف شامل لأقسامه ؛ ثم يقسم بعد ذلك الى هذه الأقسام كما فعل فى « الكلمة » فقد عرفت أولا بأنها قول مفرد ، وهو تعريف شامل لأقسامها الثلاثة — الفعل ، والاسم، والحرف اذ يطلق على كل منها : أنه قول مفرد ، ثم قسمت بعد ذلك الى هذه الأقسام — وكما

فعل فى « الانسان » فقد عرف أولا بأنه حيوان ناطق ، وهو معنى شامل لأنواعه من زنجى وعربى وشامى ومصرى اذ يطلق على كل منها: أنه حيوان ناطق ؛ ثم قسم بعد ذلك الى هذه الأنواع ؛ فهلا فعل فى الفصاحة كذلك ؟

ويجاب بأنه لم يتأت أن يؤتى للفصاحة بتعريف شامل لأقسامها الثـلاثة كما تأتى فى الكلمة والانسان فلهذا اضطروا الى تقسيمها أولا ثم تعريف كل قسم من أقسامها ثانيا .

فصـاحة الكلمة

فصاحتها أن تسلم من العيوب الثلاثة ــ تنافر الحروف ، مخالفة الوضع ، الغرابة ــ ووجه حصر فصاحة الكلمة فى السلامة من هذه الثلاثة : أن كل كلمة لها «مادة» هى حروفها ، «وصورة» هى صيغتها ، ودلالة على «معناها» فعيبها اما فى مادتها وهــو «التنافر» ، أو فى صيغتها وهو « مخالفة الوضع » ، أو فى دلالتها على معناها وهــو «الغرابة» ــ فبسلامتها من هذه العيوب تســلم مادتها ، وصيغتها ، ومعناها من الخلل ــ وهاك بيان العيوب الثلاثة على هذا النسق .

تنافر الحروف ــ هو أن تكون الكلمة ثقيلة على اللسان ؛ يتعسر النطق بها ، وهو نوعان ــ تنافر شديد ، وتنافر قريب منــه .

فالأول : كلفظ « الظش » للموضع الخشن ، و « كالهعخع » لنبات ترعاه الابل فى قول أعرابى وقد سئل عن ناقته : تركتها ترعى الهعخع ــ فهاتان الكلمتان غير فصيحتين لما فيهما من تنافر الحــروف، تنافرا شديدا يشعر به كل ناطق وهو خلل واقع فى مادتهما .

والثانى : كلفظ « النقاخ » بضم النون وهو الماء العذب فى قول الشــاعر :

وأحمق ممن يكرع الماء قال لى　　دع الخمر واشرب من نقاخ مبرد

وكقول امرىء القيس الشاعر الجاهلى (١) :

غدائره مستشزرات الى العـــلا　　تضل العقاص فى مثنى ومرسل(٢)

يصف الشاعر حبيبته بكثرة الشعر وغزارته ، وأنه مرتفع فوق رأسها ، وأنه لكثافته منوع الأجزاء ــ فبعضه مقعوص ملوى ، وبعضه مثنى ، وبعضه مرسل لا عقص فيه ولا تثنية ، وأن المعقوص منه يتيـه ويختفى فيما ثنى وأرسل منه ــ فهاتان الكلمتان « فى البيتين » غير فصيحتين لما فيهما من تنافر فى الحروف وان كان أخف وقعا مما قبله ، وهو خلل واقع فى مادتهما كذلك .

قيل : ان الضابط المعول عليه فى ضبط التنافر قرب مخـارج الحروف أو بعدها بمعنى .. أن تكون الحروف متقاربة فى المخـرج، أو متباعدة فيه ــ فلفظ « الهعخع » مثلا متنافر ثقيل لتقارب حروفه فى المخرج لأن الهاء والعين والخاء خارجة كلها من مخرج واحد هــو الحلق الا أن بعضها خارج من أقصاه ، وبعضها من قريب منه ــ ولفظ « مستشزرات » متنافر ثقيل أيضا لتقارب حروفه فى المخرج كذلك اذ أن حروفه ما عدا الميم خارجة من مخرج واحد ، هو « اللسان » ، غير أن بعضها خارج من طرفه ، وبعضها من وسطه ــ ونحو « ملع » بمعنى

---

(١) هو أسبق شعراء الجاهلية الى ابتداع المعانى ، وحسن التعبير عنها ، وأول من وقف على الديار واستبكى الأطلال .

(٢) الغدائر جمع غديرة وهى المسماة بالضفيرة والضمير راجع الى (فرع) فى البيت قبله وهو :

وفرع يزين المتن أسود فاحم　　أثيث كقنو النخلة المتعثكل

أى فرع محبوبته ، ومستشـــزرات بكسر الزاى بمعنى مرتفعات ويروى بفتح الزاى بمعنى مرفوعات ، والعقاص جمع عقيصة وهى الخصلة من الشعر مجتمعة فوق الرأس ، (والمثنى) الشعر المفتول ، (والمرسل) ضـده

أسرع متنافر الحروف أيضا لتباعد حروفه فى المخرج اذ أن الميم خارجة من الشفتين ، والعين من أقصى الحلق .. وهكذا .

ورد هذا القول بأن الضابط المذكور غير مطرد لأنا لانجد تنافرا فى لفظتى « الجيش والشجى » مع تقارب الجيم والشين فى المخرج — كما لا نحس تنافرا فى مثل « علم وملح » مع تباعد العين والميم والحاء فى المخرج .

على أننا لو اعتبرنا التباعد فى المخرج ، أو التقارب فيه منشــأ للتنافر المخل بالفصاحة لاقتضى ذلك وقوع غير الفصيح فى القرآن فقد ذكرت مادة «علم» فى غير موضع منه مع تباعد العين والميم فى المخرج — كما ورد فيه قوله تعالى : « ألم أعهد اليكم يابنى آدم الآية » ، مع تقارب الهمزة والعين والهاء فى المخرج — وورود غير الفصيح فى القرآن المعدود فى أعلى طبقات الفصاحة مما لا يؤمن به عاقل .

وقد يجاب بأن ورود كلمة غير فصيحة فى جمهرة من الــكلام الفصيح لا يخرجه عن فصاحته — كما أن ورود كلمة أعجمية فى كلام عربى لا يخرجه عن عربيته بدليل ورود كثير من الكلمات الأعجميــة فى القرآن ، ومع ذلك لا يسع عاقلا أن ينكر عربيته ، كيف وقد قال تعالى : « انا أنزلناه قرآنا عربيا » ..

ورد هذا الجواب : بألا يسلم لهذا القائل ما ادعاه من أن اشتمال الكلام الفصيح على كلمة غير فصيحة لا يخرجه عن فصاحته لأن علماء البلاغة شرطوا فى فصاحة الكلام أن تكون أجزاؤه كلها فصيحة — والقياس على الكلام العربى قياس مع الفارق لأنهم لم يشترطوا فى الكلام العربى أن تكون كل كلماته عربية كما شرطوا فى الكلام الفصيح — على أن مجرد ورود كلمة غير فصيحة فى القرآن مما يجر الى ما لايليق به « سبحانه » من نسبة العجز له عن ابدال غير الفصيح بالفصيح فى كلام قصد به الاعجاز والتحدى لبلوغه أعلى طبقات البلاغة .

أما من زعم (١) أن منشأ الثقل فى نحو : « مستشزرات » توسط الشـــين — وهى من الحروف الرخوة المهموســـة — بين حرفين يضاربانها فى صفتها وهما « التاء والزاى » اذ أن التاء من الحروف الشديدة ، والزاى من الحروف المجهورة فبعيد عن الصواب أيضا لعدم اطراد ما زعم اذ لا نجد تنافرا فى لفظ « مستشرف » مع توســط « الشين » بين حرفين يضاربانها فى صفتها كما فى « مستشزر » فأى فرق بينهما ؟

واذا فقرب المخارج أو بعدها ، أو غيرهما لا يصلح ضابطا يعول عليه لعدم اطراده — كما عرفت — بل الحكم فى ذلك للذوق الســليم فما عده الذوق ثقيلا متعسر النطق فهو متنافر ، وما لا فلا — سواء أكان متقارب الحروف ، أو متباعدها أو غير ذلك ا هـ .

مخالفة الوضع (٢) — هى أن تكون الكلمة مخالفة لما ثبت عن الواضع — سواء أخالفت القياس الصرفى أيضا أم لا — فمدار المخالفة على ما ثبت عند الواضع بغض النظر عن القياس المذكور .

فمثال ما خالف الأمرين معا لفظ « بوقات » جمع مؤنث مفــرده « بوق » بمعنى المزمار فى قول المتنبى يمدح سيف الدولة :

فان يك بعض الناس سيفا لدولة ففى الناس بوقات لهــا وطبول

يقول : اذا كنت سيفا لدولتك له أثره وخطره فغيرك من الملوك بمثابة البوق والطبل لا أثر له ، ولا غنــاء فيه — فلفظ « بوقات » فى البيت غير فصيح لمخالفته لما ثبت عن الواضع ، وللقياس الصرفى ، اذ الثابت عن الواضع جمعه جمع تكسير ، والقياس الصرفى أيضا يقتضى

---

(١) هو العلامة الخلخالى .

(٢) انما آثرت هذا التعبير على قولهم : مخالفة القياس لأنه أنسب بالمعنى المراد منه وهو مخالفة الكلمة لما ثبت عن الواضــــع وان وافق القياس

جمعه مكسرا ، فيقال : «أبواق» لأن جمع المؤنث السالم له مواضع خاصة ليس هذا الاسم منها — ومثله لفظ « ضننوا » بمعنى بخلوا فى قــول الشاعر العــربى :

مهلا أعاذل قد جربت من خلقى   أنى أجود لأقوام وان ضننوا

يخاطب الشاعر من لامته على احسانه الى من بخلوا عليه ، فيقول: اقصدى من لومك ، وهونى على نفسك الأمر ، فقد عرفت أن من خلقى مجازاة من يسىء الى بالاحسان اليه لأنى انما أصنع المعروف للمعروف، لا لشىء وراءه — فلفظ « ضننوا » غير فصيح لأنه مخالف لما ورد عن الواضع ، وللقياس الصرفى . اذ الوارد عن الواضع « وان ضنوا » بالادغام ، لا بالفك ، والقياس الصرفى أيضا يقتضى ادغام المثلين — كما عرفته فى محله — ومثله لفظ « الأجلل » فى قول الفضل بن قــدامة الشاعر الاسلامى (١) :

الحمد لله العــلى الأجــلل   أنت مليك الناس ربا فاقبــل

فلفظ « الأجلل » غير فصيح لأنه مخالف لما ثبت عن الواضع ، وللقياس الصرفى — كما ترى — :

ومثال ما خالف الثابت عن الواضع ، ووافق القيــاس قولك : « يأبى » بكسر الباء مضارع « أبى » — فهو غير فصيح لأنه مخالف لما ثبت عن الواضع اذ الثابت عنه « يأبى » بفتح الباء لا بكسرها فى حين أنه موافق للقياس الصرفى لأن « فعــــل » بفتح العين لا يأتى مضارعه على «يفعل» بفتح العين الا اذا كان عين ماضيه، أو لامه حرف

---

(١) هو المكنى بأبى النجم وهو من رجازى الاسلام ومن الفحول المقدمين أى فى الطبقة الأولى — وقيل : تمام البيت : الواحد الفرد القديم الأول وقيل تمامه : الواهب الفضل الكريم المجزل · وقيل : ان البيت على عكس ما يرى فالعجز للصــــدر والصدر للعجز ، و « ربا » منادى مضاف لياء المتكلم المنقلبة ألفا حذفت منه ياء النداء على حد « يا حسرتا » وقيل ان « ربا » منون حالا من الضمير فى مليك ·

حلق كسال يسأل . ومنع يمنع ؛ وليس «أبى يأبى» من هذا القبيل ـ كذلك لا يأتى مضارعه على « يفعل » مضموم العين الا اذا كان مضعف العين متعديا « كمده يمده » ؛ أو أجوف واويا « كقال يقول » ، أو ناقصا واويا « كسما يسمو » وليس أبى يأبى أحد هذه الأنواع فكسر عين مضارعه حينئذ موافق للقياس الصرفى ولكنه مع ذلك غير فصيح لمخالفته ما ثبت عن الواضع ـ فالشرط اذا فى المخالفة أن تخالف الكلمة ما ثبت عن الواضع ـ سواء خالفت القياس الصرفى أيضا ، أو وافقته ـ كما عرفت ـ وذلك خلل واقع فى الصيغة يخرج اللفظ عن الفصاحة .

تنبيه

علم مما تقدم أن ما ثبت عن الواضع ـ سواء وافق القياس الصرفى أو خالفه فصيح فنحو « آل وماء » من قولك : « هؤلاء آلك فاعطف عليهم » « وهذا ماؤك فاشربه » مخالف للقياس الصرفى لأن الأصل فيهما « أهل وموه » أبدلت الهاء فيهما همزة ، وهذا الابدال لا يقره القياس ، ولكنه فصيح لموافقته ما ورد عن الواضع ـ ومثله « أبى يأبى » بفتح الباء فى المضارع ، والقياس كسرها لما تقدم بيانه ، ولكنه فصيح لوروده هكذا عن الواضع ـ كذلك قولهم : « عورت عين فلان » ، « واستحوذ عليهم الشيطان » فان القياس فيهما أن يقال : عارت عينه ، واستحاذ عليهم بقلب الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فتصحيح الواو حينئذ مخالف للقياس لكنه فصيح لأنه ورد هكذا عن الواضع اهـ .

الغرابة ـ هى أن تكون الكلمة وحشية أى غير ظاهرة الدلالة على المعنى الموضوعة له (١) ـ ويكون ذلك لسببين :

---

(١) فلا يرد ما ورد فى القرآن فى المجمل والمتشابه فانهما غير ظاهرى الدلالة على المعنى المراد لله تعالى لا على المعنى الموضوع له والا اشتمل القرآن على الغريب غير الفصيح .

الأول ـــ عدم تداول الكلمة فى لغة العرب الخلص ، فيحتـــاج فى معرفتها الى بحث وتنقيب فى معاجم اللغة اذ لا يذكرها من اللغويين الا القليل .

فتارة يعثر على معناها بعد البحث كلفظتى « تكأكأتم وافرنقعوا » من قول عيسى بن عمر النحوى وقد سقط عن دابته ، فاجتمع الناس حوله : « مالكم تكأكأتم على كتأكئكم على ذى جنة افرنقعوا » ـــ فمعنى «تكأكأتم» اجتمعتم ، ومعنى «افرنقعوا» انصرفوا. يقول متعجباً: مالكم اجتمعتم على كاجتماعكم على ذى جنون تنحوا عنى ـــ ومنه لفظ « رخاخ » بفتح الراء فى قولهم : « نحن فى رخاخ من العيش » أى فى سعة ورغد ، ونحو « مسحنفرة » بمعنى متسعة فى قـــول امرىء القيس « رب طعنة مسحنفرة » .

وتارة لا يعثر عليه بعد البحث كلفظ « جحلنجع » من قول أعرابى يسمى أبا الهميسع (١) : « من طمحة (٢) صبيرها (٣) جحلنجع » بجيم مفتوحة فمهملة ساكنة فلام مفتوحة فنون ساكنة فجيم مفتوحة فعين مهملة ـــ ومثله « ترللج » بفتح فسكون ففتح فكسر .

فكل هذه الكلمات غير فصيحة لأنها غريبة ، غير ظاهرة المعنى لعدم تداولها وذلك خلل واقع فى المعنى .

الثانى ـــ عدم استعمال الكلمة عنـــد العرب الخلص بالمعنى الذى أريد منها ، فيحتاج فى معرفتها الى تخـــريج على وجه بعيد كلفظ « مسرجا » فى قول رؤبة بن العجاج (٤) .

---

(١) بفتح الهاء والميم والسين وسكون الياء .
(٢) الطمحة النظرة .
(٣) السحاب المتراكم .
(٤) كان هو وأبوه العجاج رجازين مشـــهورين لكل واحد منهما ديوان رجز ليس فيه سوى الأراجيز .

أيام أبدت واضحا مفلجا أغر براقا وطرفا أدعجا
ومقلة وحاجبا مزججا وفاحما ومرسنا « مسرجا » [1]

يصف الشاعر من محبوبته عدة أشياء منها الأنف فى قوله « ومرسنا مسرجا » فقد أراد بالمرسن أنفها ، وهو فى « الأصل » أنف البعير اذ هو موضع الرسن [2] منه ، ثم أريد به مطلق أنف مجازا مرسلا — كما سيأتى بيانه فى موضعه — فقوله : « مسرجا » غير فصيح لأنه غريب ، غير ظاهر الدلالة لعدم استعماله بالمعنى الذى أريد منه ، وهو خلل واقع فى المعنى .

بيان ذلك — أن «مسرجا» فى كلام الشاعر اسم مفعول مشتق ، وكل مشتق لابد له من أصل يرجع اليه فى الاشتقاق — غير أنه فتش فى معاجم اللغة ، فلم يعثر على مصدر لهذا المشتق ، وانما وجد من هذه المادة « سريجى وسراج » ، وحمل هذه الكلمة على الخطأ لا يجوز لوقوعها من عربى عارف باللغة ، فاحتيج الى تخريجها على وجه تسلم به من الخطأ ، وان كان بعيدا ، وهذا هو وجه التخريج ، والدافع اليه .

ولما لم يعلم ما أراده الشاعر بقوله : « مسرجا » اختلف فى تخريجه .

فقيل هو من قولهم : سيوف سريجية [3] ، أى منسوب اليها من

---

(١) ضمير «أبدت» عائد على محبوبته فى البيت قبله ، و «واضحا» صفة لموصوف محذوف أى سنا واضحا متميزا و «الفلج» بالتحريك تباعد ما بين الاسنان ، و «الأغر» الأبيض ، و «الدعج» بالتحريك اتساع العين وحسنها ، و « المقلة » بياض العين مع سوادها وقد يراد بها الحدقة و « التزجيج » التدقيق مع تقويس ، و «فاحما» صفة لمحذوف أى شعرا أسود كالفحم فهو من نسبة المشبه للمشبه به .

(٢) هو مقود البعير .

(٣) نسبة الى حداد كان يجيد صناعة السيوف يقال له « سريج » بضم ففتح .

نسبة المشبه للمشبه به ، يريد — على ما يظهر — أن يشبه أنفها بالسيف السريجى فى الدقة والاستواء .

وقيل : هو مأخوذ من السراج ؛ أى منسوب اليه نسبة تشبيهية أيضا يريد — على ما يبدو — أن يشبه أنفها بالسراج فى الرونق والضياء .

وعلى كلا القولين هو غير ظاهر الدلالة على ما ذكر ؛ لأن مادة « فعل » المضعف العين انما تدل فقط على مجرد نسبة الشىء الى أصله ، فيقال : كفر فلان فلانا نسبه الى الكفر ، وفسقه نسبه الى الفسق ، فهو مكفر أو مفسق أى منسوب الى الكفر أو الفسق — ولما لم يوجد « لمسرج » أصل ينسب اليه اعتبر منسوبا للسريجى أو للسراج — على ما سبق فى القولين — غير أن النسبة التشبيهية — وهى أن يكون المنسوب شبيها بالمنسوب اليه — لا تدل عليها المادة المذكورة ، فأخذ ذلك منها بعيد ؛ لهذا كان اللفظ غريبا ؛ غير ظاهر الدلالة ؛ لعدم استعماله عند العرب بهذا المعنى المراد .

وقد حاول بعضهم لهذه الكلمة علاجا تصح به وتسلم ؛ فقال : ان « مسرجا » اسم مفعول مأخوذ من سرج الله وجهه حسنه وبهجه ، واذا فقول الشاعر « ومرسنا مسرجا » معناه : وأنفا محسنا مبهجا من غير اعتبار نسبةالى شىء ، أو تشبيه به — وبهذا يخرج اللفظ المذكور سليما معافى من داء الغرابة لظهور دلالته على معناه .

وأجيب بأنها محاولة غير مجدية لأن اللفظ بهذا المعنى لا وجود له فى المبسوط من معاجم اللغة اذ لم يشتهر بهذا المعنى فى كتبها فهو وان سلم من عيب الغرابة بالمعنى الثانى — وهو ما احتيج فيه الى التخريج البعيد — لا يزال يشكو داء الغرابة بالمعنى الأول — وهو ما احتيج فيه الى التفتيش والبحث فى كتب اللغة .

على أنه لا يبعد أن يكون « سرج » مأخوذا من السراج، واستعمل

بمعنى سرج الله وجهه حسنه وبهجه أى أوجده على هذه الصفة ، لا على معنى النسبة التشبيهية كالذى تقدم ، ويكون ذلك من ابتكار المولدين ومواضعاتهم غير أنه لا يصح أخذ « مسرجا » منه لامتناع أخذ السابق من اللاحق .

ووجه انحصار « الغريب » فى السببين المتقدمين ، أن اللفظ يدل على معناه بجوهره وهيئته ، فعدم ظهور دلالته ــ اما باعتبار جوهره فيحتاج الى التنقير والتفتيش ، واما باعتبار هيئته ، فيحتاج الى التخريج على الوجه البعيد .

تنبيهان :

الأول : اعلم أن عدم ظهور المعنى المتقدم ذكره فى مفهوم الغرابة منظور فيه الى الخلص من الأعراب سكان البادية ، فهم قد يخفى عليهم معنى اللفظ اذا قل تداوله بينهم ، أو لم يستعمل عندهم بالمعنى المراد منه ــ على ما ذكرنا ــ أما غير العرب من المولدين فغير منظور اليهم فى ذلك والا خرج كثير من قصائد العرب ، بل جلها عن الفصاحة لغلبة الجهل باللغة على غير أربابها ا هـ .

الثانى : زاد بعضهم عيبا رابعا على العيوب المخلة بفصاحة الكلمة، وهو أن تكون الكلمة مستكرهة يمجها السمع ، ويأنفها الطبع كلفظ « النقاخ » بمعنى الماء العذب فى قول الشاعر المتقدم .

وأحمق ممن يكرع الماء قال لى

دع الخمر واشرب من «نقاخ» مبرد

و « كالجرشى » بمعنى النفس فى قول أبى الطيب المتنبى من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

مبـــارك الاســم أغــر اللقب   كريم «الجرشى» شريف النسب[1]

ورد « السعد » هذا العيب الزائد بأن استكراه السمع للفظ انما جاء من ناحية وحشيته لغرابته ، أو من ناحية تنافر حروفه ــ كما فى « تكأكأتم وافرنقعوا » فانهما ــ لا شك ــ يثقلان على السمع لا لشىء سوى غرابتهما لعدم تداولهما فى اللغة الفصحى ؛ أو لتنافر حروفهما ــ وحينئذ ففى ذكر الغرابة أو التنافر غنية عن ذكر هذا العيب .

ورد غيره هــذا العيب بأن الكراهة فى الســمع انما جاءت من ناحية قبح الصوت ، لا من ذات اللفظ فلو أضيف هــذا العيب الى العيوب الســابقة لخرج عن الفصاحة كثير من الكلمــات المتفق على فصاحتها بسبب صدورها من قبيح الصوت .

وقد فند « السعد » هذا التوجيه بقوله : لا يسلم لهذا القائل ما ادعاه من أن الكراهة فى السمع مرجعها قبح الصوت ، لا ذات اللفظ اذ لو كان الأمر كما يدعيه لزم أن تكون كلمة « الجرشى » بمعنى النفس . أو « اطلخم » بمعنى أظلم ، أو « النقاخ » بمعنى المــاء العذب غير مكروهة فى السمع اذا نطق بها ذو الصــوت الحسن . فتكون فصيحة . وأن تكون المرادفات المذكورة لهــذه الألفاظ مكروهة فى السمع اذا نطق بها ذو الصوت القبيح ، فلا تكون فصيحة وذلك خلاف الواقع؛ للقطع بكراهية السمع لتلك الألفاظ دون مرادفاتها سواء صدرت عن حسن الصوت ، أو عن قبيحه ا هـ .

(١) انما كان مبــــارك الاسم لاشــــعاره بالعلو ، ولموافقته لاسم على بن أبى طالب فهو سميه ، و « أغر اللقب » مشهوره لاشتهاره بسيف الدولة والملوك يشار اليهم بألقابهم تعظيما لهم واجلالا . والأغر فى الأصل أبيض الجبهة من الخيل ثم نقل على طريق الاستعارة أو المجاز المرسل الى كل واضح مشهور ، وانما كان شريف النسب لأنه على ما قيل من سلالة بنى العباس ورجح بعضهم أنه تغلبى من قبيلة تغلب .

فصاحته أن يبرأ من العيوب الثلاثة الآتية بعد :

(١) تنافر الكلمات مجتمعة .

(٢) ضعف التأليف .

(٣) التعقيد بنوعيه ، ووجه حصر فصاحة الكلام فى البراءة من هذه العيوب الثلاثة هو أن كل كلام له « مادة » هى أجزاؤه أى الكلمات التى تركب منها ، وله « صورة » هى هيئة تأليفه من هذه الكلمات ، وله دلالة على معناه ـ فعيبه اما فى مادته وهو « التنافر » ؛ أو فى صورته وهو « ضعف التأليف » أو فى دلالته على المعنى وهو « التعقيد » .

غير أن براءة الكلام من هذه العيوب مشروطة بسلامة أجزائه أى الكلمات مفردة من العيوب المتقدمة فى فصاحة الكلمة ـ واليك بيان العيوب المذكورة على هذا الترتيب .

تنافر الكلمات ـ هو أن تكون الكلمات مجتمعة ثقيلة على اللسان؛ يتعسر النطق بها ، وان كانت كل كلمة على حدة لاثقل فيها ـ وهو أيضا نوعان ـ تنافر شديد ، وتنافر قريب منه .

فالأول : كقول الشاعر .

وقبر حـرب بمكان قفر   وليس قرب قبر حرب قبر[1]

قيل . قفر بالرفع نعت لمكان على القطع للضرورة وان لم يتعين المنعوت بدون هذا النعت ـ وقيل : هو خبر لقبر ، ومعنى كون القبر

(١) زعموا أن هـذا البيت لأحد الجان صاح على حرب بن أمية جد معاوية أمير المؤمنين فمات لساعته فأنشد الجنى هذا البيت والواقع أنه لم يعرف قائله ولعله مصنوع .

قفرا — على هذا القول قيامه وحده فى هذا المكان — و « قرب » ظرف مكان خبر ليس مقدما ، ولفظ « قبر » اسمها مؤخرا .

والشاهد فيه المصراع الثانى فان كلماته متعادية ينفر بعضها من بعض أشد النفور حتى ان اللسان لا يكاد يلفظ بها مجتمعة — ومثله قول الشاعر :

أزج زلوج هــزرفى زفازف   هزف يبذ الناجيات الصوافنا[1]

فان اللسان ليتعثر عند النطق به أيما تعثر .

والثانى : كقول أبى تمام من قصيدة يعتذر بها لممدوحه ، ويتبرأ مما نسب اليه زورا وبهتانا :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى   معى واذا مالمته لمته وحدى[2]

يصف الشاعر ممدوحه بالكرم والسخاء وأنه اذا ما جرى لسانه بمدحه رأى الناس عامة ألسنة مدح وثناء معه لفيض انعامه وعموم أياديه واذا ما هم بلومه لم يتبعه فيه أحد لبراءته مما يقتضى اللوم — والواو فى قوله : « والورى معى » واو الحال بدليل وقوع هذه الجملة فى مقابلة قوله : « وحدى » الواقع آخر البيت فانه حال أيضا —

---

(١) «أزج» بفتح الهمزة والزاى وتشديد الجيم ، «وزلوج» على زنة صبور ، و « هزر فى » بفتح الهاء وسكون الزاى ، وفتح الراء وكسر الفاء وتشديد الياء ، و «زفازف» على زنة صيغة منتهى الجموع وكلها أوصاف لفرس معناها خفيف سريع ، «وهزف» بكسر ففتح ففاء مشددة معناه الجافى أو الطويل ، و «يبذ» يسبق ، و «الناجيات الصوافن» الخيل القوية .

(٢) ذكر الصاحب بن عباد أنه أنشد هــذه القصيدة بحضرة ابن العميد فلما بلغ هذا البيت قال له ابن العميد : هل تعرف فيه شيئا من الهجنة ؟ قال : نعم مقابلة المدح باللوم وانما يقابل بالذم والهجاء فقال ابن العميد : غير هذا أردت ، فقال : لا أدرى غير هذا ، فقال ابن العميد : هذا التكرار فى «أمدحه» مع الجمع بين الحاء والهاء خارج عن حد الاعتدال نافر كل التنافر فأثنى عليه الصاحب .

ولا يصح جعل « الواو » عاطفة لما يترتب عليه من توقف مدح الورى على مدحه وفى هذا قصور يبرأ منه مقام المدح — ولما يترتب عليه أيضا من اتحاد الشرط والجزاء (١) .

والشاهد فيه قوله : « أمدحه أمدحه » فان فى اجتماع هاتين الكلمتين ثقلا فى النطق بهما يشعر به صاحب الذوق السليم — وليس فى مجرد الجمع بين الحاء والهاء ثقل كما قيل — كيف وقد وقع ذلك فى القرآن الكريم قال تعالى : « فسبحه ليلا طويلا » غير أن الجمع بينهما مع تكرار الكلمة يزداد به التنافر ثقلا وهو مما يقبل التفاوت شدة وضعفا — ومثل البيت المذكور قول الشاعر :

ومن جاهل بى وهو يجهل جهله ويجهل علمى أنه بى جاهل

فان فيه نوع ثقل يشعر به ذو الذوق البلاغى السليم .

ضعف التأليف — هو أن يكون الكلام فى تركيبه مخالفا للمشهور من قوانين النحو التى اعتمدها جمهور النحاة كالاضمار قبل ذكر المرجع لفظا ، ومعنى ، وحكما كما فى قول القائل : « أنقذ خادمه الأمير » فان الضمير فى « خادمه » راجع الى الأمير ، وهو لم يذكر قبل الضمير لفظا وهو ظاهر ولا معنى لعدم وجود ما يقتضى تقدمه ، ولا حكما لأنه

---

(١) بيان ذلك — أن جملة «أمدحه» الثانية واقعة جزاء للشرط الذى هو جملة« أمدحه » الأولى وجزاء الشرط — كما هو معلوم — متوقف تحققه على وجود الشرط فلو جعلنا الواو عاطفة لكانت جملة « والورى معى » معطوفة على جملة الجزاء والمعطوف على الجزاء يكون داخلا فى مفهومه وجزءا منه ، فتكون الجملة المعطوفة حينئذ متوقفا تحققها على وجود الشرط كالتى عطفت عليها ، واذا يكون مدح الورى متوقفا على مدحه — أما اتحاد الشرط والجزاء على تقدير العطف المذكور فأمره ظاهر اذ أن الجملة المعطوفة مستقلة بذاتها عن المعطوفة عليها — بخلاف ما لو جعلت الواو حالا فانه لا يؤدى الى هذين المحظورين أما فى الأول فلأن التقدير حينئذ : متى أمدحه أمدحه فى حال مشاركة الورى لى فى المدح فالجزاء مدحه فى هذه الحالة ، وهذا لا ينافى مدحهم له قبل ذلك وأما فى الثانى فلأن الجزاء مقيد دون الشرط فلم يتحدا .

محكوم عليه بالتأخر لمفعوليته ، لا لنكتة بلاغية — وسيتضح لك ذلك فيما بعد ، فالمثال المذكور اذا غير فصيح لضعف تأليفه (1) — ومثله قول الشاعر :

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما جوزى سنمار(2)

يدعو الشاعر على أبى الغيلان أن يجازيه أولاده — مع كبر سنه ، وحسن صنيعه معهم — شر جزاء كما وقع لسنمار . والشاهد فيه قوله فى المصراع الأول : جزى بنوه أبا الغيلان حيث أضمر قبل ذكر المرجع لفظا . ومعنى ، وحكما كالمثال الذى قبله فهو اذا غير فصيح لضعف تأليفه .

تنبيه

مما تقدم يفهم أن المرجع اذا تقدم على الضمير لفظا ، أو معنى ، أو حكما كان الكلام سليما معافى من الضعف المذكور .

فالتقدم اللفظى — أن يتقدم المرجع على الضمير لفظا أى أن ينطق به أولا ، وبالضمير ثانيا كما فى قوله تعالى : « واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين » ، وكما فى قولك : « أكرم محمدا

---

(1) أجاز هذه المسألة بعض النحاة كالأخفش وابن جنى ولكنه جواز لا يدفع الضعف لأنه مقابل للمشهور من قوانينهم والمعول عليه فى الضعف مخالفة الكلام لما اشتهر بين جمهورهم — أما الكلام المخالف لما أجمع النحاة على منعه كتقديم المحصور فيه بانما فى نحو : انما عالم محمد ، وكنصب الفاعل أو جره مثلا فهو فضلا عن ضعفه فاسد .

(2) «سنمار» اسم رجل بنى للنعمان بن امرىء القيس قصرا عظيما بالكوفة سماه « الخورنق » وقد أتقن بحذقه وبراعته صنعه ولما أكمل بناءه وزخرفه ألقاه النعمان من أعلاه لئلا يبنى قصراً مثله لغيره فمات لوقته ، وضرب به المثل لكل من يجازى على الخير بالشر ، وفى هذا يقول شاعرهم:

جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا جزاء سنمار ؛ وما كان ذا ذنب

صديقه » — فمرجع الضمير فى الأول « لفظ الجلالة » ، وفى الثانى « محمدا » ، وقد تقدم كلاهما على الضمير لفظا — غير أنه فى الأول تقدم لفظا ورتبة ، وفى الثانى تقدم لفظا فقط لأنه مفعول فمرتبته بعد الفاعل .

والتقدم المعنوى — ألا يتقدم المرجع على الضمير لفظا ، لكن هناك ما يقتضى تقدمه معنى كأن يدل عليه لفظ سابق من جنسه ، أو ترشد اليه قرينة حال ، أو كانت مرتبته التقدم على الضمير .

فمثال ما دل عليه لفظ سابق قوله تعـالى : « اعدلوا هو أقرب للتقوى » ، فمرجع الضمير هو « العدل » المدلول عليه بلفظ «اعدلوا»، فهو لم يتقدم لفظا ، وانما تقدم معناه فى الفعل المذكور .

ومثال ما أرشدت اليه قرينة حال قوله تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك » فمرجع الضمير المستتر فى « ترك » هو « الميت » . ولم يدل عليه لفظ سابق من جنسه كما فى « اعدلوا » ، بل دلت عليه قرينة حال هى أن الكلام مسوق لبيان الارث ، ومثله قوله تعالى : «اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال : انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب » ، فمرجع الضمير المستتر فى «توارت» هو « الشـمس » ولم يدل عليه لفظ سـابق من جنسه ولكن ذكر « العشى » والتوارى بالحجاب وسياق الكلام قرائن تدل على أن المراد « الشمس » .

ومثال ما مرتبته التقدم وان تأخر فى اللفظ قولك : « فى داره صديقك » ، وقولك : رفع قبيلته عنترة ؛ فمرجع الضمير فى الأول « صديقك » ، وفى الثانى ، « عنترة » ، وقد تأخر كل منهما عن الضمير فى اللفظ ، ولكن مرتبته التقدم عليه لأنه فى الأول مبتدأ ، وفى الثانى فاعل ، ومرتبة المبتدأ التقدم على الخبر ، كما أن مرتبـة الفاعل التقدم على المفعول ، وكأنما لفظ بهما أولا .

والتقدم الحكمى : — هو ألا يتقدم المرجع لفظا ، وليس ثم ما يقتضى تقدمه سوى حكم الواضع بأن المرجع يجب تقدمه — غير أنه خولف فيه حكم الواضع ، فأخر لنكتة بلاغية ، والمتأخر لغرض متقدم حكما كما فى باب « نعم وبئس (١) » ، وضميرى «رب والشأن» نحو : « نعم فصيحا سحبان (٢) » ، « بئس عييا باقل (٣) » ونحو : « ربه فتى » ، ومثل قول الشاعر :

هى الدنيا تقول بملء فيها   حذار حذار من بطشى وفتكى

فالمرجع فى « نعم وبئس » هو المخصوص بالمدح أو الذم ، وفى « رب » هو « فتى » ، وفى الحال والشأن هو لفظ « الدنيا » — وهو فى كل هذه المثل لم يتقدم لفظا ولا معنى ، ولكنه متقدم حكما من حيث ان وضع الضمير على أن يعود الى متقدم ، وانما أخر هنا لنكتة هى البيان بعد الابهام .

الى هنا ظهر جليا أن كل ما سبق من الأمثلة مما تقدم فيه المرجع على الضمير لفظا ، أو معنى ، أو حكما فصيح لخلوه من ضعف التأليف اذ أنه جرى على المشهور من قوانينهم ، وأن مالم يتقدم فيه المرجع أصلا كقولنا — فيما سبق — « أنقذ خادمه الأمير » غير فصيح لضعف تأليفه لأنه جرى على غير المشهور عندهم — وليس هذا من قبيل ما قدم فيه المرجع حكما لأن تأخير المفعول فى نحو المثال المذكور لا لنكتة بلاغية ، بل لأن مرتبته التأخير عن الفاعل .

---

(١) على رأى من يجعل المخصوص مبتدأ لخبر محذوف أو العكس .

(٢) هو سحبان وائل الخطيب المصقع ، والمضروب به المثل فى البلاغة والبيان نشأ فى الجاهلية وعاش الى زمن معاوية .

(٣) هو رجل من اياد كان شديد العى فى النطق اتفق أنه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما ، فقيل له بكم اشتريته ؟ ففتح كفيه وفرق بين أصابعه وأخرج لسانه ليشير بذلك الى العدد المذكور فانفلت الظبى من يده فضرب به المثل فى العى والفهاهة .

واذا فالفرق بين الاضمار قبل الذكر الموجب للضعف ، وبين الاضمار قبل الذكر الذى جعل من قبيل تقدم المرجع حكما وجود النكتة فى الثانى دون الأول — على أنهم قالوا : اذا قصدت النكتة فى مثل المثال المذكور ، وأن الغرض من تأخير المفعول هو البيان بعد الابهام كما فى « نعم وبئس » لم يبعد أن يكون فصيحا — غير أن الشأن فى مثل هذا التركيب ألا تلتمس له نكتة ، بخلاف الشأن فى باب نعم وبئس وغيرهما مما قدم فيه المرجع حكما ا ه .

وكالاضمار قبل الذكر فى تعطيل الكلام من حلية الفصاحة لضعف تأليفه الاتيان بالضمير متصلا بعد « الا » ، ونصب المضارع بدون ناصب مذكور فى الكلام — فالأول كما فى قول الشاعر :

وما علينا اذا ما كنت جارتنا ألا يجاورنا الاك ديار

يريد أن يقول : ان غاية ما أرجوه من متع الحياة أن أكون بجوارك فاذا حظينا بهذه الأمنية ، فقد نلنا كل شىء ، فلا يعنينا بعد ذلك ألا يجاورنا أحد .

والأصل الا اياك — والثانى كما فى قول الشاعر :

قبيح من الانسان ينسى عيوبه ويذكر عيبا فى أخيه قد اختفى

أى أن ينسى وأن يذكر .

التعقيد — هو أن يكون الكلام خفى الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع فيه (١) . وهو نوعان — لفظى ومعنوى .

---

(١) هذا تعريف للتعقيد بالمعنى الاصطلاحى الذى هو كون الكلام معقدا ، لا بالمعنى اللغوى الذى هو مصدر عقد المتكلم كلامه تعقيدا اذا أخفى المراد منه ؛ فانه بهذا المعنى لا يصح حمل التعريف المذكور عليه ؛ لأن التعقيد بهذا المعنى وصف للمتكلم والتعريف المذكور من صفات الكلام — واحترز بقوله : لخلل واقع فيه عما خفى المراد منه لا لخلل فيه بل لارادة المتكلم اخفاء المراد منه لحكمة كالذى ورد فى القرآن من المتشابه والمجمل والمشكل فلا تعقيد فيه .

التعقيد اللفظي — أن يكون الكلام خفى الدلالة على المعنى لخلل واقع فى نظمه وتركيبه بحيث لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعانى بسبب تقديم ، أو تأخير ، أو فصل ، أو حذف ، أو نحو ذلك مما يترتب عليه صعوبة فهم المعنى المراد — وهو على ضربين — شديد ، وخفيف .

فالشديد كما فى قول الفرزدق (١) يمدح ابراهيم بن المخزومى خال هشام بن عبد الملك ، أحد خلفاء بنى أمية :

وما مثله فى الناس الا مملكا   أبو أمه حى أبوه يقاربه

يريد أن يقول : ليس مثل الممدوح فى الناس حى يقاربه فى الفضائل الا مملكا (٢) أبو أم ذلك المملك أبو الممدوح أى لا يحاكيه أحد الا ابن أخته وهو « هشام » — ففيه فاصل كبير بين البدل وهو « حى » والمبدل منه وهو « مثله » وفيه تقديم المستثنى وهو « مملكا » على المستثنى منه وهو « حى » (٣) ، وفيه فصل بين المبتدأ والخبر وهما « أبو أمه أبوه » بأجنبى هو « حى » ، وبين الصفة والموصوف وهما « حى يقاربه » بأجنبى هو « أبوه » فانظر الى أى حد وصل تعقيد اللفظ حتى عمى المعنى ، واستغلق على الفهم (٤) .

---

(١) هو همام بن غالب بن صعصعة الشاعر التميمى الأموى المعروف وقد لقب بهذا اللقب لتقطيع وجهه بالجدرى على ما يروى .

(٢) أى رجل أعطى الملك والجاه يريد هشاما .

(٣) انما عد تقديم المستثنى من موجبات التعقيد فى البيت المذكور مع أنه جار على وفق قوانين النحاة لأن التعقيد يزداد به وهو مما يقبل التفاوت شدة وضعفا .

(٤) قيل ويمكن أن يخرج البيت على وجه لا تعقيد فيه فيجعل «الا مملكا» مستثنى من الضمير المستتر فى متعلق الجار والمجرور الواقع خبر «ما» أو خبر «مثله» على الخلاف فى جعل «ما» حجازية أو تميمية ، ويجعل «أبو أمه» مبتدأ «وحى» خبرا ، ويجعل «أبوه» خبرا بعد خبر ، والجملة صفة «لمملكا» ، وكذلك جملة «يقاربه» أى الا مملكا موصوفا بهذه الصفة ، وبأنه يقارب خاله فى الفضائل وعلى هذا القول يكون المراد بالحياة فى قوله : «حى» الشبوبية والفتوة ، وغاية ما يرد على هذا الوجه أن فيه نصب «مملكا» والمختار رفعه لتأخر المستثنى على المستثنى منه بعد النفى .

ومثل هذا البيت فى شدة تعقده قول الآخر :

فأصبحت بعد خط بهجتها   كأن قفرا رسـومها قلمـا

يصف الشاعر دارا بالية ــ وأصل الكلام : فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها ففيه من الفصل ، والتقديم ، والتأخير ما جعل التعقيد اللفظى فى أقبح صورة وأشنعها .

والخفيف : كما فى قول أبى الطيب المتنبى :

جفخت وهم لايجفخون بهابهم   شيم على الحسب الأغر دلائل

يصف قوما بحسن الشمائل ــ وأصل التركيب هكذا : جفخت بهم شيم دلائل على الحسب الأغر ، وهم لا يجفخون بها أى افتخرت بهم طبائع دالة على ما كان لآبائهم من مناقب ومفاخر وهم لا يفخرون بها لأنهم حاصلون على ما هو خير وأوفى ــ فقد فصل بين الفعل والفاعل ، وهما « جفخت شيم » بأجنبى هو جملة « وهم لا يجفخون بها » الواقعة حالا ، وفصل بين الصفة والموصوف ، وهما « شيم دلائل » بالجار والمجرور ، وهما قوله : « على الحسب الأغر » ــ ومثله . قول الفرزدق من قصيدة يصف بها ذئبا :

تعال فان عاهدتنى لاتخوننى   نكن مثل من «ياذئب» يصطحبان

يريد : نكن يا ذئب مثل من يصطحبان ــ ففصل بين الموصول وصلته وهما « من يصطحبان » بأجنبى هو قوله : « يا ذئب » ، فتعقد اللفظ نوع تعقد .

قيل : لا داعى لذكر التعقيد اللفظى بعد ذكر ضعف التأليف لأن ذكره مغن عن ذكر التعقيد المذكور اذ لاسبب لهذا التعقيد سوى ضعف التأليف ــ بل لقد ذهب بعضهم (١) الى أن ذكر أحدهما مغن عن ذكر الآخر أما اغناء الضعف فلما ذكرنا من أنه لا سبب للتعقيد

(١) هو العلامة الخلخالى .

سواه ، وأما اغناء التعقيد فلأنه لازم للضعف اذ أن تأليف الكلام اذا لم يكن على وفق المشهور من قوانينهم يوجب صعوبة فى فهم المراد منه لا محالة ، وذكر اللازم يغنى عن ذكر الملزوم كالضاحك للانسان فان ذكر الضاحك يغنى عن ذكر الانسان .

أجيب أولا : بأنا لا نسلم أن التعقيد اللفظى لا سبب له سوى ضعف التأليف ــ ذلك أن التعقيد المذكور قد يتحقق بدون الضعف كما فى قولك : « الا عمرا القوم هازم محمد » ففى هذا التركيب تقدم المستثنى على المستثنى منه ، والمفعول على اسم الفاعل ، والخبر على المبتدأ ، وكل هذه الأمور أجازها جمهور النحاة لجريانها وفق المشهور من قوانينهم ، والتركيب مع ــ ذلك ــ معقد لصعوبة فهم المراد منه فقد تحقق التعقيد بدون ضعف التأليف .

وأجيب ثانيا : بأنا لا نسلم بأن التعقيد لازم للضعف ، وأن كل ضعف يوجب تعقيدا فان فى قولنا : جاءنى أحمد « بالتنوين » ضعف تأليف لمخالفته قانون النحاة وهو ــ مع ذلك ــ خلو من التعقيد لظهور المعنى المراد منه فقد وجد الضعف من غير تعقيد .

وقد اجتمعا (١) فى قول الفرزدق السابق : « وما مثله فى الناس البيت » واذا بطل ما ادعاه صاحب القيل ، وما ذهب اليه الخلخالى ، وثبت أن ذكر أحدهما لا يغنى عن ذكر الآخر .

التعقيد المعنوى : ــ أن يكون الكلام خفى الدلالة على المعنى المراد لخلل فى انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم من اللفظ لغة الى المعنى الثانى المقصود بحيث يكون ادراك المعنى الثانى من الأول بعيدا عن الفهم ، يحتاج الى تكلف بسبب استعمال اللفظ فى معنى

---

(١) فبينهما العموم والخصوص الوجهى .

خفى لزومه للمعنى الأول (١) كقول العباس ابن الأحنف (٢) .

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا   وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

عبر بالسين الدالة على معنى التسويف — وان كان مراده الطلب فى الحال — لاعتبار لطيف هو أن البعد عن الديار — وان كان فى زعمه وسيلة للقرب من الأحبة ، وهو ما يأمله ويبتغيه — جدير أن يسوف ، ولا يطلب فى الحال لأنه فى ذاته مبغض ؛ غير مرغوب فيه — و « تسكب » برفع البـاء عطف على « أطلب » مجردا عن السـين لأن البكاء شعار المحبين ، وسمة العاشقين فالتسويف فيه لا يناسب حالهم — ولا يصح فيه نصب الباء لأنه اما أن يكون معطوفا على « بعد الدار » ، أو معطوفا على « لتقربوا » وهو لا يحسن فى الأول ، ولا يصح فى الثانى .

---

(١) اعلم أن المراد بخفـاء دلالة الكلام على المعنى المراد بطء ادراك المراد منه ، وأن المراد بخلل انتقال الذهن بطء انتقاله من المعنى الأصلى الى المعنى المراد بسبب استعمال المتكلم اللفظ فى اللازم الخفى أى فى معنى خفيت علاقته بالمعنى الأصلى — واذا فبطء انتقال الذهن من الأول الى الثانى سبب فى بطء فهم المعنى المقصود من اللفظ — كما أن سرعة انتقال الذهن من المعنى الأصلى الى المعنى المراد سبب فى سرعة ادراك المراد من اللفظ والمراد بالذهن ذهن السامع على ما هو الظاهر لأن الخفاء والظهور انما هو بالنسبة اليه ، وليس من شك أن السامع اذا سمع اللفظ فبطؤ انتقال ذهنه من المعنى الأول الى الثانى بسبب استعمال اللفظ فيما خفى لزومه للمعنى الأول خفيف عليه دلالة اللفظ أى بطؤ ادراك المراد منه « وحاصل المسألة » أن شرط فصاحة الكلام أن يكون المعنى الثانى المراد قريبا فهمه من المعنى الأصلى كمعنى «الكرم» المفهوم من كثرة الرماد فى قولك : محمد كثير الرماد وكمعنى «الشجاع» المفهوم من الأسد فى قولك : رأيت أسدا يعطى — فان كان المعنى الثانى بعيداً فهمه من المعنى الأول يحتاج فى ادراكه الى تكلف وتمحل بسبب استعمال اللفظ فيما لزم معناه لزوما خفيا كان الكلام معقدا فلا يكون فصيحا كما فى قول ابن الأحنف .

(٢) من ندماء هارون الرشيد وكان لطيف المجلس فكه الحديث .

أما أنه لا يحسن فى الأول فلأن سكب الدموع حينئذ يدخل فى حيز الطلب ، ولا يخفى أن الحزن والبكاء شعار العاشق المهجور ، لا ينفكان عنه بحال . فطلبهما اذا ضرب من العبث لحصولهما — اللهم الا أن يقال : ان المراد طلب استمرار السكب لا أصله ، وهذا الاحتمال هو سر عدم بطلان العطف على بعد الدار .

وأما أنه لا يصح فى الثانى فلأن تعليل طلب بعد الديار بالقرب يدل على أن المقصــود من طلب البعد قرب الأحبــة المقتضى للفرح والابتهاج ، فلو عطف على « لتقربوا » لكان طلب البعد معللا بالحزن المدلول عليه بسكب الدمع ، وتعليله به يقتضى أن المقصود من طلب بعد الدار حصول الحزن والكآبة له ، لا قرب الأحبة — فالتعليل الثانى حينئذ يفيد نقيض ما أفاده الأول واذا بطل النصب عطفا على «لتقربوا» — كما لم يحسن عطفا على « بعد الدار » ، وتعين الرفع عطفا على « أطلب » .

ومعنى البيت : أن ابن الأحنف يطلب البعد عن أحبته غير مبال بما يعانيه فى ذلك من غصص الفرقة ، وآلام النوى ، ويعتزم أن يوطن نفسه على تجرع كئوس الأسى لفراق من أحبهم ، وهام بهم عساه فيما بعد يحظى بوصل مقيم ، وفرح لا يزول — وكأنه بذلك يخادع الزمان ، ويغالطه ليوافيه بضد ما يطلب على عادة الدهر من محاربة النــاس فى مطالبهم ، ووقوفه حائلا دون ما يأملون ، وبذلك يتم للشاعر — فى غفلة الدهر — ما أراد من لقاء الأحبة ، والابتهاج والأنس بهم على حد قول الشاعر :

ولطالمــا اخترت الفراق مغالطا　　واحتلت فى استثمار غرس ودادى
ورغبت عن ذكر الوصال لأنها　　تبنى الأمور على خلاف مرادى

والشاهد فى بيت ابن الأحنف قوله : « لتجمدا » فانه لم يوفق

فى أداء المعنى الذى أراده من هذا اللفظ على وجه صحيح ــ ذلك أنه أراد أن يكنى عما قصده بكنايتين أصاب فى احداهما ، وأخطأه الصواب فى الأخرى .

بيان ذلك ــ أنه عبر أولا « بسكب الدمع » كناية عما يوجبه فراق الأحبة من الحزن والكمد . فأحسن . وأصاب المحز فى هــذه الكناية لسرعة فهم الحزن من سكب الدموع عرفا ــ فان البكاء عادة يكون أمارة الحزن ــ كما يكون الضحك عنوانا على الابتهاج والفرح، فيقال : أبكانى وأضحكنى على معنى : ساءنى وسرنى قال الشاعر :

أنزلنى الدهــر على حكمه من شــامخ عال الى خفض

أبكانى الدهــر ويا ربمــا أضحكنى الدهر بما يرضى

ثم عبر ثانيا « بجمود العين » كنــاية عما يوجبه اجتماع شمله بأحبته من السرور والابتهاج ، فأخطأه التوفيق فى هذه الكناية ــ ذلك أن جمود العين جفافها من الدمع عند الدافع اليه ، وهو الحزن على فراق الأحبة فجمودها حينئذ كناية عن بخلها بالدمع وقت الحاجة اليه ، لاعما أراده من السرور ــ يؤيد ذلك قول أبى العطاء يرثى ابن هبيرة :

ألا ان عينا لم تجد يوم واسط عليك بجارى دمعها لجمود

أى لبخيلة الدمع ، ومنه قول الخنساء ترثى أخاها صخرا :

أعينى جـــودا ولا تجمــدا ألا تبكيان لصخر الندى؟

أى أفيضا بالدمع ، ولا تبخلا به ــ كما يرشد الى ذلك قولهم : « سنة جماد » أى بخيلة بالقطر ، « وناقة جماد » لا تجود بالدر ــ ومن هنا لا يصح عندهم أن يقال فى مقام الدعاء للمخاطب بالسرور :

« لا زالت عينك جامدة » على معنى : لا أبكى الله عينك اذ هو دعاء عليه بالحزن ، لا بالسرور .

اذا علمت هـذا ظهر لك أن المعنى الذى أراده الشـاعر ، وهو « السرور » لا يفهم من « الجمود » اذ لا يدل عليه اللفظ لا لغـة ولا عرفا ــ اللهم الا مع ارتكاب شىء من التعسف (١) ومن هنا كان التعقيد فى المعنى ــ ومثل قول ابن الأحنف قول الشاعر :

أمنا أن تصرع عن سماح ... وللآمال فى يدك اصطراع

تصرع بتشديد الراء مع البناء للمجهـول بمعنى : تغلب وتمنع بشدة ، ويريد باصطراع الآمال فى يده : ازدحامها وتدافعها ــ يقول : أمنا أن يغلبك على أمرك غالب يحول دون سماحك وكرمك ــ والشاهد قوله : «وللآمال فى يدك اصطراع » حيث كنى باصطراع الآمال فى يده عن معنى الكرم ــ وهى كناية خفية الدلالة على ما أراد ، ذلك : أن معنى الاصطراع : الاطراح على الأرض يقال : اصطرع القوم وتصارعوا ألقى بعضهم ببعض على الأرض ، فاستعماله فى معنى الكرم غير ظاهر لخفاء اللزوم بين المعنين ــ كاستعمال جمود العين فى معنى السرور فلا بد اذا من ارتكاب شىء من التعسف وهو أن يستعمل الاصطراع أولا فى معنى التزاحم والتدافع ــ كاستعمال جمود العين فى الخلو من الدمع مطلقا ، وحينئذ يصح أن ينتقل منه الى معنى الكرم لأن الكريم عادة يزدحم على بابه ذوو الحاجات ؛ يطلبون معروفه :

---

(١) هو أن يستعمل الجمود الذى هو الخلو من الدمع حالة الحزن فى خلو العين من الدمع مطلقا والى هنا صح أن يكنى به عن السرور لأن المسرور تخلو عينه من الدمـع عادة ــ غير أن استعمال الجمود فى مطلق الخلو من الدمع لينتقل منه الى السرور مخالف لاستعمالاتهم ــ لهذا كان الكلام معقد المعنى .

يسقط الطير حيث ينتثر الحـ ب وتغشى منازل الكرماء

وهكذا كل كلام خفيت دلالته على المعنى المراد لخفاء اللزوم بين المعنيين يكون معقد المعنى .

تنبيهان :

الأول ــ زاد بعضهم عيبا رابعا على العيوب المخلة بفصاحة الكلام، وهو أن يكثر فيه التكرار (١) ، أو تتوالى فيه الاضافات .

فمثال التكرار قول أبى الطيب يصف فرسا له :

وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد(٢)

« سبوح » فعول بمعنى فاعل ، يستوى فى الوصف به المؤنث والمذكر ، وهو من السبح بمعنى العوم : يريد : أن فى جريها ــ مع شدة عدوها ــ سلاسة وسهولة كأنما تسبح فى المـاء (٣) ــ وقوله :

---

(١) التكرار هو ذكر الشيء ثانيـا بعد ذكره أولا ، وكثرته بذكره ثالثا ، والمراد بالكثرة ما فوق الواحد ، وانمـا شرط الكثرة لأن التكرار بلا كثرة لا يخل بالفصاحة والا قبح التوكيد اللفظى .

(٢) «تسعدنى» من الاسعاد وهو الاعانة والانقـــاذ ، « والغمرة » ما يغمرك من الماء وقد أراد بها الشدة «وسبوح» صفة لموصوف محذوف أى فرس سبوح ، «وشـــواهد» بمعنى دلائل فاعل الظرف وهو « لها » لاعتماده على الموصوف الذى هو «سبوح» ، ولم يجعل النظر خبرا مقدما لشواهد لاحتياج التقديم الى نكتة ولا نكتة هنا .

(٣) فيه اشارة الى أن اســتعمال «سبوح» فى الفرس العادية مجاز لأن السبوح فى الأصل كثير السبح فى الماء فاستعمل فى كثير الجرى على سبيل الاستعارة التبعية المصرحة اذ شبه الجرى الشديد السلس بالسبح فى الماء واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من السبح سبوح بمعنى جارية جريا شديدا مع سلالة .

« لهـا » وصف لسبوح ، وقوله : « منها » حال من شواهد (١) ، و « عليها » متعلق به .

يصف الشاعر فرسه بشدة الجرى وحسنه ، وأنها منجاة له من الشدائد بخفة حركتها ، وشدة عدوها ، وأن أمارات النجابة بادية عليها — والشاهد فى المصراع الثانى فان تكرار الضمير فيه أخل بفصاحته .

ومثال تتابع الاضافات قول ابن بابك :

حمامة جرعا حومة الجندل اسجعى
فأنت بمرأى من سـعاد ومسمع(٢)

يأمر الشـاعر حمامة هـذا الوادى بالسـجع والتطريب اعجابا بمحبوبته ، واحتفاء بها ، ولكى تسـمع وترى ما يسرها ويبهجها — والشـاهد فى المصراع الأول فان فيه اضـافات متتابعة اذ أضيف « حمامة » الى « جرعاء » المضافة الى « حومة » المضافة الى «جندل»، وهذا مخل بفصاحة الكلام .

هكذا زعم هذا القائل ، وفيه نظر لأن كثرة التكرار ، أو تتابع الاضافات ان ثقل اللفظ به على اللسان فقد دخل فى باب التنافر ، والا فلا يخل بالفصاحة كيف وقد ورد فى القرآن الكريم قال تعالى : « مثل دأب قوم نوح » ، وقال سبحانه : « ذكر رحمة ربك » ، وقال جل شأنه : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها » — الى غير ذلك مما نراه فى غير موضع من كتاب مقدس هو فى أعلى طبقات البلاغة ، لا ينكر عليه ذلك أحد — وقد اجتمع الأمران فى الحديث

---

(١) لأنه فى الأصل نعت لها ونعت النكرة اذا قدم عليها أعرب حالا .

(٢) «جرعاء» مؤنث أجرع وهو الأرض الجرداء لا تنبت شيئا وقصرت للضرورة ، « والحـومة » معظم الشىء « والجندل » الأرض ذات الحجارة «والسجع» تغريد الحمام ، وقوله : فأنت بمرأى الخ أى فى مكان تراك فيه سـعاد وتسمعك يقال : فلان بمرأى منى ومسمع أى بحيث أراه وأسمع قوله .

الشريف قال صلى الله عليه وسلم : الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم : ، فهذا الحديث جمع بين التكرار وتتابع الاضافات (١) .

الثاني — انما شرطنا فى فصاحة الكلام أن تسلم كل كلمة فيه من العيوب المخلة بفصاحتها لتعلم أن نحو : « محمد أصدق مودة من أخيه » ، ونحو : « شعر هند مستشزر » ، و « أنفها مسرج » غير فصيح ، مع أنه كلام سليم من العيوب المخلة بفصاحته ، فلا تنافر كلمات فيه ، ولا ضعف تأليف ، ولا تعقيد ، ولكنه لما لم يسلم من العيوب المخلة بفصاحة بعض أجزائه لم يكن فصيحا اذ الشرط فى فصاحة الكلام — كما قلنا — سلامته من عيوبه وعيوب أجزائه — كما تقول فى الأمثلة السابقة : « محمد أصدق مودة من أخيه » ، و « شعر هند مرتفع » ، و « أنفها مستقيم دقيق ، أو ناضر بهيج » .

وهذا هو معنى قول الخطيب فى تعريف فصاحة الكلام : خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد ، مع فصاحة الكلمات — وهم قد جعلوا الظرف حالا من الضمير فى « خلوصه » العائد على الكلام أى أن يخلص الكلام من هذه الثلاثة حال كونه فصيح الكلمات ليخرج بذلك نحو قولهم : شعر هند مستشزر فانه — وان خلص من الأمور المذكورة — غير فصيح لخلو بعض كلماته من الفصاحة (٢) .

---

(١) ذلك لأن الاضافات تشمل المتداخلة بأن يكون الأول مضافا للثانى والثانى مضافا للثالث وهكذا كما فى الآيتين الأوليين وغير المتداخلة كما فى الحديث — وكثرة التكرار تحصل بذكر الشيء ثالثا سواء كان المذكور ضميراً كما فى الآية الثالثة أو غير ضمير كما فى الحديث .

(٢) وقيل : الظرف حال من الكلمات أى أن يخلص الكلام من كذا وكذا ومن تنافر الكلمات حال كونها فصيحة وفى هذا التقدير فساد لأن الظرف حينئذ يكون قيدا للتنافر الداخل تحت النفى وهو الخلوص والقاعدة : أن النفى اذا دخل على مقيد بقيد توجه فى الغالب الى القيد وهو هنا فصاحة الكلمات فيكون المعتبر فى فصاحة الكلام انتفاء فصاحة الكلمات مع وجود التنافر وهذا عكس المقصود اذ المقصود انتفاء التنافر مع وجود فصاحة الكلمات فيدخل فى الفصيح ما ليس بفصيح ويكون التعريف حينئذ غير جامع .

اذا علمت هذا علمت أن كل كلام سلم من عيوبه ، وعيوب أجزائه عد فى عرف البلغاء فصيحا — وان لم يسلم من ذلك فقد تعطل جيده من حلية البلاغة .

فصاحة المتكلم :

هى ملكة أو صفة قائمة بنفس المتكلم راسخة فيه يستطيع بها أن يعبر تعبيرا صحيحا فصيحا عما يجول بخاطره ، ويجيش بصدره من الأغراض والمقاصد — فالمدار فى فصاحته على أن تكون هذه الصفة غريزة فيه يستطيع أن يستخدمها متى شاء فى أى ضرب من ضروب الكلام ، وفى أى فن من فنونه كالمدح ، والذم ، والرثاء والفخر ، والتشبيب ، وغير ذلك فهو فصيح وان لم ينطق متى كان فيه الاستعداد والقدرة على صوغ اللفظ الفصيح فان فقد هذا الاستعداد وهذه القدرة فهو غير فصيح — كما لا يكون فصيحا اذا استطاع أن يعبر بلفظ فصيح فى مقصد دون آخر اذا لم يكن ذلك وليد ملكة فيه .

وتكوين هذه الملكة انما يكون بممارسة أساليب العرب الفصحاء، والوقوف على أسرارها ، وحفظ الكثير من عيون كلامهم شعرا ونثرا .

اختبار

(١) تكلم بايجاز عن تاريخ نشأة العلوم البلاغية ، واذكر أشهر ما وضع فيها من كتب ، وأشهر واضعيها ، ثم بين ما يترتب على دراستها من فوائد ، مع ذكر ما تعرفه عن سعد الدين التفتازانى ، والخطيب القزوينى .

(٢) بين معنى الفصاحة فى اللغة ، ومثل لها بمثالين .

(٣) بين الأمور التى تخل بفصاحة كل من الكلام والكلمة ، ثم اذكر معنى المخالفة فى كل منهما ، مع التمثيل لما تقول .

(٤) هل يوصف المركب الناقص بالفصاحة ؟ فصل القول فى هذه المسألة .

(٥) افرق بين التعقيد اللفظى والمعنوى ، مع التمثيل ، وبم ترد على من اشترط فى فصاحة الكلام سلامته من كثرة التكرار ، وتتابع الاضافات ، وعلى من زعم أن ضعف التأليف مغن عن التعقيد اللفظى ؟

(٦) اختلف الرأى فى ضابط التنافر المخل بفصاحة الكلمة ، فوضح هذا الخلاف ، وبين ما استقر عليه الرأى .

(٧) وضح معنى التعقيد فى الكلام ، واذكر نوعيه ، ثم ان فى قول الأحنف : « وتسكب عيناى الدموع لتجمدا » كنايتين صوب النقاد احداهما ، وخطأوا الأخرى فما وجهتهم فى كلتيهما ؟ وهل لهم فيما صوبوه وخطأوه ناصر من اللغة ؟ بين ذلك بوضوح .

(٨) بين معنى الغرابة فى الكلمة ، ومرجع الغرابة فيها ، ثم علل غرابة « مسرجا » فى قول الراجز : وفاحما ومرسنا مسرجا .

(٩) عرف فصاحة المتكلم ، وهل اذا أجاد القول الفصيح فى معنى الفخر مثلا يكون فصيحا ؟ .

تمرينـــان

(١) مثل لمـــا يأتى من انشائك ما استطعت ــ كلام أخل بفصاحته التعقيد اللفظى ، وآخر أخل بفصاحته ضعف التـــأليف ، وثالث أخل بفصاحته تنافر الكلمات ، ورابع أخل بفصاحته غرابة بعض أجزائه ، وخامس أخل بفصاحته تنافر بعض أجزائه .

(٢) بين العيوب التى أخلت بفصاحة الكلمة أو الكلام فيما يأتى :

(١) قد قلت لما اطلخم الأمر وانبعثت
عشواء تالية غبسا دهاريسا[١]

(٢) فتنتنى فجننتنى تجنى
بتجن يفتن غب تجنى[٢]

(٣) يظل بموماة ويمسى بغيرها
جحيشا ويعرورى ظهور المسالك[٣]

(٤) لما رأى طالبوه مصعبا ذعروا
وكاد لو ساعد المقدور ينتصر[٤]

(٥) فلان على شصاصاء من أمره، أى على عجلة منه، وفلان سدك بفتح فكسر أى مشته للطعام ، وبفلان زلخة بضم الزاى وفتح اللام المشددة وفتح الخاء أى فى ظهره وجع ، وفلان شرب الاسفنط بكسر فسكون فكسر فسكون أى الخمر ، وفلان بيده خنشليل صقيل بضم الخاء وسكون النون وفتح الشين وكسر اللام أى سيف مصقول ماض.

(٦) الا الخائن الناس يحترم المليك . قدم أباك الأعزز .

(٧) زار داود دار أروى وأروى ذات دل اذا رأت داودا[٥]

---

(١) « اطلخم الأمر » اشتد و « العشواء » الناقة الضعيفة البصر و « الغبس » بضم فسكون جمع غبساء الشديدة الظلمة و « الدهاريس » الدواهى .

(٢) « تجنى » آخر المصراع الأول اسم امرأة ، و «بتجن» بتجرم ، و «يفتن» ينوع ، و «غب» عقب .

(٣) الموماة الفلاة الواسعة ، و «الجحيش» بفتح فكسر أو بضم ففتح المستبد برأيه ، و «اعرورى» الظهر ركبه عريانا يقول : انه جواب آفاق وجواس شعاب مستبد الرأى ، لا يثنيه عن عزمه اعتكار الليل ولا مجاهل الصحراء .

(٤) « مصعب » هو ابن الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله و « المقدور » القدر .

(٥) « أروى » اسم امرأة و « الدل » الدلال .

(٨) العقعقة صوت العقعق ، والنقنقة صوت الضفدع ، والسقسقه صوت العصفور .

(٩) وشوه ترقيش المرقش نقشه فأشياعه يشكونه ومعاشره[١]

(١٠) علمي الى علمك كالقرارة في المثعنجر (٢) .

(١١) ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لايظلم الناس يظلم (٣)

(١٢) السرطراط (٤) جميل يتناوله من هو في رخاخ (٥) من العيش

(١٣) لم يضرها والحمد لله شيء
وانثنت نحو عزف نفس ذهول (٦)

(١٤) أنت مصوون عن القبيح ، وهو مرضوي عنه .

(١٥) صان اللئيم وصنت وجهي ماله
وونى فلم يبـــذل ولم أتبـــذل

(١٦) ارتخش المهمل فزعا عند الامتحان أي اضطرب .

(١٧) ألا ليت شعرى هل يلوم قومه
زهيرا على ماجر من كل جانب؟

(١٨) فلا يبرم الأمر الذى هو حالل
ولا يحلل الأمر الذى هو يبرم (٧)

(١٩) ولا تجز رد ذى ســـؤال
فتى اذا فى الســــــؤال خفف

---

(١) « شوه » قبح ، و «الرقش والترقيش» الزخرفة .

(٢) أي علمي بالقياس الى علمك كالغدير الصغير بجانب البحر الكبير .

(٣) « يذد » من ذاد يذود بمعنى : دفع يدفع .

(٤) بكسرتين فسكون الفالوذ .

(٥) في رخاخ بفتح الراء في رغد .

(٦) ولم يضرها » من ضار يضير بمعنى ضر يضر ، « وانثنت » انعطفت ، و « عزفت » النفس عن الشيء عزوفا زهدت فيه وانصرفت عنه .

(٧) أبرم الأمر أحكمه يريد : أنه نافذ الرأى فلا يعدل عن حكمه ولا ينثنى عن عزمه .

(٢٠) « الدهرس » بفتح الدال وسكون الهاء وفتح الراء الداهية، والنسع بكسر النون وسكون السين ريح الشمال ، و « المشمخر » بضم فسكون ففتح فكسر العالى .

(٢١) قرب منا فرأيناه أسدا أى أبخر

(٢٢) حالت دون صفوى صهصليق[١] الحى . ركوب الطخرور[٢] معزة ومهابة . خير لحوم الخيل جلجلانها[٣] ، ملأ البعاق الجردحل[٤] .

(٢٣) ان بنى للئـام زهـدة
مالى فى صـدورهم من مودة [٥]

(٢٤) نعم متاع الدنيا حباك به
أروع لا جيـدر ولا جبس [٦]

(٢٥) بيضاء يمنعها تكلم دلها
تيها ويمنعها الحيـاء تميسـا [٧]

(٢٦) واذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم
خضـع الـرقاب نواكس الأبصـار

(٢٧) الى ملك ما أمـه من محارب
أبـوه ولا كانت كليـب تضـاهره

(٢٨) يوم عصبصب وهلوف ملأ السجسج طلا [٨] .

---

(١) بفتح فسكون ففتح العجوز الصخابة .
(٢) بضم فسكون فضم المهر .
(٣) الجلجلان بضم فسكون فضم القلب أو الصدر .
(٤) « البعاق » بكسر البـاء المطر ، و « الجردحل » بكسر فسكون ففتح فسكون الوادى .
(٥) زهدة جمع زاهد يقول أن أولاده عاقون لا يأخذهم به حنو ولا شفقة ، وأنهم لئام يقابلون احسانه لهم بالاساءة اليه .
(٦) «حباك» أعطاء ، «والأروع» هو الذى يعجبك حسنه و «الجيدر» بفتح الجيم والدال القصير ، و « الجبس » بكسر فسكون الثقيل الروح .
(٧) «الدل» والدلال بمعنى ، و «تميس» تميل .
(٨) « عصبصب » بفتحتين فسكون ففتح بمعنى عصيب شديد و «هلوف» بكسر الهاء وفتح اللام المشددة هو الذى يستر غمامه شمسه ، و «السجسج» الأرض ليست سهلة ولا صلبة ، و «الطل» المطر الخفيف .

(٢٩) بثينة شـأنها سـلبت فؤادى

بـلا ذنب أتيت بـه سـلاما

(٣٠) أكلت العرين ، وشربت الصمادح (١)

جواب التمرين الثانى

(١) فى « اطلخم » غرابة وتنافر ، وفى « غبس » و « دهاريس » غرابة .

(٢) فى البيت تنافر الكلمات مجتمعة لثقل النطق به ، وهو من النوع الشديد .

(٣) فى لفظتى « جحيش ويعرورى » غرابة يحتاجان الى بحث وتنقيب .

(٤) فى البيت فى مصراعه الأول ضعف تأليف لعود الضمير فى « طالبوه » على « مصعب » ، وهو متأخر لفظا ، ومعنى ، وحكما .

(٥) فى « شصاصاء » غرابة فى المعنى ،وتنافر فى الحروف ، وسدك ، وزلخة ، والأسفنط كل منها غريب يحتاج الى كشف لقلة تداوله ، « وخنشليل » غريبة متنافرة .

(٦) فى هذه العبارة تعقيد لفظى ، والوضع الفصيح أن يقال : يحترم المليك الناس الا الخائن ، و « الأعزز » مخالف للوضع وللقياس الصرفى والفصيح أن يقال : الأعز بالادغام .

(٧) فى البيت فى المصراع الأول تنافر الكلمات مجتمعة لثقل النطق بها .

(٨) فى هذه الكلمات تنافر حروف ظاهر .

(٩) فى البيت فى المصراع الأول تنافر كلمات واضح الثقل .

---

(١) « العرين » اللحم ، والصمادح بضم الصاد وكسر الدال المـاء الخالص .

(١٠) فى « المثعنجر » تنـافر حروف وغرابة تحتـاج فيهما الى بحث .

(١١) فى قول زهير : و « من لا يظلم النـاس يظلم » تعقيد معنوى اذ مراده : ومن لا يدفع عن نفسه بما أوتى من قوة وبأس ، وحسن رأى وتدبير يظلم ـــ فقد استعمل الظلم فى معنى الدفاع ، وهذا يحتاج الى جهد وتعمل لخفاء اللزوم .

(١٢) فى كل من السرطاط والرخاخ غرابة وتنافر .

(١٣) فى المصراع الثانى من البيت تنافر كلمات لثقل النطق بها على اللسان .

(١٤) فى كل من « مصوون ومرضوى » مخالفة للوضع وللقياس الصرفى والصواب : مصون ومرضى ـــ ففى الأول : حـذفت الواو الثانية لالتقاء الساكنين بعد نقل حركة الواو الأولى الى السـاكن قبلها ـــ وفى الثانى : اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء ، ثم ادغمت الياءان ، وكسرت الضاد للمناسبة .

(١٥) فى البيت تعقيد لفظى بسبب تقديم وتأخير أوجبا عـدم استقامة المعنى وخفاءه ، والوضع الفصيح هكذا ـــ صان اللئيم ماله وتوانى ، فلم يبذل ، وصنت وجهى ، ولم أتبذل .

(١٦) فى « ارتخش » غرابة يحتاج فيها الى بحث وتنقيب فى معاجم اللغة .

(١٧) فى البيت ضعف تأليف لأن الضمير فى « قومه » عائد على « زهيرا » وهو متأخر لفظا ، ومعنى ، وحكما ، وقد تقدم بيانه .

(١٨) فى « فى حالل ويحلل » مخالفة للوضع وللقياس الصرفى ، والفصيح فيهما : « حال ويحل » بادغام المثلين المتحركين .

(١٩) فى الشطر الأول من البيت تنافر كلمات ، يثقل على اللسان النطق بها .

(٢٠) الدهرس والنسع والمشمخر كلها كلمات غريبة لعدم تداولها .

(٢١) فى العبارة تعقيد معنوى لخفاء لزوم البخر للأسد عرفا فانتقال الذهن انما يكون من الأسد الى معنى الشجاعة لاشتهاره به ، لا الى معنى البخر لبعده عن خواطر الذهن .

(٢٢) فى كل من « صهصليق » و « الطخرور » ، و « الجلجلان » تنافر وغرابة ، وفى « البعاق » ، و « الجردحل » غرابة فقط .

(٢٣) فى « موددة » مخالفة لما ثبت عن الواضع ، وللقياس الصرفى ، والفصيح فيه : « مودة » بادغام المثلين .

(٢٤) فى « جيدر » ، وجبس ، غرابة لعدم تداولهما فى العربية الفصحى .

(٢٥) فى البيت ضعف تأليف بسبب نصب المضارع بدون ناصب والأصل : أن تكلم (١) ، وأن تميس .

(٢٦) فى « نواكس » مخالفة للوضع ، وللقياس الصرفى اذ لا يصح نقلا عن الواضع ، ولا فى القانون الصرفى جمع « فاعل » وصفا لمذكر عاقل على « فواعل » .

(٢٧) فى البيت تعقيد لفظى من النوع الخفيف ، والوضع الصحيح : الى ملك أبوه ما أمه من محارب ، ولا كان هو صهرا لكليب — فهو رفيع النسب أبا وأما .

(٢٨) فى الكلمات الثلاث غرابة لعدم تداولها فى اللغة الفصحى ، وفى ثالثتها تنافر .

(٢٩) فى هذا البيت تعقيد لفظى فى أقصى شدته حتى كاد التركيب يستغلق على فتيق الذهن ، فيقف حائرا أمام هذا الطلسم بسبب فحش خروجه عن أوضاع النحاة — والأصل : سلا بثينة : ما شأنها ؟ سلبت فؤادى بلا ذنب أتيت به .

(٣٠) فى « العرين والصمادح » غرابة لعدم تداولهما فى اللسان الفصيح .

---

(١) بحذف احدى التاءين أى أن تتكلم .

تمرين يطلب جوابه

بين العيوب التى أخلت بفصاحة الكلمة أو الكلام فيما يأتى :

نحن قوم فواهم ما تقول ، وقد جئناك فى يوم عصيصيب (١)

وازور من كان له زائرا   وعاف عافى العرف عرفانه(٢)

كتب بعض أمراء بغداد حين مرضـت أمه رقاعا ، وطرحها فى المسجد الجامع بمدينة السلام جاء فيها : « صين امرؤ ، ورعى دعا لامرأة انقحلة(٣) مقسئنة(٤) قدمنيت(٥) بأكل الطرموق(٦) ، فأصابها من أجله الاستمصال(٧) أن يمن الله عليها بالاطرغشاش » (٨) ، فكان كل من يقرأ كلامه يسلقه بحاد لسانه . يقول الشاعر :

أنى يكون أبا البرايا آدم   وأبوك والثقلان أنت محمد(٩)

---

(١) أى فى يوم شديد البرد .

(٢) «ازور» على زنة اعتد انحرف وابتعد ، «وعاف» كره ، «وعافى العرف» طالب المعروف ، «والعرفان» المعرفة والمعنى : تنحى عنه وقاطعه من كان يزوره ، وكره طالب الاحسان معرفته والاتصال به .

(٣) بكسر فسكون ففتح فسكون بمعنى يابسة .

(٤) بضم فسكون ففتح فكسر فنون مشددة بمعنى مسنة عجوز .

(٥) أصيبت .

(٦) بضم الطاء وسكون الراء وضم الميم الخفاش .

(٧) الاسهال .

(٨) بكسر الهمزة وسكون الطاء وكسر الراء البرء .

(٩) «البرايا» جمع برية وهى الناس عامة «والثقلان» الأنس والجن ، والوضع الفصيح لهذا البيت : أنى يكون آدم أبا البرايا وأنت وأبوك محمد الثقلان ، والمعنى : كيف تعقل أبوة آدم لكافة الناس فى حين أن هذا العالم أنسه وجنه هو أنت وأبوك محمد !.

قال امرؤ القيس : رب جفنة(١) مثعنجرة(٢) ، وطعنة مسحنفرة(٣)، وخطبة مستحضرة ، وقصيدة محبرة (٤) تبقى غدا بأنقرة (٥) .

كسـا حلمه ذا الحلم أثواب سؤدد

ورقى نداه ذا النـدى فى ذرا المجد (٦)

مر بى رجل مسعوى به عند الأمير . « فى رفع عرش الشرع مثلك يشرع » .

وما من فتى كنا من النـاس واحدا

بـه نبتغى منهـم عـديلا نبـادله (٧)

نشر الملك ألسنته فى المدينة يريد : جواسيسه . تسمع بالمعيدى(٨) خير من أن تراه . صون يديك عن الأذى . أسمع جعجعة وأنا أشرب السمالج (٩) .

البلاغة :

هى فى « اللغة » تنبىء عن الوصول والانتهاء لكونها وصولا خاصا . وهو أن يبلغ الرجل بعبارته كنه مراده أى غايته — يقال : بلغ (١٠) الرجل بلاغة اذا أصـاب من نفس مخـاطبه حاجته ، وبلغ منه ما أراد .

---

(١) الجفنة القصعة .　　(٢) متسعة .
(٣) متسعة .　　(٤) محسنة .
(٥) عاصمة تركيا الآن قال ذلك حين أدركه الموت .
(٦) «السؤدد» بضم السين وسكون الهمزة وضم الدال السيادة فاذا سهلت الهمزة فتحت الدال ، «والندى» الكرم يقول : ان الحلم والكرم أفضيا به الى العزة والسيادة ، ورقيا به الى أسمى مراتب المجد والشرف.
(٧) الوضع الفصيح لهذا البيت : وما من فتى من الناس كنا نبتغى واحدا منهم عديلا نبادلة به .
(٨) تصغير المعدى وهو مثل يضرب فيمن شهر وتزدرى مرآته .
(٩) الجعجعة صوت الرحى وصوت الجمال اذا اجتمعت والسمالج بضم السين وكسر اللام اللبن .
(١٠) على زنة شرف .

وهى « فى الاصطلاح » تختلف باختلاف موصوفها ، وهو أحد اثنين — الكلام ، والمتكلم . يقـال : هذا كلام بليغ ، وهذا متكلم بليغ — ولا توصف بها الكلمة ، فلا يقال : هذه كلمة بليغة لعدم ورود السماع بذلك (١) .

أما المركب الناقص فعلى رأى من يدخله فى الكلمة لا يوصف بالبلاغة أيضا ، وعلى رأى من يدخله فى الكلام يوصف بها — غير أن وصفه بالبلاغة على هــذا الرأى محل نظر لأن بلاغة الكلام — على ما سيأتى — مطابقته لمقتضى الحال ، ولا يكون الكلام مطابقا حتى يكون تاما مفيدا .

بلاغة الكلام

هى مطابقته لمقتضى (٢) حال الخطاب ، مع سلامته من العيوب المخلة بفصاحته ، وفصاحة أجزائه (٣) .

---

(١) هذا هو التعليل الصحيح — وقيل فى تعليل ذلك : ان البلاغة هى المطابقة لمقتضى الحال ، وهذه المطابقة انما تحصل بمراعاة المعانى الزوائد على أصل المعنى — كأن يراعى معنى التأكيد فى خطاب المنكر ، أو الايجاز فى خطاب الذكى وهذا المعنى لا يتحقق فى المفرد ، بل لا بد فيه من مركب مفيد وهو تعليل لا ينتج المدعى لأن المطابقة بالمعنى المذكور انما هى فى بلاغة الكلام والمتكلم على ما سيأتى — أما المفرد فيحتمل أن يكون له بلاغة بمعنى آخر لم نطلع عليه كما وجد ذلك فى فصاحة المفرد — فان أجيب بأن لا معنى للبلاغة عند العرب الا هذا المعنى فقد آل الأمر الى التعليل بعدم السماع كما قلنا .

(٢) المراد بمقتضى الحال مناسبه لا موجبه الذى يمتنع تخلفه عنه وانما أطلق عليه مقتضى لأن المستحسن عند البلغاء كالمقتضى .

(٣) علم من هذا التعريف أن البلاغة تتحقق برعاية هذه المطابقة . وأن لم يراع أداء المعنى المطابق فى طرق مختلفة الدلالة الذى هو موضوع علم البيان — كما اذا أدى المعنى المذكور بدلالات وضعية مطابقية — نعم اذا أدى هــذا المعنى بدلالات عقلية مختلفة الوضوح فلا بد فى بلاغة الكلام حينئذ من مراعاة كيفية الدلالة أيضا .

والمناسبة بين المعنى اللغوى والاصطلاحى هى أن الكلام اذا طابق مقتضى الحال وصل الى المطلوب عند البلغاء .

وحال الخطاب — أى المقام (١) الذى ورد فيه الخطاب — هى الأمر الداعى للمتكلم الى أن يعتبر (٢) فى كلامه شيئا خاصا زائدا على أصل المعنى .

ومقتضى الحال — هو ذلك الأمر الزائد الذى اعتبره المتكلم فى كلامه لاقتضـاء الحال اياه ، وهو مايسـمونه بالاعتبار المناسب ، أو الخصوصية .

ومطابقة الكلام لمقتضى الحال — هى اشـتماله على ذلك الشىء الزائد — مثال ذلك أن يقال لمنكر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم : « ان محمدا لرسول الله » ، فانكار المخاطب لهذه الرسالة « حال » لأنها أمر يحمل المتكلم على أن يعتبر فى كلامه شيئا خاصا زائدا على أصل المعنى هو « التأكيد » محوا لهذا الانكار كما فى المثال المذكور ، فان التأكيد — كما ترى — شىء زائد على المعنى الأصلى الذى هو ثبوت الرسالة لمحمد، وصورة هذا التأكيد التى وردت فى الكلام هى «مقتضى الحال » اذ أن الحال اقتضتها ، ودعت اليها — واشتمال الكلام على هذهالصورة هو معنى « مطابقته للمقتضى » — فهذا القول حينئذ بليغ

---

(١) الحال والمقام شىء واحد ؛ فهما متحدان ذاتا فكلاهما الأمر الداعى للمتكلم لأن يعتبر فى كلامه شيئا زائدا على أصل المعنى والاختلاف بينهما انما هو بحسب الاعتبار فان اعتبر ذلك الأمر الداعى أنه زمان لورود الكلام فيه سمى «حالا» وان اعتبر أنه محل لوروده سمى « مقاما » ، وكل ذلك لا يعدو التوهم والاعتبار والا فليس الأمر الداعى — كالانكار مثلا — زمانا ولا مكانا وانما هو سبب لورود الكلام على صورة خاصة — غير أنه لما كان لا بد لهذا الأمر من زمان ومكان يقع فيهـما سمى بأحدهما تارة وبالآخر أخرى فالتسمية حينئذ لأدنى ملابسة .

(٢) أى يلاحظ ويقصد فلا بد فى بلاغة الكلام من أن يكون مقتضى الحال مقصودا ملاحظا للمتكلم ولا يكفى حصوله من غير قصد والا لم يكن مقتضى حال ولم يعتبر الكلام حينئذ مطابقا لمقتضى الحال .

لأنه مطابق لمقتضى الحال أى مشـــتمل على ما تقتضيه الحـــال من التأكيد .

ومثل الانكار خلو الذهن كما تقول لخالى الذهن : « نجح أخوك فى الامتحان » ، فخلو ذهن المخاطب عن الحكم المذكور « حال » لأنها أمر يحمل المتكلم على أن يعتبر فى كلامه شيئا زائدا على أصل المعنى، وذلك الشيء هو تجريده عن صورة التأكيد اذ لا حاجة اليه حينئذ ، والتجريد عنه هو « مقتضى الحال » ، وورود الكلام مجردا عن التأكيد أى مشـــتملا على عدم التأكيد (١) هو معنى مطابقته للمقتضى فهذا القول اذا بليغ لأنه مطابق لمقتضى الحال أى مشتمل على ما يقتضيه الحال من التجريد عن التأكيد .

لكن قد يقال : ان القول المذكور الموجه لخالى الذهن ليس فيه أكثر من الدلالة على أصل المعنى الذى هو ثبوت النجاح لأخى المخاطب فأين الزيادة التى اقتضتها الحال ؟ ـ ويجاب بأن كون الاقتصار على أصل المعنى مقصودا لاقتضاء الحال له هو تلك الزيادة المطلوبة اذ أن هناك فرقا بين أن يكون الاقتصار على افادة أصل المعنى غير مقصود للمتكلم ، وبين أن يكون الاقتصار على ذلك مقصودا له لاقتضـــاء الحال اياه وهذا المعنى الأخير ـ بلا شك ـ زائد على الأصل .

ولهذا نظير فى بحث أحوال المسند اليه عند ايراده اسم اشـــارة كما تقول : « هذا محمد ، وذلك محمد » فان اللفظ فى المثـــالين لا يدل ظاهره على أكثر من المعنى الأصلى ، وهو كون المشار اليه قريبا أو بعيدا لأن « هذا » موضوع للقريب ، و « ذلك » للبعيد ، لكن علم المعانى لا ينظر لهذا اللفظ هذه النظرة المجردة ، ولا يقف به عند هذا الحد ، وانما ينظر اليه من ناحية الدواعى التى اقتضت استعماله فيما

(١) معنى اشتماله على عدم التأكيد اعتباره مجردا عنه لاقتضاء الحال اياه وهكذا يقال فيما ليس بلفظ من مقتضيات الأحوال .

وضع له — وفرق بين أن يكون اللفظ موضوعا لكذا ، وبين أن يكون مستعملا فى كذا من أجل كذا وهذا الأخير هو المعنى الزائد الذى يهدف اليه دائما هذا العلم .

وصفوة القول : أن مقتضى الحال لا يجب أن يكون من قبيل اللفظ كعدم التأكيد فى الخطاب المتقدم الموجه لخالى الذهن، وكاستعمال اسم الاشارة فى القريب أو البعيد كما مثلنا .

وكالانكار أيضا المدح فهو حال تدعو المتكلم لأن يورد كلامه على صورة الاطناب لأن مقام المدح يقتضى الاطالة فى القول ، والبسط فيه قضاء لحق الممدوح .

وكذلك ذكاء المخاطب حال تحمل المتكلم على أن يورد كلامه على صورة الايجاز لأن مقام الذكاء يقتضى الاختصار فى القول ، واستعمال العبـــارات ذات المعانى الدقيقة الخفية — وكل من صــــورتى الاطناب والايجاز مقتضى الحال ، واشتمال الكلام على هذه الصورة مطابقة للمقتضى — وهكذا يقال فى كل حال من أحوال الخطاب .

تنبيهــات :

الأول : — يؤخذ من ظاهر تعريف بلاغة الكلام أن البلاغة مرجعها اللفظ لأنها — على ما سبق — مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، والمطابقة صفة المطابق الذى هو الكلام الملفوظ به — واذا تكون البلاغة صفة راجعة الى اللفظ غير أن رجــوعها اليه لا من حيث ذاته ، ولا من حيث افادته المعنى الأول الذى هو النسبة بين الطرفين فان هذا المعنى مطروح فى الطريق ، فهو فى متناول عامة الناس ، فلا ينظر اليه البليغ — وانما رجوعها الى اللفظ من حيث افادته المعنى الزائد الذى اقتضاه المقام ؛ ودعت اليه الحال « كالتأكيد » مثلا بالنسبة للمنكر وكعدمه

بالنسبة لخالي الذهن ــ ولو كان مرجعها اللفظ بغض النظر عن المعنى الثاني البلاغي لتصور معنى البلاغة بدون اعتبار ما يناسب الحال من المقتضيات وذلك محال ا هـ .

الثاني : ــ تقدم أن الحال هي الأمر الداعي للمتكلم الى أن يعتبر في كلامه شيئا زائدا على المعنى الأصلي ــ غير أن هذا الأمر الداعي ــ تارة يكون داعيا في الواقع الى اعتبار هذا الشيء الزائد كما لو كان المخاطب منكرا حقيقة فان الانكار أمر داع في الواقع الى أن يعتبر المتكلم « التأكيد » في كلامه ــ ويسمى الأمر الداعي حينئذ « ظاهر الحال » ــ وتارة لا يكون داعيا في الواقع الى اعتبار ما ذكر كما لو نزل المخاطب غير المنكر منزلة المنكر لسبب ما فان ذلك الانكار التنزيلي ليس داعيا في الواقع الى اعتبار شيء في الكلام ، وانما هو داع في تقدير المتكلم وافتراضه فحسب بتزيله غير المنكر منزلة المنكر ويسمى الأمر الداعي حينئذ « حالا » فقط .

فظهر من هذا أن الحال هي الأمر الداعي للمتكلم الى أن يعتبر في كلامه شيئا زائدا على أصل المعنى ــ سواء كان ذلك الأمر داعيا في الواقع ، أو في عرف المتكلم فقط ــ وأن ظاهر الحال هو الأمر الداعي للمتكلم في الواقع لا غير ، وثبت حينئــذ أن الحال أعم مطلقا من ظاهر الحال ا هـ .

الثالث ــ أن ما تقدم من أن مقتضى الحال هو الشيء الزائد على أصل المعنى كالتأكيد في نحو : « ان محمدا لرســول الله » خطابا للمنكر ، وكالخلو منه في مثل : « محمد رسول الله » خطابا لخالي الذهن ــ وأن معنى المطابقة لمقتضى الحال هو اشتمال الكلام على هذا المقتضى كاشتماله على التأكيد « في المثال الأول » وعلى عدمه « في المثال الثاني » ــ ان هذا الذي تقدم هو خلاف التحقيق .

و « تحقيق المسألة » : أن مقتضى الحال هو الكلام الكلي المشتمل على الشيء الزائد « كالتأكيد » مثلا ، وليس هو التأكيد نفسه ــ

كما هو الرأى الأول ــ وأن مطابقة الكلام لمقتضى الحال هى كون الكلام الجزئى الصادر من المتكلم ،والمشتمل على الشىء الزائد على أصل المعنى مندرجا تحت الكلام الكلى الذى اقتضته الحال ، وجزئيا من جزئياته ، بمعنى أن الكلى صادق عليه ، شامل له ولأمثاله ــ فانكار رسالة محمد مثلا « حال » . ومقتضى هذا الحال هو مطلق كلام مؤكد بأى نوع من أنواع التوكيد ردا لهذا الانكار ، لا خصوص قولك ، « ان محمدا لرسول الله » ، ومعنى مطابقة هذا القول لمقتضى الحال الذى هو مطلق الكلام المؤكد : أنه فرد من أفراد هذا المطلق ، وجزئى من جزئياته ، فوضح الفرق بين القولين ــ وعلى كل من الرأيين فالحال لا تختلف اذ هى الأمر الداعى لاعتبار شىء خاص زائد فى الكلام ــ كما سبق ــ اه

الرابع ــ انما شرطنا فى بلاغة الكلام أن يسلم من العيوب المخلة بفصاحته ، وفصاحة أجزائه لتعلم أن البلاغة أخص من الفصاحة ، وأن كل كلام بليغ لا بد أن يكون فصيحا ، ولا عكس ــ فاذا قلت لمنكر : « ان أنف هند لمسرج » . أوقلت : « والله ليس بقرب قبر حرب قبر »، أوقلت : « ان محمدا لأصفى مودة من أخيه » لم يكن كلامك بليغا رغم أنه مطابق لما تقتضيه حال المخاطب ــ ذلك لفقدان شرط الفصاحة فيه ــ أما فى المثال الأول فلكون بعض أجزائه وحشيا غريبا ، وأما فى الثانى فلكونه متنافر الكلمات مجتمعة ، وأما فى الثالث فلكون بعض أجزائه مخالفا لما ثبت عن الواضع ، وللقياس الصرفى من وجوب ادغام المثلين المتحركين ــ واذا قلت لمن ينكر أمارة شوقى للشعر : « شوقى أمير الشعراء » من غير تأكيد كان كلامك فصيحا رغم عدم مطابقته لمقتضى حال المخاطب اذ أن حاله تقتضى التأكيد محوا لانكاره وانما كان فصيحا لسلامته من العيوب المخلة بالفصاحة :

فعلم من هذا : أن الكلام لا يكون بليغا حتى يكون فصيحا لأخذ شرط الفصاحة فيه وهو أن يكون سليما من العيوب المخلة بها ــ وأن الكلام يكون فصيحا وان لم يكن بليغا لعدم أخذ شرط البلاغة

فيه وهو أن يكون الكلام مطابقا وقد وضح لك ذلك من الأمثلة السابقة فتدبره اه .

اختلاف مقتضيات الأحوال :

مما تقدم تعلم أن مقتضيات الأحوال ، تختلف باختلاف تلك الأحوال ــ ذلك أن الحال سبب مقتض ، واختلاف الأسباب فى الاقتضاء يوجب اختلاف المسببات ــ فاذا كانت الحال انكارا من المخاطب مثلا كان المقتضى توكيدا ، أو كلاما مؤكدا ــ على القولين السابقين لأن ذلك هو اللائق بحال المنكر ــ وان كان الحال خلو ذهن المخاطب عن الحكم كان المقتضى خلوا من التأكيد ، أو كلاما خاليا منه لأن ذلك هو المناسب لحال خالى الذهن ــ وان كان ذكاء فى المخاطب كان المقتضى هو الايجاز ، أو الكلام الموجز ذا العبارات اللطيفة ، والمعانى الدقيقة ــ وان كان الحال وعظا كان المقتضى هو الاطناب ، أو الكلام المطنب ذا العبارات الصريحة الواضحة ليبلغ أعماق قلوب المخاطبين وهكذا لكل مقام مقال فالذى يعتبر فى مقام يخالف ما يعتبر فى مقام آخر فمقام تعريف المسند اليه مثلا يخالف مقام تنكيره ، ومقام تقديمه يغاير مقام تأخيره ، ومقام الايجاز ــ كما سبق ــ يباين مقام الاطناب ، وهكذا .

وللسوقة كلام لا يصلح لسراة القوم وأمرائهم ــ وفى مواقف الحروب ، أو الوعيد ، أو التهديد كلام يغاير ما يقال فى مواطن توديع الأحبة ، وبث الأشواق ، وذكر أيام الفراق ، وما قارب ذلك من معانى الاستعطاف والمعاذير ــ ففى الأول يستعمل اللفظ الضخم ، والمعنى الفخم ، وفى الثانى يستعمل اللفظ الرقيق الحاشية ، اللين المجس ، الناعم الملمس ، اللطيف الموقع .

ألا ترى الى قول بشار بن برد :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية
هتكنا حجاب الشمس أو أمطرت دما

اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة
ذرا منبر صلى علينا وسلما

والى قوله :

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى
وبالشوك والخطى حمر ثعالبه
غدونا له والشمس فى خدر أمها
تطالعنا والطل لم يجر ذائبه
بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه
وتدرك من نجى الفرار مثالبه
كأن مثار النقع فوق رءوسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
بعثنا لهم موت الفجاءة اننا
بنو الموت ، خفاق علينا سباسبه
اذا الملك الجبار صعر خده
مشينا اليه بالسيوف نعاتبه

والى قول البارودى :

وانى امرؤ لولا العوائق أذعنت
لسلطانه البدو المغيرة والحضر
من النفر الغر الذين سيوفهم
لها فى حواشى كل داجية فجر
اذا استل منهم سيد غرب سيفه
تفزعت الأفلاك والتفت الدهر

فانك اذ يقرع سمعك هذا الشعر لتحس معانى الرهبة تملأ جوانب نفسك وتملك عليك زمام قلبك وحسك .

ثم لا تلبث أن يمر بسمعك وأنت ثائر قول ابراهيم للمأمون :

«يا أمير المؤمنين» : ولى الثأر محكم فى القصاص، « والعفو أقرب للتقوى » ؛ ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب ، كما جعل كل ذى ذنب دونك ؛ فان أخذت فبحقك وان عفوت فبفضلك .

ذنبى اليك عظيم وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا فاصفح بفضلك عنه
ان لم أكن فى فعالى من الكرام فكنه

حتى تنقلب الثورة لطفا ، والقسوة عطفا ، كالصخرة الصماء تفتتها ليونة الماء ؛ فأنت ترى الألفاظ فى المقام الأول تنحدر كما تنحدر الصخور من شواهق ، وتراها فى الثانى تسيل كما يسيل العذب الفرات سائغا للشاربين .

بل ان لكل كلمة اذا قرنت بأخرى مقاما ليس لها اذا قرنت بغيرها — وان لنا فى القرآن الكريم لخير قدوة فى مراعاة مثل هذه الخصائص — فها هو ذا يحدثنا ، فيقول عز من قائل : « فاذا جاءتهم الحسنة (١) قالوا لنا هذه ، وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه » — فقد عبر فى جانب الحسنة بالفعل مصحوبا « باذا » الموضوعة للجزم والتحقيق لأن المقام مقام جزم ويقين اذ أن المراد مطلق حسنة بدليل تعريفها بأل الجنسية ، ومطلق الحسنة مجزوم بوقوعه — وأتى فى جانب السيئة بالفعل مصحوبا « بان » الموضوعة للشك والتردد لأن المقام مقام شك ، وعدم جزم بالحصول اذ أن السيئة بالقياس الى الحسنة المطلقة نادرة الوقوع ، والنادر مما يشك فى حصوله ووقوعه .

الى هنا وضح لك أن للفعل مع « اذا » مقاما ليس له مع « ان » لأن مقامه — مع « اذا » — الجزم ، ومقامه — « مع ان » الشك وهذا هو معنى قولهم المشهور :

(١) يريد بالحسنة الخصب والرخاء ، وبالسيئة الجدب والبلاء .

« ولكل كلمة مع صاحبتها مقام » ـ أى لكل كلمة « كالفعل » مع كلمة أخرى مصاحبة لها فى تركيب واحد « كاذا » مقام ليس لها مع كلمة أخرى « كان » كما تراه واضحا فى الآية الكريمة ـ ويتجلى لك هذا فى قولهم : « ان جاء محمد آتيك ، وآتيك اذا احمر البسر » ـ عبر أولا مع الفعل « بان » ، ثم عبر ثانيا « باذا » لأن مقام الأول الشك فى وقوع المجيء من محمد ، ومقام الثانى الجزم بوقوع احمرار البسر ولهذا لا يصح العكس فيه .

مراتب البلاغة :

مما سبق تعلم أن مراتب البلاغة تتفاوت فى العلو والانحطاط بتفاوت مراعاة تلك الأحوال والمقامات، واعتبار ما يناسبها من المقتضيات والخصائص ـ فكلما كانت رعاية تلك الأحوال أتم وأوفى كان الكلام أبلغ وأسمى ـ وكلما كانت تلك الرعاية أقل وفاء كان الكلام أدنى مرتبة ، وأقل بلاغة ـ فاذا كنت مثلا تخاطب ذكيا منكرا لحكم من الأحكام وجب ـ ليكون كلامك أسمى بلاغة ، وأدق صياغة ـ أن تراعى فى خطابك ذكاءه وانكاره معا ، فتعطى له من الكلام ما يلائم ذكاءه من الايجاز ، وما يناسب انكاره من التوكيد فاذا راعيت ذلك كان كلامك أرفع مكانة ، وأسمى مرتبة لأنه أكمل مطابقة لمقتضى حال الخطاب ـ وان راعيت فى الخطاب معه أحد الأمرين بأن أوجزت ولم تؤكد ، أو أكدت ولم توجز كان كلامك أقل بلاغة : وأحط مكانة ـ فان لم تراع الأمرين جميعا كان كلامك عاطل الجيد من حلية البلاغة ، بل كاد يلتحق بأصوات الحيوان .

كذلك اذا كنت تخاطب منكرا انكارا شديدا وجب أن تراعى قوة انكاره ، فتعطى له من التأكيد ما يتكافأ مع هذا الانكار الشديد ، ومتى راعيت ذلك كان كلامك فى المرتبة العليا لأنه أكمل مطابقة ، وأتم رعاية ـ وان لم تعط له من التأكيد ما يعادل انكاره بأن كان التأكيد أخف وزنا كان كلامك أحط قدرا ، وأهون شأنا ـ فان لم تراع انكاره

أصلا ، وخاطبته خطاب خالى الذهن كان كلامك غفلا من معنى البلاغة، بل كان بصوت الحيوان أشبه ــ وهكذا .

هذا وأما الطرف الأعلى للبلاغة ــ وهو ما تقطع عنده الأطماع، وتحار فيه العقول ، وتخرس الألسنة ، وتخر له أعناق الجبابرة ــ فذلك مرتبة الاعجاز ، وهو انما يكون بمراعاة جميع الأحــوال ــ ظاهرها وباطنها ، واعتبار ما يلائمها من المقتضيات ــ وهذا أمر فوق مقدور البشر انفرد به العليم الخبير ــ ولهذا كان القرآن فى أعلى طبقــات البلاغة لصــدوره عمن هو أعلم بكافة الأحوال ــ ظاهرها وخفيها ، وأدرى بمقتضياتها واعتباراتها تنزيل من حكيم حميد .

بلاغة المتكلم :

هى ملكة أو صفة قائمة بالمتكلم راسخة فيه ، يتمكن بها متى شاء من تأليف كلام بليغ فى أى معنى يريد فالمدار ــ كما قلنا فى فصاحة المتكلم ــ على أن تكون فيه هذه الغريزة يستخدمها « متى أراد » فى أى فن من فنون الكلام ــ فهو بليغ وان لم ينطق متى وجدت فيه هذه القدرة على صوغ الكلام البليغ ــ فاذا فقد هذه القدرة ، وحرم هذا الاستعداد لم يكن بليغا ــ كما لا يكون بليغا ــ اذا استطاع صوغ الكلام البليغ فى معنى دون آخر .

وقياسا على ما سبق من آن البلاغة أخص من الفصاحة يكون المتكلم البليغ أخص من الفصيح لأن المتكلم البليغ هو ــ كما قلنا ــ من به ملكة الاتيان بكلام بليغ ، والكلام البليغ ــ كما سبق ــ مشروط فيه الفصاحة ، وحينئذ لا يكون المتكلم بليغا حتى يكون فصيحا ــ أما المتكلم الفصيح فقد يفقد صفة البلاغة بأن يصوغ كلاما بريئا من العيوب المخلة بالفصاحة ، غير مطابق لمقتضى الحال كما اذا قلت لمنكر نجاح أخيه : نجح أخوك ــ مما تقدم فى تعريف البلاغة تعلم أن :

البلاغة يتوقف أمرها على شيئين :

الأول ــ الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد ، وهو معنى مطابقة الكلام لمقتضى حال الخطاب ــ على ما تقدم بيانه .
الثانى ــ السلامة من العيوب المخلة بالفصاحة ــ على ما فصلناه لك سابقا .

تتمة ــ علمت مما تقدم فى بيان تعريف الفصاحة والبلاغة ــ ما يعرض للفظ من عيوب ، وما ينتابه من خلل ، فيجمل بنا اذا أن نعرف : بم تتقى هذه العيوب ، وتتجنب هذا الخلل فى كلامنا حتى يخرج اللفظ سليما معافى فى جوهره ، وصيغته ، ومعناه لا يشكو عيبا ، ولا يحس نقصا ، فنقول :

١ ــ التنافر ملاك معرفته الذوق السليم ، فلا حاكم فيه سواه ، فهو الذى يدرك أن نحو : « مستشزر » متنافر ، دون مرتفع ، وهو الذى يحس ما بين الكلمات مجتمعة من تنافر ، أو تضافر .

ب ــ المخالفة يمكن الاحتراز عنها بالوقوف على ما نقل عن الواضع أو بالاطلاع على قواعد علم التصريف اذ هو الباحث فى صيغ المفردات، ونهج استعمالها ــ فمن ألم بقواعده عرف أن نحو: «الأجلل» مخالف دون « الأجل » اذ من قواعدهم : أن المثلين اذا اجتمعا فى كلمة واحدة ، وكان ثانيهما متحركا ، ولم يكن زائدا لغرض وجب ادغامهما .

حـ ــ الغرابة ــ يمكن اجتنابها بالاطلاع على علم متن اللغة ــ فمن تتبع معاجم اللغة ، ووقف على معـانى المفردات المستعملة علم أن ما عداها مما يفتقر الى تنقيب ، أو تخريج غير سالم من الغرابة .

د ـ ضعف التأليف والتعقيد اللفظى (١) ـ يمكن توقيهما بمعرفة قواعد النحو اذ هو الباحث فى طرق استعمال المركبات على الوجه الحق ـ فمن مارس هذا العلم ، ووقف على أصوله ومسائله استطاع أن يصوغ الكلام على نهج قويم سليم من شوائب الضعف والتعقيد

هـ ـ التعقيد المعنوى ـ يعرف من دراسة علم البيان ـ فمن زاول هذا العلم وأحصى مسائله عرف كيف يتوقى التعقيد فى معانى الكلام ، وكيف يبرزه فاتحا لك صدره ، كاشفا لك عن ضميره .

و ـ الخطأ فى تأدية المعنى المراد : أى فى تطبيق الكلام على مقتضى الحال ـ وذلك يعرف من مزاولة علم المعانى ـ فمن درس هذا العلم ، وكشف عن أمره ، واستشف أسراره عرف كيف يتحرج الخطأ فى تأدية المعنى المراد ، وكيف يطبق الكلام ، وفق مقتضيات الأحوال .

أما الوجوه التى تخلع على اللفظ خلعة البهجة والبهاء فتعرف من علم البديع اذ به نعرف كيف نحلى من اللفظ جيده العاطل بما يجليه للنواظر ، ويبرزه فى صورة تبهج القلب ، وتأسر اللب .

هذا والثلاثة الأخيرة هى المسماة بعلوم البلاغة ، وبعض الأئمة يسمى الكل « علم البيان » لأن البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما

---

(١) قد يقال : ان التعقيد اللفظى ليس بلازم أن يكون منشؤه مخالفة القانون النحوى ، بل قد يكون سببه اجتماع أمور كل منها جائز الاستعمال عند النحاة ، جار على قوانينهم كتقديم المفعول على الفاعل ، وتقديم المستثنى على المستثنى منه فكيف يبين مثل هذا فى علم النحو ؟ ـ ويجاب بأن تلك الأمور ـ وان كانت جائزة الاستعمال ـ قد خولف فيها الأصل اذ الأصل تقديم الفاعل على المفعول ، وتقديم المستثنى منه على المستثنى والنحو يبين فيه ما هو الأصل ، وما هو خلاف الأصل واذا يعرف به التعقيد اللفظى الناشىء من أمور خولف فيها الأصل .

فى الضمير — قال الجاحظ : البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى — وقال ابن المعتز : البيان ترجمان القلوب ، وصيقل العقول — ومنهم من يسمى الأولين « علم البلاغة » لأنهما يبحثان فى صلب المعنى المراد ، فتأثيرهما فى الكلام ذاتى ، لا عرضى — وبعضهم يسمى الجميع « علم البديع » لما فى مباحثه من الابداع والابتداع .

اختبار

(١) عرف معنى البلاغة لغة واصطلاحا ، وهل مرجع البلاغة اللفظ ، أو المعنى ، أو هما معا ؟ علل لما تقول .

(٢) بين متى يكون الكلام بليغا ، ثم وضح الفرق بين الحال وظاهر الحال ، مع التمثيل .

(٣) بين الخلاف فى معنى مقتضى الحال ، ومطابقة الكلام له موضحا ذلك فى مثال من عندك .

(٤) بين كيف كان قولك لخالى الذهن : « نجح أخوك » بليغا مع أنه لا دلالة فيه على أكثر من المعنى الأصلى الذى هو ثبوت النجاح لأخيه ، والبلاغة انما تعتمد على المعانى الزوائد على المعنى الأصلى .

(٥) بين الفرق بين الفصاحة والبلاغة موضحا ذلك بالمثال .

(٦) ايت بثلاثة أمثلة من عندك اختلفت فيها المقتضيات لاختلاف الأحوال والمقامات .

(٧) بين بالمثال كيف تتفاوت البلاغة علوا وانحطاطا .

(٨) متى يكون المتكلم بليغا ، واذا استطاع متكلم أن يؤلف كلاما فى الطبقة العليا من البلاغة فى أحد الأغراض كالمدح أو الرثاء فهل يعد فى شريعة البلغاء بليغا ؟

تمرينات

(١) ايت بمثالين من عندك تبين فيهما الحال ، ومقتضى الحال ، ومطابقة الكلام له على ما فى ذلك من خلاف .

(٢) بين الحال ، ومقتضاه ، ومطابقة الكلام له فيما يأتى (١) :

أ ـ المليك صالح تقى « لخالى الذهن » .

ب ـ ان المليك لحسن التدبير « للمنكر »

ج ـ رثى بعض الشعراء البرامكة ، وهو مذعور من الرشيد ، فقال :

أصبت بسادة كانوا عيونا بهم نسقى اذا انقطع الغمام

د ـ ما الحياة الا طيف خيال تريد التخصيص .

هـ ـ قال الشاعر ـ يريد تعجيل المسرة ـ :

هناء محا ذاك العزاء المقدما فما عبس المحزون حتى تبسما

و ـ الوزير العادل حضر ، والوزير العادل نصح وأرشد « تقول هذا لبليد » .

ز ـ خلق الانسان ضعيفا .

(٣) بين وجه خروج الجمل الآتية عن حد البلاغة :

(١) قال رجل لمنكر قدوم الأمير : الأمير قادم .

(١) أتيت بهـــذا التمرين وان كانت فيه احالة على الأبواب الآتية اتكالا على ارشاد الأستاذ ، وطمعا فى سـهولة القياس على ما ســـبق فى المقررات السابقة .

(٢) نزات بالعدو داهية خنفقيق أى شديدة .

(٣) قال الفرزدق يمدح خالدا ، ويذم أسدا أمير خراسان بعد خـالد :

وليست خراسان التى كان خالد بها أسدا اذ كان سيفا أميرها [١]

(٤) قتل أخوه اللص .

(٥) قال ابن نباتة فى خطبة يذكر فيها أهوال يوم القيامة : اقمطر [٢] وبالها ، واشمخر [٣] نكالها ، فما ساغت ، ولا طابت .

(٦) اذا جاوز الاثنين سر فانه بنشر وتكثير الوشاة قمين[٤]

جواب التمرين الثانى

١ ـ خلو الذهن « حال » ، وعدم التأكيد ، أو الكلام الخالى منه على الخلاف « مقتضى الحال » ، وورود الكلام على هذه الصورة « مطابقة لمقتضى الحال » ـ على ما علمته فى القولين السابقين من أنه مشتمل على عدم التأكد ، أو أنه فرد من أفراد مطلق كلام غير مؤكد وهكذا يقال فى أمثاله .

ب ـ الانكار « حال » . والتأكيد بان ولام الابتداء ، أو الكلام المؤكد « مقتضى الحال » ، وورود الكلام على هذه الصورة « مطابقة للمقتضى » .

جـ ـ الذعر من الرشيد « حال » ، وحذف الفاعل ، أو الكلام المحذوف منه الفاعل « مقتضى الحال » ، وورود جملة « أصيبت » على هذه الصورة من البناء للمجهول « مطابقة للمقتضى » .

---

(١) وأصل الكلام : وليست خراسان بالبلدة التى كان خالد بهـا سيفا اذ كان أسد أميرها ـ وفى « كان » الثانية ضمير الشأن والجملة بعدها خبر عنها .

(٢) على زنة اطمأن أى اشتد .

(٣) اشمخر على زنه اطمأن أيضا طال وامتد ، والنكال العذاب .

(٤) قمين بمعنى جدير يقول الشاعر : اذا تعدى السر شخصين لم يعد سرا خافيا فاذا شاع وذاع لم يكن ذلك بدعا لأنه خليق بذلك .

د ــ قصد التخصيص « حال » . والقصر بالنفى والاستثناء ، أو الكلام المقصور « مقتضى حال » وورود العبارة على هذه الصورة مطابقة للمقتضى .

هـ ــ قصد تعجيل المسرة « حال » ، وتقديم المسند اليه ــ وهو كلمة « هناء » ، أو الكلام المقدم فيه المسند اليه « مقتضى حال » : وورود البيت على هذه الصورة مطابقة لمقتضى الحال .

و ــ بلادة المخاطب « حال » ، وتكرير المسند اليه وهو كلمة « الوزير » أو الكلام المكرر فيه المسند اليه « مقتضى حال » ، وذكر الكلام على هذه الهيئة « مطابقة للمقتضى » .

ز ــ العلم بالفاعل « حال » ، وحذفه . أو الكلام المحذوف منه الفاعل « مقتضى حال » ، وذكر الكلام على هذه الصورة مطابقة للمقتضى .. وهكذا .

(١) القول المذكور غير بليغ لعدم مطابقته لمقتضى الحال اذ أن حال المخاطب تقتضى التأكد .

(٢) غير بليغ لأن فى بعض أجزائه غرابة فى المعنى ، وتنافرا فى الحروف وهذا مخل بفصاحة الكلام التى هى شرط فى بلاغته .

(٣) ليس البيت من البلاغة فى شىء لما فيه من تعقيد فى اللفظ خفى المعنى بسببه ، وهذا مخل بفصاحته المأخوذة شرطا فى بلاغته .

(٤) غير بليغ لفقدان الفصاحة لما فيه من الاضمار قبل الذكر مطلقا وهو ضعف فى تأليف الكلام .

(٥) خرج هذا القول عن حد البلاغة لأن فى بعض أجزائه غرابة فى المعنى وتنافرا فى الحروف ، وهما مخلان بالفصاحة التى هى أس البلاغة .

(٦) ليس البيت بليغا لفقدان فصاحته ، اذ أن فى بعض أجزائه وهو لفظ « الاثنين » بقطع الهمزة مخالفة للمنقول عن الواضع ، وللقياس الصرفى ،والمنقول والقياس وصلها ، لاقطعها .

تمرينان يطلب جوابهما

(١) بين الحال ومقتضاه ، ومطابقة الكلام للمقتضى فيما يأتى :

ان محمدا لخاتم النبيين « خطابا للمنكر » . ابراهيم رسول الله « لخالى الذهن » « يولج الليل فى النهار . ويولج النهار فى الليل » قولك لصياد يترقب صيدا : غزال . تريد : هذا غزال . قولك لآخر : النار تتصاعد من حقلك . تريد تعجيل المساءة . والدك حضر ، ووالدك يريد مقابلتك «خطابا لغبى بليد» . انما أنت ناجح «تريد التخصيص» . غادر منافق . تريد أن تقول : فلان غادر منافق ، فتحذفه خوفا منه . قال الشاعر :

سعدت بغرة وجهك الأيام ... وتبسمت ببقائك الأعوام

(٢) بين وجه خروج الجمل الآتية عن حد البلاغة :

قال رجل : والله ان محمدا لكريم الخلق « لغير منكر » . قال يحيى بن يعمر لرجل حاكمته امرأته : أئن سألتك ثمن شكرها (١) وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها ؟ قال الشاعر :

مالى فتنت بلحظك الفتاك ... وسلوت كل مليحة الاك

جزى ربه عنى عدى (٢) بن حاتم ... جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

---

(١) « الشكر » بفتح الشين وكسرها وسكون الكاف الفرج ؛ والشبر بفتح الشين وسكون الباء حق النكاح ، وتطلها تماطلها من طل يطل كنصر ينصر ، « وتضهلها » تنقص حقها من ضهل كمنع يمنع .

(٢) هو ابن حاتم المعروف بكرمه .

وقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل (1)
والشمس كاسفة ليست بطالعة تبكى عليك نجوم الليل والقمرا(2)

تصفحت الكتاب فاذا هو مصوون عن الحشو .

بح صوت المال مما منك يشكو ويصيح

علم البيان

واضعه ــ قدمنا فى مستهل الكتاب : أن أول من وضع فيه كتابا هو أبو عبيدة معمر بن المثنى ، أحد رواة اللغة المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ، وهو الكتاب المسمى « مجاز القرآن » ، ثم كتب فيه بعض الأئمة المبرزين كالجاحظ ، وأبى العباس المبرد ، وقدامة بن جعفر ، وأبى هلال العسكرى ، وابن المعتز ، وغيرهم ــ غير أن الفضل فى تنسيق قلائده للامام عبد القاهر الجرجانى فهو من هذه الناحية يعتبر واضع هذا الفن .

موضوعه ــ هو ايراد المعنى الواحد فى تراكيب مختلفة فى وضوح الدلالة عليه ــ كما سيأتى بيانه

فائدته ــ معرفة ما فى الكلام الفصيح من تشبيه ، ومجاز ، وكناية ، توصلا الى معرفة السر فى اعجاز القرآن ، وما اختصت به لغة قريش من سيادة وسلطان .

---

(١) «قلقل» حرك «وقلاقل» الأولى جمع قلقلة وهى الناقة السريعة ، وقلاقل الثانية جمع قلقلة بمعنى الحركة ؛ وضمير كلهن للعيس وهى النوق . والمعنى : حركت بسبب الهم الذى حرك نفسى نوقا خفافا فى السير والمراد أنه سافر ولم يعرج بالمكان الذى يلحقه به ضيم .

(٢) تقدير البيت . والشمس طالعة تبكى عليك ليست بكاسفة نجوم الليل والقمرا .

وفيه خمسة مباحث :

(١) مبحث التعريف (٢) مبحث الدلالة

(٣) مبحث التشبيه (٤) مبحث الحقيقة والمجاز

(٥) مبحث الكناية .

المبحث الأول ــ فى تعريف علم البيان .

معناه فى اللغة ــ الكشف والايضاح ــ يقال : فلان أبين من فلان أى أفصح وأوضح كلاما ــ وهو أيضا : المنطق الفصيح ، المعرب عما فى الضمير .

ومعناه « فى الاصطلاح » ــ علم يعرف به ايراد المعنى الواحد فى طرق وتراكيب مختلفة ، فى وضوح الدلالة عليه .

قيل : ان لفظ « علم » فى التعريف مشترك بين معنيين ــ أحدهما الملكه ــ وهى صفة قائمة بالنفس حاصلة من ممارسة قواعد الفن وأصوله ، وثانيهما قواعد هذا الفن وأصوله (١) ــ واستعمال اللفظ المشترك فى التعريف ، دون قرينة معينة لأحدهما يوقع فى حيرة من حيث انه لا يدرى المعنى المراد ــ وهذا ينافى الغرض من التعريف ، وما يقتضيه من الكشف والايضاح

وأجيب : بأن محل منع استعمال المشترك فى التعريف حيث أريد منه أحد معنييه ، أو أحد معانيه من غير تعيين ــ أما اذا صح أن يراد كل معنى يدل عليه اللفظ ــ كما هنا ــ فانه يجوز حينئذ أخذ المشترك فى التعريف اذ لا ضير فيه ــ على أن بين المعنيين المذكورين تلازما ذلك أن الملكة صفة راسخة فى النفس يقتدر بها على معرفة المسائل الجزئية ــ ومن المسائل الجزئية نشأت القواعد والأصول بسبب تتبع هذه الجزئيات فى أساليب العرب ، وبممارسة هذه القواعد والأصول تربت فى النفس ملكة ــ فالملكة اذا وليدة القواعد التى هى وليدة

(١) يطلق العلم أيضا على « الادراك » وانما لم يذكر هذا المعنى لاحتياج الكلام معه الى تقدير المتعلق بلا ضرورة داعية اليه .

الجزئيات المدركة بالملكة فقد استلزم كل منهما الآخر ، والمتلازمان بمثابة الشيء الواحد وكأنه لا اشتراك فى اللفظ .

ومعنى : ايراد المعنى الواحد فى الطرق المختلفة فى الوضوح : أن يعبر عنه بجملة تراكيب ــ بعضها أوضح دلالة عليه من بعض ــ سواء أكانت هذه التراكيب من قبيل التشبيه ، أو المجاز ، أو الكناية .

فالمعنى الواحد « كالجود » مثلا يمكنك ــ اذا كنت ملما بمسائل هذا الفن . عالما بأصوله وقواعده ــ أن تؤديه فى طرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه .

فتارة : من طريق التشبيه ، فتقول : «محمد كالبحر فى الامداد»، « محمد كالبحر » ، و « محمد بحر » فهذه تراكيب ثلاثة دالة على معنى « الجود » بعضها أوضح فى الدلالة عليه من بعض ، فأوضحها ما صرح فيه بوجه الشبه والأداة وهو الأول ، ويليه وضوحا ما صرح فيه بأحدهما وهو الثانى ، وأقلها وضوحا ما لم يصرح فيه بأحدهما وهو الأخير .

وتارة من طريق المجاز ، فتقول : « رأيت بحرا فى منزلنا » تريد محمدا مثلا . فتشبهه بالبحر فى الامداد ، ثم تستعير له لفظ «البحر» ــ كما ستعرفه بعد فى الاستعارة التحقيقية ــ وتقول : « لجة محمد تلاطم بالأمواج » فاللجة والتلاطم بالأمواج من أوصاف البحر مما يدل على تشبيه محمد بالبحر ــ وتقول : « غمر محمد بفضله جميع الأنام » فالغمر من أوصاف البحر مما يدل أيضا على أن محمدا مشبه بالبحر والمثالان الأخيران من قبيل الاستعارة المكنية ــ على ما سيأتى ــ وأوضح هذه الطرق « الأول » ، ويليه وضوحا « الثانى » ، وأقلها وضوحا « الثالث » (١) .

---

(١) أما أوضحية الأول فلظهور التجوز فيه بسبب التصريح باسم المشبه به ،وأما الثانى والثالث فلخفاء التجوز فيهما لعدم التصريح باسم المشبه به غير أن الثانى أوضح من الثالث لاشتماله على وصفين للمشبه به واشتمال الثالث على وصف واحد .

وتارة أخرى من طريق الكناية ، فتقول : « محمد كثير الرماد » ، و « محمد مهزول الفصيل » ، و « محمد جبان الكلب » — فهذه تراكيب ثلاثة تفيد معنى « الجود » لأن كثرة الرماد من كثرة احراق الحطب للطبخ من أجل الضيفان ، وهزال الفصيل يكون باعطاء لبن أمه للضيوف وجبن الكلب يكون لكثرة الواردين عليه من الأضياف — وأوضح هذه الطرق « الأول » ، ويليه « الثانى » ، ثم « الثالث » كما سيذكر بعد — ومثل الجود الشجاعة .

فتارة يعبر عنها من طريق التشبيه ، فيقال : «محمد كالرئبال[1] » فى شجاعته واقدامه .

وتارة من طريق الاستعارة ، فيقال : « رأيت ليثا يخطب القوم على المنبر فى المسجد الجامع » يريد : رجلا مقداما شجاعا .

وتارة أخرى من طريق الكناية ، فيقال : « زارنا أبو الهيجاء » [2] فان أبوته لها كناية عن ملازمته لها كما يلزم الأب ابنه ؛ وهذا كناية عن شجاعته واقدامه — وأوضح التراكيب دلالة على هذا المعنى هو الأول ، ويليه الثانى ، ثم الثالث ... وهكذا دواليك .

تنبيهات

الأول — أن « أل » فى « المعنى » الوارد فى التعريف للاستغراق العرفى ، لا الحقيقى لأن استحضار جميع المعانى — وهى لا تتناهى — فوق مقدور البشر فيكون المراد حينئذ : كل معنى واحد يدخل تحت قصد المتكلم — فلو استطاع انسان أن يورد معنى « الجود » فى تراكيب مختلفة فى الوضوح — على ما سبق بيانه — دون غيره من المعانى لم يكن بمجرد ذلك عالما بعلم البيان حتى يستطيع ذلك فى كل معنى يدخل تحت قصده وارادته اهـ .

---

(١) الرئبال الاسد . (٢) الهيجاء الحرب .

الثاني — أن فى التعريف تقييدين — تقييد المعنى « بالواحد » وتقييد الاختلاف « بوضوح الدلالة » .

أما الأول : فالغرض منه الاحتراز عن المعانى المتعددة ، المؤداة بطرق متفاوتة فى وضوح الدلالة على معانيها — بأن يكون تركيب فى معنـاه أوضح دلالة من تركيب آخر فى معناه كأن تعبر عن معنى « الجود » بقولك : « محمد كالسحاب فى الفيض » ، ثم تعبر عن معنى « الشجاعة » بقولك : « مر بى أسد فحيانى » فمن الواضح أن التركيب الأول معناه أوضح دلالة من الثانى فى معناه : ومثل هذا ليس من علم البيان فى شىء لأن المعنى فى العبارتين مختلف ، والشرط أن يكون المعنى فيهما واحدا — كما عرفت .

وأما الثاني : فالقصد منه الاحتراز عن الاختلاف فى مجرد اللفظ ، لا فى وضوح الدلالة كما اذا أوردت معنى واحدا فى تركيبين مترادفين ، وأنت عالم بمدلولات الألفاظ فيهما كأن تقول مثـلا : « نكهة (1) فم محمد كالطيب » ، ثم تقول : « رائحة ثغر محمد كالند » (2) — فمثل هذا ليس من مباحث علم البيان لأن التركيبين متماثلان فى وضوح الدلالة على المعنى ، والاختـلاف انما هو فى اللفظ والعبـارة فقط والشرط أن يكون الاختـلاف فى وضـوح الدلالة على المعنى كما وضح لك اهـ .

الثالث — اعلم أن الشرط فى المعنى المراد ايراده بالطرق المختلفة أن يكون مدلولا عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال ، ومعنى هذا : أن علم « البيان » لابد فيه من اعتبار « علم المعانى » ، وأن هذا من ذاك بمثابة المفرد من المركب فاذا قلت لمنكر جود محمد : « محمد كالسحاب فى الفيض » ، و « محمد غمر الناس بمعروفه » ، « ومحمد ندى الكف

---

(1) نكهة الفم رائحته .
(2) الند نوع من الطيب .

مبسوطها » لم تكن بيانيا لفقدان شرط المطابقة لمقتضى حال المخاطب اذ أن حاله تقتضى تأكيد هذه التراكيب ردا لانكاره .

فالتعريف : الكامل لعلم البيان حينئذ أن يقال : هو علم يعرف به ايراد المعنى الواحد المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال فى طرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه ا هـ .

المبحث الثانى : فى الدلالة

تعريفها ــ هى كون الشىء بحيث يلزم من العلم به العلم بشىء آخر كدلالة لفظ « محمد » على الذات المعينة اذ يلزم من العلم بمحمد ــ أى العلم بوضعه للذات المعينة ــ العلم بهذه الذات أى فهمها منه ، والأول هو الدال ، والثانى هو المدلول .

وقيل فى تعريفها : فهم أمر من أمر ، كفهم الذات المعينة من اللفظ فى المثال المذكور فالأمر الأول « فى العبارة المذكورة » هو المدلول ، والثانى هو الدال عكس الأول ــ ولما لم تكن كل دلالة تقبل الاختلاف فى الوضوح وجب أن تقسم الدلالة ، ثم يعين المقصود منها .

تقسيمها : الدلالة ــ باعتبار الدال ــ قسمان : لفظية ، وغير لفظية .

فاللفظية : ما كان الدال فيها لفظا كدلالة لفظ « انسان » على الحيوان الناطق ، وكدلالة لفظ « أسد » على الحيوان المفترس .

وغير اللفظية : ما كان الدال فيها غير لفظ كدلالة الدخان على النار ، وكدلالة حمرة الخد على الخجل ، أو صفرته على الوجل ،

وكدلالة الاشارة الخاصة على معنى « نعم » أو « لا » ــ وهذه الدلالة لا علاقة لها بمباحث علم البيان .

واللفظية : أقسام ثلاثة ــ وضعية ، وعقلية ، وطبيعية .

فالوضعية : ما كان للوضع فيها مدخل كدلالة «الانسان» على الحيوان الناطق ــ فالربط بين الدال والمدلول من وضع الواضع أى تعيينه هــذا اللفظ لهذا المعنى ــ ومثله دلالة الفرس على الحيوان الصاهل .

والعقلية : ما كان قوامها « العقل » كدلالة الصوت على حياة صاحبه كما اذا سمعت صوت انسان من وراء جدار ــ فالرابط بين الدال والمدلول فى هذه الدلالة هو العقل لا غير .

والطبيعية : ما كان قوامها « الطبع » كدلالة التأوه على الوجع ــ فالرابط بين الدال والمدلول فى هذه الدلالة هو الطبع اذ أن طبع المريض أن يتأوه عند استشعاره بالألم ــ والدلالتان الأخريان لا علاقة لهما أيضا بعلم البيان .

والأولى ــ وهى اللفظية الوضعية ــ أقسام ثلاثة كذلك : مطابقية وتضمنية ، والتزامية .

فالمطابقية ــ أن يدل اللفظ على كامل معناه الموضوع له كدلالة الانسان على الحيوان والناطق ، ودلالة الأسد على الحيوان والمفترس ــ وسميت مطابقية لتطابق اللفظ والمعنى أى تساويهما لأن الواضع انما وضع لفظ « انسان » ليدل على مجموع الحيوان والناطق ــ كما وضع لفظ « أسد » ليدل على مجموع الحيوان والمفترس .

والتضمنية ــ أن يدل اللفظ على جزء معناه الموضوع له كدلالة « الانسان » على الحيوان فقط ، أو على الناطق فقط . وكدلالة « البيت » على السقف أو الجدار ــ وسميت تضمنية لأن الحيوان أو الناطق جزء معنى الانسان ، وداخل فى ضمنه لأن الواضع ــ كما

قلنا — انما وضع لفظ « انسان » ليدل على الحيوانية والناطقية معا — كما وضع لفظ « بيت » ليدل على جميع أجزائه — فدلالة الانسان على الحيوان فقط ، أو على الناطق فقط دلالة تضمنية كما أن دلالة البيت على السقف فقط ، أو الجدار فقط تضمنية كذلك لأن الكل متضمن لأحد أجزائه (١) .

والالتزامية — أن يدل اللفظ على لازم معناه الموضوع له كدلالة « الانسان » على الضحك ، وكدلالة « حاتم » على الجود ، « والأسد » على الجرأة — وسميت التزامية لأن الضحك ليس معنى الانسان . ولا جزء معناه ، وانما هو أمر خارج عن معناه ، لازم له — وكذلك الجود لحاتم ، والشجاعة للأسد فكلاهما لازم للمعنى الموضوع له « حاتم والأسد » (٢) .

تنبيهان :

الأول — يكفى لدلالة الالتزام أن يكون التلازم بين الشيئين فى الذهن وهو ما يلزم من حصول المعنى الموضوع له فى الذهن حصوله فيه كالتلازم الذى بين الانسان والضحك اذ يلزم من حضور معنى الانسان وهو « الحيوان الناطق » فى الذهن حضور معنى الضحك فيه — وكالتلازم الذى بين الأسد والشجاعة اذ يلزم من تصور معنى الأسد وهو « الحيوان المفترس » تصور معنى الشجاعة — أما التلازم

---

(١) صورة الدلالة التضمنية أن يسألك سائل مشيرا الى شبح : أناطق هذا أم صاهل ؟ فتقول : هو انسان ، فيفهم أنه ناطق فقد دللت بانسان على الناطق دلالة تضمنية لأن النطق جزء معنى الانسان .

(٢) صورة الدلالة الالتزامية أن يسألك سائل مشيرا الى شبح : أجماد هذا أم متحرك بالارادة ؟ فتقول : هو انسان ، فيفهم السائل أنه متحرك بالارادة ؛ فقد دللت بانسان على المتحرك بالارادة دلالة التزامية لأن المتحرك بالارادة وصف لازم للانسان .

فى الخارج فليس بشرط فان وجد مع التلازم الذهنى كان حسنا كالتلازم الذى بين الزوجية والأربعة فان الزوجية ــ كما يبدو بداهة ــ لازمة للأربعة ذهنا وخارجا ــ وان لم يوجد التلازم الخارجى فلا ضير كالتلازم الذى بين العمى والبصر فان البصر لازم للعمى ذهنا فقط اذ يلزم من تصور معنى العمى تصور معنى البصر لأن العمى فقد البصر ممن شأنه الابصار أما فى الخارج فبينهما التعاند كما ترى .

كذلك يكفى فى دلالة الالتزام أن يكون التلازم بين الشيئين وليد عرف عام أو خاص ، أو وليد التأمل فى القرائن والأمارات ــ فالأول كالتلازم الذى بين الأسد والشجاعة فقد تعارف عامة الناس على أن الشجاعة لازمة للأسد ــ فاذا قال انسان : فلان جبان ، فرد عليه آخر بأنه أسد فهم أنه شجاع والثانى كالتلازم الذى بين كثرة الرماد والكرم ، والذى بين الفاعل النحوى وحركة الرفع ، والذى بين بلوغ الماء عشرا فى عشر وعدم تأثره بالنجاسة ، والذى بين اختلاج العين ولقاء الحبيب ــ فالتلازم الذى بين هذه الأنواع مما أثبته العرف الخاص فقد تعارف علماء البيان على أن الكرم لازم لكثرة الرماد ــ فاذا قال بيانى : فلان بخيل ، فرد عليه بأنه كثير الرماد فهم منه أنه كريم ــ وتعارف علماء النحو على أن حركة الرفع لازمة للفاعل النحوى فاذا قال أحد النحاة : أقبل محمدا بالنصب ، فرد عليه بأن « محمدا » فاعل فهم أن الواجب رفعه ــ وتعارف علماء فقه الأحناف على أن عدم قبول الماء للنجاسة لازم لبلوغه عشرا فى عشر فاذا سأل أحدهم : أينجس هذا الماء اذا وقعت فيه نجاسة ؟ فأجيب : أنه يبلغ عشرا فى عشر فهم أنه لا ينجس ــ وتعارف بعض الناس على أن لقاء الحبيب لازم لاختلاج العين فاذا قلت لأحد هؤلاء : عينى تختلج فهم من ذلك أنك ستلقى حبيبا الى غير ذلك ــ والثالث كالتلازم الذى بين تغير العالم وحدوثه فاذا قيل : العالم متغير فهم بعد التأمل فى الدلائل والأمارات أنه حادث .

وقد يكون التلازم وليد التعريض فاذا قلت لآخر يسيء اليك : أنا لست بفاجر فهم منك أنك ترميه بالفجور .

هذا وليس بين الأشياء المذكورة تلازم عقلى فقد يتصور العقل أسدا جبانا — كما يتصور كثرة رماد بدون كرم — كما يتصور فاعلا منصوبا أو مجرورا — كما يتصور اختلاج عين بدون لقاء حبيب — وهكذا .

واذا فالتلازم العقلى — وهو مالا يتصور العقل انفكاكه — ليس بشرط فى دلالة الالتزام كالتلازم الذى بين الأربعة والزوجية ، أو بين الثلاثة والفردية اذ لا يتصور العقل أربعة بدون زوجية ، أو ثلاثة بدون فردية — ولو أن التلازم العقلى شرط لخرج كثير من المعانى المجازية والكنائية عن أن تكون مدلولات التزامية مثل قولك : رأيت أسدا تريد : رجلا شجاعا ، وكقولك : فلان كثير الرماد أى كريم اذ لا تلازم عقلا بين الأسد والشجاعة ، ولا بين كثرة الرماد والكرم ، ولم يقل بذلك أحد .

الثانى — اصطلح البيانيون على تسمية المطابقية « وضعية » لأن الواضع وضع اللفظ لتمام معناه لا لجزئه ولا للازمه — « فالانسان » مثلا وضعه الواضع لمجموع الحيوان والناطق ، ولم يضعه لواحد منهما ، ولا لوصف لازم « كالضحك » مثلا — فقوام هذه الدلالة هو العلم بالوضع . دون حاجة الى شيء آخر وراءه — واصطلحوا على تسمية كل من التضمنية والالتزامية « عقلية » لأن دلالة اللفظ على جزء معناه ، أو على لازم هذا المعنى متوقفة على أمر عقلى زائد على العلم بالوضع — وهو أن وجود الكل أو الملزوم يستلزم وجود الجزء أو اللازم . « فالانسان » مثلا موضوع لمجموع الحيوان والناطق ، فمجرد العلم بهذا الوضع ليس كافيا فى جعل لفظ « انسان » دالا على جزء معناه « كالناطقية » مثلا ، أو على لازمه « كالضاحكية » بل لابد — مع

العلم بهذا الوضع ــ من انتقال العقل من المعنى الموضوع له «انسان» الى جزئه ضرورة أن الكل يتضمن الجزء ، أو الى لازمه ضرورة ان الملزوم يستلزم اللازم ــ وانما اقتصر على العقل فى تسمية هاتين الدلالتين . مع أن كلا من العقل والوضع سبب فيهما لأن سببية العقل أقرب من سببية الوضع ــ ذلك أن انتقال العقل من الكل الى جزئه أو من الملزوم الى لازمه انما جاء بعد العلم بوضع اللفظ لهذا الكل، أو لهذا الملزوم فهو لذلك سبب قريب ، والذهن الى القريب أكثر التفاتا منه الى البعيد (١) .

والمقصود بالبحث فى هذا الفن هو الدلالة العقلية بنوعيها اذ هى التى يتأتى فيها الاختلاف فى الوضوح الذى هو موضوع هذا الفن .

بيان ذلك ــ فى التضمنية : هو أنه يجوز أن يكون المعنى الواحد جزءا من شىء « كالجسم » فانه جزء من الحيوان ، وأن يكون جزءا لجزء من شىء آخر « كالجسم » أيضا فانه جزء من الحيوان الذى هو جزء من الانسان واذا تكون دلالة الحيوان على الجسم الذى هو جزؤه المباشر أوضح من دلالة الانسان على الجسم الذى هو جزء جزئه ــ ومثل الجسم ــ فيما قلنا ــ « التراب » فانه جزء من الجدار الذى هو جزء من البيت ، وحينئذ تكون دلالة الجدار

(١) أما جمهور المناطقة فيسمون الدلالات الثلاث وضعية لأن للوضع مدخلا فيها، وهم يعتبرون فى تسميتها وضعية السبب البعيد لأنه الأصل، ويخصون العقلية ــ سواء كانت لفظية أولا ــ بما يقابل الوضعية والطبيعية كدلالة الدخان على النار ودلالة اللفظ على حياة اللافظ فالدلالة عندهم ثلاثة أقسام ــ عقلية كما مثلنا ، ووضعية كالمطابقية واختيها ، وطبيعية كدلالة الحمرة على الخجل ، ودلالة التأوه على المريض ــ بخلاف البيانيين فان العقلية عندهم لاتقابل الوضعية اذ الوضعية قد تكون عقلية كالتضمنية والالتزامية ــ كما عرفت .

على التراب الذى هو جزؤه المباشر أوضح من دلالة البيت على التراب الذى هو جزء جزئه .

وبيان ذلك فى الالتزامية : هو أنه يجوز أن يكون للازم الواحد عدة ملزومات ، لزومه لبعضها أوضح منه لبعضها الآخر « كالكرم » مثلا فانه لازم ، وله جملة ملزومات تستلزمه ، وتدل عليه — هى كثرة الضيفان ، وكثرة الطبخ ، وكثرة احراق الحطب ، وكثرة الرماد — فهذه الأمور الأربعة تستلزم الكرم ، وتدل عليه اذ يلزم من وجودها وجوده — غير أن دلالة بعضها عليه أوضح من دلالة بعضها الآخر — فدلالة كثرة الأضياف على «كرم محمد» مثلا أوضح من دلالة كثرة الطبخ عليه لأن كثرة الأضياف أقرب الى معنى «الكرم» من كثرة الطبخ فقولك : «محمد كثير الأضياف» أدل على كرمه من قولك : «محمد كثير الطبخ» اذ لا واسطة بين كثرة الأضياف ومعنى «الكرم» — ودلالة كثرة الطبخ على «الكرم» أوضح من دلالة كثرة احراق الحطب عليه لأن كثرة الطبخ أقرب الى معنى «الكرم» من كثرة الاحراق فقولك : «محمد كثير الطبخ» أدل على كرمه من قولك : «محمد كثير احراق الحطب» لقلة الوسائط بين كثرة الطبخ والكرم — ودلالة كثرة احراق الحطب على معنى «الكرم» أوضح من دلالة كثرة الرماد عليه لأن كثرة الاحراق أقرب الى معنى «الكرم» من كثرة الرماد فقولك : «محمد كثير احراق الحطب» أدل على كرمه من قولك : « محمد كثير الرماد » لقلة الوسائط فى الأول ، وكثرتها فى الثانى — وهكذا كلما كان الملزوم أقرب الى لازمه كانت دلالته عليه أوضح — واذا فأوضح هذه الدلالات على «الكرم» دلالة كثرة الضيفان عند محمد ، وأقلها وضوحا دلالة كثرة الرماد عنده — كما رأيت — .

هذا : وقد يكون مناط الاختلاف فى الوضوح كثرة الاستعمال وقلته بغض النظر عن الواسطة كما فى معنى «الكرم» فقد دلت عليه جملة ملزومات هى كثرة الرماد ، وهزال الفصيل ، وجبن الكلب ،

وأوضحها دلالة على معنى « الكرم » ، وأسرعها انتقالا اليـه هـو «كثرة الرماد» لكثرة استعماله فى هذا المعنى فى حين أنه أكثر وسائط من أخـويه .

الى هنا وضح لك اختلاف الوضوح فى الدلالتين العقليتين ــ التضمنية والالتزامية بما لايقبل المزيد .

أما الدلالة الوضعية المطابقية التى هى دلالة اللفظ على تمـام معناه فليست من مباحث هذا الفن اذ لا يتأتى فيها الاختـلاف فى الوضوح .

بيان ذلك : أن السامع لا يخلو حالة من أمرين :

(١) أن يكون عالما بوضع الألفاظ لمعانيها . (٢) ألا يكون عالما بهـذا الوضع .

فان كان الأول فلا تفاوت فى الدلالة على المعنى لأن كل لفظ معلوم وضعه لمعناه ــ وان كان الثانى فقد انعدم فهم المعنى من اللفظ لتوقف الفهم على العلم بالوضع ، وفهم المعنى من اللفظ هـو معنى « الدلالة » اذ هى ــ على أحد القولين السابقين ــ فهم أمر من أمر واذا انتفى الفهم المذكور الذى هو الدلالة فلا اختـلاف فى الوضوح اذ لا يتصور اختلاف وضـوح فيما لادلالة له ــ فاذا قلت مثـلا : « محمد يشبه السحاب فى العطاء » ، وكان السامع يعلم بوضع هذه الألفاظ لمعانيها ، ثم أتيت بتركيب آخر دال على هذا المعنى بألفـاظ مرادفة لألفاظ التركيب الأول ، فقلت : « محمد يحكى الغمـام فى النوال » . وكان السامع يعلم أيضا بوضع هذه الألفاظ لمعانيها امتنع حينئذ أن يكون التركيب الثانى أوضح دلالة من الأول ، بل همـا فى الدلالة سـواء .

فاذا لم يعلم السامع وضع الألفاظ لمعانيها فى التركيبين ، أو فى أحدهما لم يفهم شيئا أصلا لتوقف الفهم على العلم بالوضع ــ كمـا

قلنا ــ واذا انتفى الفهم فلا دلالة للفظ ، فلا اختلاف فى الوضوح.

فأنت ترى أن الاختلاف فى الوضوح منتف «على كلا التقديرين» فى الدلالة الوضعية المطابقية فهى اذا خارجة عن موضـــوع هذا الفن :

اختبـــار

(١) عرف علم البيان فى اصطلاح البيانيين ، وبين كيف أخذ لفظ «علم» فى التعريف وهو لفظ مشترك معنوى ، وذلك يتنافى مـــع الغرض من التعريف ؟

(٢) بين بالأمثلة معنى ايراد المعنى الواحد فى الطرق المختلفة فى الوضـــوح .

(٣) بين لماذا قيد لفظ « المعنى » الواقع فى التعريف «بالواحد» وقيد الاختلاف «بالوضوح» ،وهل كل معنى يصح ايراده فى الطرق المختلفة ؟ وضح ذلك بالمثال .

(٤)عرف الدلالة ، وقسمها ، وعرف كل قسم ، مع التمثيـــل . ثم اذكر أى الدلالات هى موضوع علم البيان ، مع التـــوجيه لمـــا تقـــول .

(٥) لمـــاذا لم تكن الدلالة الوضعية المطابقية من مباحث علم البيان ؟ وضح ذلك وضوحا تاما ، مع بيان معنى اللزوم فى الدلالة الالتزامية .

المبحث الثالث ــ فى التشبيه :

هو من فنون البلاغة له شأنه وخطره ، فهو يدنى القصى ، ويذلل العصى ، ويكشف الخفى ، ويكسب المعانى رفعة وشرفا ، ويكسوها

توكيدا ومتانة ، ويبرزها فى معارض الحس والعيان ، وهو — الى ذلك — كثير المباحث متشعب النواحى ، وان أردت أن تبين ذلك فانظر لما يلى من أقوال الشعراء :

قال : نعمة كالشمس لما طلعت بثت الاشراق فى كل بلد
« : الشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب (١)
« : كأنها بوتقة (٢) أحميت يجول فيها ذهب ذائب
« : وكأن أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق
« : دان على أيدى العفاة وشاسع عن كل ند فى الندى وضريب (٣)
كالبدر أفرط فى العلو وضوؤه للعصبة السارين جد قريب
« : بذل الوعد للأخلاء سمحا وأبى بعد ذاك بذل العطاء
فغدا كالخلاف يورق للعين ويأبى الاثمار كل الاباء (٤)

فانك لتجد من قوة تأثيره فى النفس ، ومبلغ أسره فى القلب ما لا تستطيع وقعه ، لا تملك دفعه بسبب ما يحرك النفس ، ويستثيرها باخراجها من خفى الى جلى ، ومما لم تألفه الى ما ألفته ، ومما لم تره الى ما عاينته وشهدته — وهو فوق ذلك يكسب اللفظ حلاوة وطلاوة ويعطيه من الروعة ما يبهر القلب ، ويأسر اللب .

وجه تقديمه على المجاز :

اعلم أن اللفظ قد يستعمل فى معنى لم يوضع له لعلاقة بين المعنى الموضوع له اللفظ ، والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الموضوع له — ويسمى اللفظ حينئذ «مجازا» اذ قد

---

(١) أى مانع .
(٢) وعاء خاص يذاب فيه الذهب .
(٣) العفاة جمع عاف وهو السائل الطالب للمعروف ، والند بكسر النون المشددة الضريب الشبيه والمثيل .
(٤) « الخلاف » شجر الصفصاف .

تجوز باللفظ من المعنى الموضوع له الى المعنى المراد ، ثم ان العلاقة بين المعنيين قد تكون المشابهة ، ويسمى اللفظ حينئذ «استعارة» كما فى قولك : « سمعت قمرا يتكلم » فلفظ « قمر » استعمل فى « الانسان الجميل» وهو معنى لم يوضع له اللفظ والقرينة المانعة قولك «يتكلم» والعلاقة بين المعنيين مشابهة الانسان للقمر فى الحسن فقد شبه « أولا » الانسان الجميل بالقمر فى البهاء ، ثم ادعى — مبالغة فى التشبيه — أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه باعتباره أحد أفراده — وسيأتى تفصيل ذلك فى أبوابه — فالتشبيه اذا سابق على الاستعارة التى هى أحد أقسام المجاز ، وحينئذ وجب التعرض أولا لبحث التشبيه ، اذا هو منها بمثابة الأساس من البناء ، أو بمنزلة الأصل من الفرع .

تعريفه : هو — فى اللغة — الدلالة (١) على مشاركة أمر لأمر فى معنى (٢) .

ومعناه اصطلاحا — الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى بإحدى أدوات التشبيه لفظا أو تقديرا لغرض — فالأمر الأول هو «المشبه » ، والثانى هو «المشبه به» ، ويسميان «الطرفين» ، والمعنى المشترك بينهما هو «وجه الشبه» .

---

(١) يطلق التشبيه على فعل المتكلم فالدلالة اذا صفة له وهى أن يدل المتكلم بقوله على هذه المشاركة ، ويطلق على الكلام نفسه الدال على المشاركة فالدلالة حينئذ صفة الكلام .

(٢) احترز به عن المشاركة فى عين نحو : شارك محمد عمرا فى ضيعة فلا تسمى تشبيها لغويا — وقد اعترض على هذا التعريف بأنه غير مانع لمثل قولك : قاتل محمد عمرا ، ولنحو قولك : جاء محمد وعمرو فان فى كلا المثالين دلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى — فالأول دال على مشاركة محمد لعمرو فى القتال والثانى دال على مشاركة محمد لعمرو فى المجىء ، وليس شىء منهما تشبيها لغويا وان قصد بهما معنى الاشتراك لأن التشبيه ليس مجرد الاشتراك فى معنى ، بل لابد فيه من ادعاء مماثلة أحد الأمرين للآخر — وأجيب بأن التعريف بالأعم شائع عند أبناء العربية، أو بأن الدلالة على المشاركة فيهما غير صريحة .

وهاك أمثلته — تقول : « القواد المخلصون » كأسود الشرى « فى الجرأة والاقدام » ففى هذا دلالة على مشاركة أمر هو «القواد المخلصون» لأمر هو «أسود الشرى» فى معنى هو «الجرأة والاقدام» باحدى أدوات التشبيه هى «الكاف» فى هذا المثال — ومثله قولك « الصحابة مثل النجوم فى الهداية والارشاد » ، وقولك : هند شبه البدر فى الوضاءة والاشراق» ، وقولك : كأن راحة فلان السحاب فى عموم الفيض — الى غير ذلك .

ويجوز حذف الوجه مع بقاء الأداة كقولك فى المثال الأول : « القواد المخلصون كاسود الشرى » وهكذا يقال فى باقى الأمثلة — ويجوز العكس أى حذف الأداة مع بقاء الوجه ، أو مع حذفه ، ويكون المشبه به فى الصورتين حينئذ أحد الأنواع الآتية :

(١) — أن يكون خبرا للمشبه كقولك : خالد بن الوليد أسد [١] بدعوى الاتحاد بينهما مبالغة فى تشبيه خالد بالأسد فى الجرأة ، وكقولك : « فلان بطانة فلان » مبالغة فى تشبيهه ببطانة الثوب فى قوة الملازمة ، وقد يحذف المشبه فى هذه الحالة لقرينة كقول الشاعر:

أسد على وفى الحروب نعامة — فتخاء تنفر من صفير الصافر [٢]

أى هو أسد ، وكقوله تعالى : « صم بكم عمى فهم لا يعقلون» أى هم صم .

(٢) — أن يقع خبرا لما دخل على المشبه من النواسخ كما فى قولك : « ان محمدا شجى فى حلوق أعدائه ، وقذى فى عيونهم،

---

(١) ادعى بعضهم أن مثل هذا النوع من التشبيه استعارة بناء على أن حمل معنى الأسدية على خالد لا يصح الا بادخاله فى جنس الأسد ، والتحقيق أنه تشبيه ، لا استعارة — على ما سيأتى بيانه — لأن الاستعارة انما تكون حيث يطوى ذكر المشبه لفظا وتقديرا . وهنا ليس كذلك اذ أن الطرفين وهما « خالد والأسد » مذكوران .

(٢) « الفتخاء » النعامة اللينة الجناح .

فكل من شجى وقذى هو المشبه به وقد وقع خبرا «لان» — ومنه قول البحتـــرى :

بنت بالفضل والعلو فأصبحت سماء وأصبح الناس أرضا (١)

فكل من « سماء وأرضا » هو المشـــبه به وكلاهما وقع خبرا « لأصبح » .

(٣) — أن يقع حالا من المشبه ، أو صفة له — فالأول كقولك : « كر عنترة على الأعداء أسدا » ، وكقول الشاعر :

بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا (٢)

والثانى كقولك : « مررت برجل بحر » ، و « فلان رجـــل أســـد » .

(٤) — أن يقع مضافا للمشبه كما فى قول الشاعر :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء (٣)

أى الماء المشبه باللجين فقدم المشبه به ، ثم أضيف الى المشـــبه — كمـــا ترى —

(٥) — أن يقع مصدرا مبينا لنوع المشبه كما فى قوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب» أى تمر مرا كمر السحاب فى السرعة ، فالمشبه هو المصدر المحذوف ، وقد بين نوعه بالمصدر المذكور الذى هو المشبه به ، ومثله قول أبى العـــلاء :

هرب النوم عن جفونى فيها هرب الأمن عن فؤاد الجبان

أى هربا كهرب الأمن .

---

(١) « بنت » بمعنى امتزت .

(٢) « الخوط » بضم الخاء الغصن و « البان » نوع من الشـــجر ، و « رنت » من الرنو وهو ادامة النظر .

(٣) الأصيل هو الوقت ما بين العصر الى الغروب وهو وقت تعتدل فيه الريح ، واللجين الفضة .

(٦) — أن يكون هو مبينا بالمشبه كما فى قوله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر» فالفجر مشبه بالخيط الأبيض وقد جاء بعد المشبه به مبينا له ، أى حتى يتبين لكم الفجر كالخيط الأبيض — ومنه قول الشاعر :

فما زلت فى ليلين — شعر وظلمة وشمسين — من خمر ووجه حبيب

وقول أمير الشعراء أحمد شوقى بك :

ودخلت فى ليلين — فرعك والدجى ولثمت كالصبح المنــور فاك

شبه الشعر فى البيتين بالليل ، ثم ذكر الشعر ، وما عطف عليه بيانا للمشبه به فى قوله : « ليلين » .

فاتضح لك من كل ما تقدم من الأمثلة أنه لابد فى التشــبيه الاصطلاحى من ذكر الطرفين (١) على وجه ينبىء عن التشبيه بحيث لا يستقيم المعنى الا بالحمل على التشبيه (٢) كما فى الأمثلة المذكورة، وأنه لابد فيه من أداة التشبيه ملفوظة أو مقدرة — كما رأيت —

ولهذا لايعتبر من التشبيه الاصطلاحى الاستعارة بأنواعها (٣)، والتشبيه على طريق التجريد فى بعض صوره (٤) ، وهو ما يكون المشبه بحيث يجعل أصلا ينتزع منه المشبه به مبالغة فى التشبيه كمـا تقول : « لقيت بخالد أسدا » ، « ولقينى منه أسد » فقد بولغ فى

---

(١) ولو تقديرا كما فى قول الشاعر السابق : أسد على وفى الحروب نعامة « البيت »

(٢) سيأتى لهذه المسالة مزيد بيان .

(٣) أى التحقيقية والمكنية وكذلك التخييلية فى رأى الســكاكى — على ما سيأتى .

(٤) وأما بعضها الآخر — وهو ما كان المجرد عين المجرد منه فليس داخلا فى التشبيه أصلا لعدم دلالته على المشاركة فى قوله تعالى : لهم فيها دار الخلد ، فقد انتزعت دار الخلد من جهنم وهى عين دار الخلد لا شبيهة بها.

تشبيه خالد بالأسد حتى جعل أصلا جرد منه « أسد » ففيه تشبيه ضمنى مضمر فى النفس .

أما عدم اعتبار الاستعارة من التشبيه الاصطلاحى فلخلوها من أحد الطرفين، ومن الأداة لفظا وتقديرا نحو: «أقبل الأسد» ، ونحو : « أنشبت المنية أظفارها بفلان » ، وأما عدم اعتبار التجريد تشبيها اصطلاحيا فلعدم ذكر الطرفين فيه على وجه ينبىء عن التشبيه ، ولخلوه أيضا من أداته كما مثلنا (١) ـ فكلاهما اذا ليس من التشبيه الاصطلاحى فى شىء (٢) ـ وقد احترز عنهما فى التعريف بقولنا : « باحدى أدوات التشبيه لفظا أو تقديرا »

أركان التشبيه (٣) وهى أربعة :

(١) ذات المشبه. (٢) ذات المشبه به، ويسميان «طرفى التشبيه» (٣) وجه الشبه وهو المعنى المشترك الجامع بين الطرفين . (٤) أداة التشبيه .

وهذه الأربعة هى قوام التشبيه وعماده فقولك : « رضاب هند كالعسل فى الحلاوة » تشبيه والمشبه فى هذا المثال هو « الرضاب »، والمشبه به هو « العسل » ، ووجه الشبه هو « الحلاوة » ، وأداة التشبيه هى « الكاف » .

---

(١) وقيل : هو تشبيه حقيقة لذكر الطرفين فيه فيمكن التحويل فيه الى هيئة التشبيه لولا قصد التجريد وسيأتى أن التحقيق خلافه .

(٢) ولكنهما من قبيل التشبيه اللغوى اذ هو أعم من الاصطلاحى فكل اصطلاحى لغوى ولا عكس . يجتمعان فى نحو : محمد أسد : وينفرد اللغوى فى الاستعارة والتجريد .

(٣) أى باعتبار اطلاقه على الكلام الدال على المشاركة كقولك : محمد كالبدر فى الاشراق ، لا باعتباره وصفا للمتكلم ولا شك أن الأمور الأربعة أجزاء للتشبيه بهذا الاعتبار ، ويصح أن تكون أركانا له بالاعتبار الثانى ، وأن المراد بالركن ما يتوقف عليه الشىء وان لم يكن داخلا فى حقيقته .

وفيه أربعة مباحث :

(١) مبحث الطرفين (٢) مبحث وجه الشبه (٣) مبحث أداة التشبيه (٤) مبحث الأغراض التى دعت اليه .

مبحث الطرفين :

الطرفان هما — كما تقدم — المشبه والمشبه به كما فى قولك : « محمد كسحبان فالطرفان هما — محمد وسحبان والأول هو المشبه. والثانى هو المشبه به .

وللتشبيه : باعتبار الطرفين تقسيمات ثلاثة :

التقسيم الأول

ينقسم التشبيه باعتبار حسية الطرفين وعقليتهما الى أربعة أقسام :

(١) — أن يكون طرفاه حسيين أى مدركين باحدى الحواس الخمس — البصر ، والسمع ، والشم ، والذوق ، واللمس .

فمثال ما يدرك بحاسة البصر قولك : وجه هند كالبدر ، وشعرها كالليل — ومثال ما يدرك بحاسة السمع قولك : أسمع صوتا كأغاريد البلابل ، ودويا كدوى الرعد . وأنينا كأنين الثكلى — ومن الطريف ما يقوله ابن ثناء الملك فى وصف ساقية :

وساقية نزلت بها والفى ... أودعه كتوديع المروع
فصوت أنينها يحكى أنينى ... وفيض مياهها يحكى دموعى

ومثال ما يدرك بحاسة الشم قولك : شذا عرف هند كأريج المسك ، وريحها كريح الخزامى (١) — ومثال ما يدرك بحاسة الذوق

(١) هو نبت له زهر طيب الرائحة .

قولك : رضاب ليلى كلعاب النحل ، وحموضة هذا الشراب كحموضة الخل — ومثال ما يدرك بحاسة اللمس قول ذى الرمة :

لها بشر مثــل الحرير ومنطق رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر (١)

وقولك : خشونة هذا الثوب كخشونة جلد القنفذ — فالطرفان فى هذه المثل جميعها حسيان — كما رأيت .

(٢) — أن يكون الطرفان عقليين أى مدركين بالعقل كما تقول: « العلم كالحياة» ، و «الجهــل كالموت» و «الضــلال كالعمى» — فالطرفان فى هذه المثل لا يدركان بغير العقل — ووجه الشـــبه فى الأول « الأثر الجليل » ، وفى الثانى « فقدان النفع » ، وفى الثالث « عدم الاهتــداء » .

(٣) — أن يكون المشبه عقليا ، والمشبه به حسيا كقولهم فى تشبيه الرأى الواضح ، والحظ العــاثر : « رأى كفلق الصبح » ، و « حظ كسواد الليل » ، وكقولك فى تشبيه الخلق القويم ، والطبع الكريم : « خلق كشذا المسك » و « طبع كأنفاس الزهر » .

(٤) — أن يكون المشبه حسيا ، والمشبه به عقليا كما فى قــول الشـــاعر :

وأرض كأخلاق الكريم قطعتها وقد كحل الليل السماك فأبصرا

شبه « الأرض » وهى حسية « بالخلق الكريم » وهو عقلى فى الرحابة والسعة بتقدير المعقول محسوسا حتى صار أصلا فى وجــه

---

(١) « رخيم الحواشى » فى أطرافه لين وتكسر ، و « الهراء » بضــم الهاء الكلام الكثير الفاسد ، « والنزر » الكلام القليل يريد : أنه لا يكثر فى الكلام الى حد الهذيان ، ولا يقل منه الى درجة العى .

الشبه مبالغة ــ والا فان الحاق المحسوس بالمعقول قلب للأوضاع [1] وجعل الفرع أصلا ، والأصل فرعا وهو لا يجوز ، ولا يستسيغه عقل لولا قصد المبالغة ــ ومثله قول الشاعر :

وفتكت بالمال الجزيل وبالعدا   فتك الصبابة بالمحب المغرم

فالفتك الأول حسى ، والثانى عقلى ، وهو من أحاسن التشبيهات وأبدعها ، وأشدها تأثيرا فى النفس ، وامتلاكا للقلب .

تنبيــــه

من الحسى ما لاتدركه الحواس بذاته ، ولكن تدرك مادته ــ ويسمى « خياليا » ــ وهو الشىء المعدوم خارج الأعيان الذى ركبه المتخيلة من أمور مدركة بالحس كما فى قول الصنوبرى :

وكأن محمـر الشـقيق اذا تصـوب أو تصـعد
أعـلام ياقوت نشرن على رمـاح من زبرجـد [2]

يشبه الشاعر هذا الزهر الأحمر حال تصوبه وتصعده بهيئة أعلام من ياقوت ، منشورة على رماح من زبرجد ــ وليس من شك ــ أن صورة الأعلام المصنوعة من ياقوت ، المنشورة على رماح مصنوعة من زبرجد ــ شىء لا يدرك بالحس الظاهر لعدم وجوده خارج

---

(١) ذلك أن الأمور العقلية مستفادة من طريق الحواس فالحواس اذا أصل لها « كحدوث العالم » مثلا فهو أمر عقلى أدركه العقل من تغيره المدرك بحاسة البصر ولولاها ما أدركه ولذا قالوا : من فقد حسا فقد علما فتشبيه المحسوس بالمعقول حينئذ قلب للوضع سوغه قصد المبالغة .

(٢) « محمر الشقيق » من اضافة الصفة للموصوف أى الشقيق المحمر وهو ورد أحمر فى وسطه سواد ، ويقال له شقائق النعمان ، اضافته الى النعمان لأنه ينبت كثيرا فى أرض كان يحميها « النعمان » وهو لقب لكل من ملك الحيرة ، وقيل : النعمان اسم للدم والشقيق يشبهه فى اللون فالاضافة اذا تشبيهية من اضافة المشبه للمشبه به ، و «تصوب» مال الى أسفل و « تصعد » مال الى علو .

الأعيان ، وانما المدرك مادته ؛ وهى الأعلام ، والياقوت ، والرماح ؛ والزبرجد — وهذا كاف فى جعل الشىء حسيا .

فالحسى حينئذ : هو ما يدرك بذاته ، أو بمادته باحدى الحواس الخمس ليشمل الخيالى — ومثل قول الصنوبرى قول الشاعر يصف الخمر فى الكأس :

كأن الحباب المستدير برأسها   كواكب در حشوهن عقيق

شبه هيئة الفقاقيع الطافية على وجه الكأس بهيئة كواكب من در منثورة فى سماء من عقيق — فالمشبه به خيالى لا يدرك بالحس لعدم وجوده خارج الأعيان ، وقد فرض مجتمعا من أمور كل منها مدرك بالحس ، وهى الكواكب ، والدر ، والسماء ، والعقيق .

ومن العقلى ما لايدرك هو ولا مادته باحدى الحواس الظاهرة لعدم وجوده خارجا ، ولكنه لو وجد لم يدرك الا بها (١) — ويسمى « وهميا » وهو ما اخترعه الوهم من عند نفسه ، من غير أن يكون له ، ولا لمادته وجود فى الخارج كقول امرىء القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى   ومسنونة زرق كأنياب أغوال؟ (٢)

وكقوله تعالى فى شجرة الزقوم « طلعها كأنه رءوس الشياطين » — فأنياب الأغوال ، ورءوس الشياطين لم توجد هى ، ولا مادتها ، وانما هى من اختراعات الوهم وافتراضاته .

---

(١) قيد الوهمى بهذا القيد ليتميز عن العقلى الصرف كالعلم والحياة ، وهذا لا ينافى أن الوهمى من أفراد العقلى بالمعنى المذكور هنا .

(٢) الاستفهام هنا للاستبعاد « والمشرفى » السيف المنسوب الى مشارف وهى بلاد باليمن مختصة بصناعة السيوف ، «ومضاجعى» ملازمى حال الاضطجاع أى ففى غير هذه الحال أولى ، كناية عن أن السيف لا يفارقه ، وأن الاعتداء عليه بعيد المنال ، «ومسنونة» حادة مصقولة ، ووصفها بالزرقة لصفائها .

فالعقلي حينئذ : ما لايدرك هو ولا مادته باحدى الحـــواس الظاهرة ليدخل فيه التشبيه الوهمي المذكور ــ كما يدخل فيه أيضا ما يدرك بالوجدان أى بالقوة الباطنة ، ويسمى « وجدانيا » كاللذة، والألم، والفرح، والغضب، وكالعطش، والجوع، والرى، والشبع [1] وما شاكل ذلك من الحالات التى لا يدركها الحس الظاهرى ، ولا العقل الصرف الذى لا يستند الى حس باطنى ، وانما تدرك باحساس باطنى ، وتكييف نفسى كالحالة الخاصة التى يحسها الجـــائع ، أو الظامىء ، أو يحسها من شبع بعد جوع ، أو روى بعد ظمأ ــ مثـــال ذلك : أن يشبه الجائع ما يحسه من ألم الجوع بالموت ، أو أن يشبه الظامىء ما يشعر به من وهج العطش بالنار اهـ .

التقسيم الثـــانى :

ينقسم التشبيه باعتبار افراد الطرفين وتركيبهما الى أربعـــة أقســـام :

(١) ــ أن يكون طرفاه مفردين وهما اما أن يكونا مطلقين عن التقييد بنحو وصف ، أو اضافة ، أو مفعول ، أو حال ، أو غير ذلك ، أو يكونا مقيدين بشىء مما ذكر ، أو يكون أحدهما مقيدا ، والآخر مطلقـــا .

فالمفردان المطلقان كقولك : « لها لحظ كالسهم ، وثغر كالدر » ــ والمقيدان كما فى تشبيه من لم يحصل من سعيه على نتيجة بالناقش

(١) هى أمور حسية أى مستندة الى احساس باطنى خاص فلا يدركها العقل الصرف وانما يدرك العقل المعانى الكلية لهذه الأشياء كأن يتصور العقل معنى اللذة على أنها شعور خاص يحصـــل عند نيل الشىء اللذيذ ، وأن يتصور معنى الجوع على أنه ميل الى الطعام ، واشـــتهاء اليه أما الحالة النفسية التى تعترى الملتذ بالشىء أو التى تعرض للجائع فلا يدركها العقل وحده بل لابد من تكيف خاص يحس به الملتذ أو الجائع فالفرق واضح .

على الماء — فالمشبه هو « الساعى » المقيد بأن سعيه لم يكلل بنجاح ، والمشبه به هو « الناقش » المقيد بأن نقشه على صفحة الماء ، ووجه الشبه هو أن الفعل وعدمه سيان فى عدم ترتب نتيجة — ومثله قول الشاعر :

انى وتزيينى بمدحى معشرا كمعلق درا علـى خـنزير

يريد أن يشبه الشاعر نفسه مقيدا بعمل خاص ، وهو مدحه من لا يستحقون المدح بالمعلق مقيدا بعمل خاص ، وهو تعليقه شيئا نفيسا بعنق شىء خسيس غير قابل للزينة ، فالمشبه مقيد « بحال » والمشبه به مقيد بمفعول وجار ومجرور ، ووجه الشبه هو هيئة من يضع الشىء فى غير موضعه .

ومثال مافيه المشبه مطلق ، والمشبه به مقيد قول الشاعر :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل لما رأيتها بدت فوق الجبل

يريد أن يشبه الشمس بالمرآة بقيد كونها فى يد رعشاء — ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من الاستدارة ، والحركة السريعة المتصلة ، مع تموج الاشراق حتى يرى الشعاع كأنه ينبسط ، ثم يرجع من انبساطه الى الانقباض — فالمشبه «الشمس» مطلقة عن التقييد بشىء ، والمشبه به « المرآة » مقيدة بالقيد المذكور — ومثله تماما قول الآخر :

ولاحت الشمس تحكى عند مطلعها مرآة تبربدت فى كف مرتعش

ومن هذا الضرب قولك « وجهها كالبدر ليلة تمامه » ، « وثغرها كاللؤلؤ المنظوم » — ووجه الشبه فى الأول هيئة الجمال ، مع كمال الاشراق — وفى الثانى هيئة البريق ، مع التنسيق .

ومثال مافيه المشبه مقيد ، والمشبه به مطلق عكس الأمثلة السابقة ، وهو أن تشبه المرآة فى كف الأشل بالشمس ، أو تشبه البدر ليلة تمامه بوجه المرأة ، أو تشبه اللؤلؤ المنظوم بالثغر تشبيها مقلوبا مبالغة فى وصف المشبه بوجه الشبه — على ما سيأتى —

(٢) ــ أن يكون طرفاه مركبين ــ ومعنى التركيب فيهما أن يقصد الى عدة أشياء مختلفة فى كل من الطرفين ، ثم تنتزع منهما هيئتان تجعل احداهما مشبها ، والأخرى مشبها به فى هيئة تعمهما كما فى قول بشار بن برد :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه (١)

يصف بشار ملحمة بين جيشين يقتتلان بالسيوف ، وقد انعقد عليهما غبار كثيف ــ فهو يشبه الهيئة المنتزعة من السيوف ، وقد سلت من أغمادها ، وهى تتألق فى حركة سريعة مختلفة النواحى ، على أشكال متناسبة ، وسط غبرة قاتمة قد انعقدت فوق الرءوس بالهيئة الحاصلة من النجوم ، وهى تتساقط الى جهات مختلفة فى جنح الليل البهيم ــ ووجه الشبه الهيئة المنتزعة من سقوط أجرام لامعة ، مستطيلة متناسبة المقادير ،متناثرة فى جوانب شىء مظلم ــ فالمشبه مركب من النقع مثارا فوق الرءوس ، ومن السيوف المتلاحمة اللامعة فى أثنائه . والمشبه به مركب من الليل ، ومن الكواكب المتهاوية فى مواقع مختلفة ــ ومثله تماما قول الشاعر :

كأن دخان العود والند بيننا   وأقداحنا ليل تهاوى كواكبه .

---

(١) « مثار النقع » من اضافة الصفة للموصوف أى النقع المثار ، والواو فى « وأسيافنا » بمعنى « مع » فأسيافنا اذا مفعول معه ، ولم يجعل منصوبا «بكأن» عطفا على اسمها الذى هو «مثار» لئلا يتوهم أن فى البيت تشبيهين مستقلين كل منهما تشبيه مفرد بمفرد ، «أن المعنى . كأن النقع المثار ليل ، وكأن سيوفنا كواكبه وهذا لا يصح الحمل عليه لما صرحوا به من أنه متى أمكن اعتبار التشبيه مركبا فلا يعدل عنه الى اعتباره مفردا اد تفوت معه الدقة التركيبية المرعية فى وجه الشبه ، «و تهاوى» فعل مضارع حذفت احدى تاءيه والأصل تتهاوى وانما لم يجعل فعلا ماضيا لما يلزم عليه من الاخلال بما قصده الشاعر من المعنى الدقيق ذلك أن صيغة المضارع تدل على الاستمرار التجددى وهو أدل على كثرة الحركات ، والتساقط فى جهات متعددة ، بخلاف الفعل الماضى فانه ــ وان دل على هذا المعنى ــ لا تجدد فيه ولا استمرار .

فهو يشبه الهيئة المنتزعة من أقـــداح الخمر ، وهي تتألق في أيديهم ، وتتحرك الى جهات مختلفة أثناء ما انعقد حولهم من دخـان العـود والنـد قاتما متكاثفا بهيئة الـكواكب المتهاوية في دياجي الليل .

وهذا القسم ضربان ــ ما يصح فيــه تشبيه كل جــزء من أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر ــ ما لا يصح فيه ذلك .

فالأول كما في البيتين السابقين فان كل جزء من أجزاء المشبه له نظير في الطرف الآخر يمكن تشبيهه به ، فيشبه النقع بالليل ، وتشبه السيوف أو الأقداح بالكواكب ــ غير أن غرض الشـاعر لم يتعلق بالتشبيه على هذه الصورة، اذ ليس فيه من دقة المعنى ، وبديع التخيل، وروعة التمثيل ماله في صورته الأولى من تشبيه الهيئة بالهيئة حتى صار بشار ــ وهو كفيف البصر ــ يسمو به الى درجة يقف دونها العباقرة المبصرون ــ ومن طريف هذا الضرب قول الشاعر :

كأن سهيلا والنجوم وراءه   صفوف صلاة قام فيها امامها[1]

يشبه الشاعر هيئة سهيل ، والنجوم مصطفة وراءه بهيئة امام قائم يصلى ، والناس خلفه صفوف متراصة ــ فالمشبه مركب من سـهيل، ومن النجوم وراءه ، والمشبه به مركب كذلك من امام قائم في محراب، ومن صفوف المصلين خلفه ، ولكل جزء من أجزاء المشبه به نظير في الطرف الآخر يصح تشبيهه به ، فيشبه سهيل بامام يصـلى ، والنجوم بصفوف الصلاة ــ غير أن التشبيه على هذا الوضع ليس الذى يهدف اليه الشاعر لسذاجته ــ فأين هذا من ذلك الذى يملك عليك قلبك انه يريك هيئة سهيل يتقدم طائفة متراصة من الـكواكب المؤتلقة على هيئة امام تؤمه صفوف المصلين ألا تراه أدق صـياغة . وأحلى اساغة ؟

---

(١) سهيل نجم .

الثانى كما فى قول الشـــاعر :

كأنما المريخ والمشـــترى قدامه فى شـــامخ الرفعة
منصرف بالليل عن دعوة قدأسرجتقدامهشمعة(١)

يشبه الشاعر هيئة المريخ ، والمشترى قدامه يتألق بهيئة انسان منصرف بالليل عن دعوة ، وأمامه شمعة مضيئة ــ فالتشبيه ــ كما ترى ــ مركب الطرفين ــ غير أننا لو حللنا هذا التشبيه ، فألحقنـا أحد أجزاء الطرف الأول بما يقابله من الطرف الثانى ، فقلنا : المريخ كمنصرف بالليل عن دعوة كان ضربا من الهذيان والسخف .

(٣) ــ أن يكون المشبه مفردا ، والمشبه به مركبا كما فى قول الصنوبرى الســـابق :

وكأن محمـــر الشـــــقيق اذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقـــوت نشر ن علىرماح من زبرجد

فالمشبه « محمر الشقيق » وهو مفرد مقيد بصفة ، والمشـــبه به مركب من أعلام ياقوت ، ومن رماح زبرجد أى من هيئة أجـــرام حمر ، مبسوطة على رءوس سيقان خضر مســـتطيلة ــ ومثله قول الخنساء ترثى أخاها صخرا :

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

فالمشبه مفرد وهو « صخر » ، والمشبه به مركب من علم ، ومن نار على رأســـه .

(٤) ــ أن يكون المشبه مركبا ، والمشبه به مفردا كما فى قول أبى تمـــام :

ياصاحبى تقصـــيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصور

---

(١) « المريخ والمشترى » نجمان فى السماء و « قدامه » بتشديد الدال ظرف مكان بمعنى أمامه ، و « أسرجت » أضيئت .

تريا نهارا مشمسا قد شابه   زهر الربا فكأنما هو مقمر (١)

يلفت الشاعر نظرى صاحبيه الى صنيع المبدع القادر فيما أخرج من نبات بهيج ناضر ، وكيف أن النبات ـ لشدة اخضراره ، وكثافته ـ صار لونه يضرب الى السواد حتى نقص من ضوء النهار المشرق ، وكأن ليل سرى فيه ضوء القمر ، لا ترى فيه الأشياء الدقيقة ـ فهو يريد أن يشبه هيئة النهار المشرق ، وقد خالطه زهر الربا ، فتضاءل ضوؤه ونقص بليل بزغ قمره ـ فالمشبه مركب من نهار تألقت شمسه، ومن زهر نابت فى الربا ـ والمشبه به مفرد مقيد بصفة ، وهو «الليل المقمر » ـ ومثله قولهم : القواد فى ساعة الوغى كليوث العرين فى الدفاع عن الحمى ـ فالمشبه مركب من القواد ، ومن ساعة الوغى ، والمشبه به « ليوث العرين » وهو منفرد مقيد بالاضافة كما ترى .

تنبيهان

الأول ـ اعلم أن المراد بالقيد فى التشبيه الذى كلا طرفيه، أو أحدهما مقيد ما يكون له دخل فى وجه الشبه بحيث لا يتم التشبيه بدونه ـ ففى المثال المتقدم فى تشبيه الساعى المقيد بعدم التوفيق فى سعيه بالناقش المقيد بأن نقشه على الماء لابد فيه من اعتبار هذين القيدين لأن وجه الشبه بين الطرفين هو ـ كما علمت ـ المساواة بين الفعل وتركه فى كون النتيجة سلبا ـ وهذا المعنى لا يتم الا بمراعاة القيدين المذكورين ـ وكذلك تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل لابد فيه من اعتبار كون المرآة فى كف مرتعش لأن وجه الشبه بين الطرفين هو ـ كما سبق ـ الهيئة الحاصلة من الاستدارة ، والحركة السريعة المتصلة مع نموذج الاشراق ، وهذا المعنى لا يتوفر ، ولا يستقيم بدون ملاحظة هذا القيد ـ كذلك لابد فى تشبيه الثغر باللؤلؤ

(١) يقال : نقصى الشىء بلغ أقصاه أى غايته يريد : أمعنا النظر تدبرا وفكرا ، و « تصور » بحذف احدى التاءين أى تتصور ، و « شابه » خالطه و « الربا » جمع ربوة وهو ما ارتفع من الأرض وخص زهر الربا بالذكر لأنه أنضر وأشد خضرة .

المنظوم من اعتبار قيد « المنظوم » لأن وجه الشبه هو هيئة البريق ، مع حسن التنسيق ، وهذا لايتم الا بمراعاة القيد المذكور — فليس المراد اذا مطلق قيد ، بل المراد : قيد له تعلق بوجه الشبه أى له دخل فى تكوينه — كما بينا — فان لم يكن كذلك فلا اعتبار له ، ويعتبر الطرف المقيد بمثل هذا القيد من قبيل المفرد المطلق عن القيد كما فى قولك : «رأيت رجلا يهب الجزيل كالأسد» ، فقولك : «يهب الجزيل» قيد لا يعتبر به المشبه مقيدا اذ لا دخل له فى تحقيق وجه الشبه اهـ .

الثانى — الفرق بين المقيد من الطرفين والمركب منهما أن المقصود بالذات فى المركب هو الأجزاء مجتمعة ، وليس فيها جزء قصد وحده بالتشبيه ، وان صح أن يشبه بجزء من الطرف الآخر على نحو ماسبق فى بيت بشار ، فان المشبه هناك مجموع النقع المثار . والأسياف المسلولة ، والمشبه به مجموع الليل ، والكواكب المتهاوية ، ولم يتعلق الغرض بتشبيه النقع وحده بالليل ، ولا بتشبيه السيوف وحدها بالكواكب ، وان صح ذلك .

أما المقيد فان المقصود بالذات فيه هو أحد أجزاء الطرف ، مع مراعاة قيد فيه — فالقيد اذا ليس مقصودا بذاته بل مقصود لذلك الجزء كما فى تشبيه الساعى المقيد بأن سعيه لم يكلل بنجاح بالناقش المقيد بأن نقشه على الماء فان المقصود بالذات كل من « الساعى والناقش » مراعى فى كل منهما قيده الخاص به أشبه الأشياء باليد من الانسان .

فمدار التفرقة بينهما اذا على القصد والاعتبار ، لا على التركيب اللفظى فان كانت الأجزاء كلها مقصودة بذاتها فى التشبيه كان من قبيل المركب ، وان كان المقصود أحد الأجزاء ، وأن ما عداه تبع له كان من قبيل المفرد المقيد — والمرجح لأحد القصدين ، وجود الحسن فيه دون الآخر (١) ، والحاكم فى ذلك هو الذوق السليم ، والقريحة

---

(١) هذا بالنظر الى المتكلم وأما السامع فيفرق بينهما باعتبار ما يبدو له من القرائن الدالة على أن المتكلم قصد الأجزاء كلها، أو قصد أحد الأجزاء واعتبر ما عداه تبعا .

الوصافية — أما التركيب اللفظى فلا اعتبار له فى التفرقة بين المقيد والمركب اذ قد يستويان فيه غالبا ا هـ .

التقسيم الثالث (١)

ينقسم التشبيه باعتبار تعدد الطرفين ، أو تعدد أحدهما الى أربعة أقسام :

(١) ملفوف (٢) مفروق (٣) تسوية (٤) جمع

فالملفوف — هو أن يتعدد طرفاه ، ويجمع كل طرف مع مثله — بأن يؤتى بالمشبهات أولا بطريق العطف أو غيره ، ثم بالمشبهات بها كذلك — أو العكس بأن يؤتى بالمشبهات بها أولا بطريق العطف أو غيره ، ثم بالمشبهات كذلك — فمثال تعددهما معطوفين قول امرىء القيس يصف عقابا بكثرة اصطياد الطيور .

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى (٢)

شبه امرؤ القيس الرطب الطرى من قلوب الطير بالعناب فى الشكل والمقدار واللون ، وشبه اليابس العتيق منها بالحشف البالى فى هذه الثلاثة أيضا — فالمشبه متعدد . وهو « الرطب الطرى من قلوب الطير ، واليابس العتيق منها » . والمشبه به متعدد كذلك ، وهو «العناب والحشف البالى» — وقد جمع المشبهين فى المصراع الأول

(١) لا يخفى أن هذا التقسيم لا يناسب أخويه السابقين لأنه تقسيم لتشبيهات متعددة اذ لا يتعدد طرفا تشبيه واحد ، والتقسيم فيما سبق لتشبيه واحد .

(٢) أراد بالطير الجنس الصادق بالكثير والقليل ، « ورطبا ويابسا » حالان من القلوب ، والعامل فيهما « كأن » لتضمنها معنى التشبيه ، وكأنه قال : أشبه قلوب الطير رطبا ويابسا . وانما لم يؤنث الحالين لأن الضمير فيهما راجع للقلوب لا باعتبار الجمع ، بل باعتبار البعض أى حالة كون بعضها رطبا ، وبعضها يابسا ولابد من هذا التنويع لأن الرطوبة واليبوسة لا تجتمعان فى محل واحد «ولدى وكرها» ظرف يحتمل أن يكون حالا من القلوب أو من الضمير المستتر فى « رطبا ويابسا » العائد على البعض ، ويحتمل غير ذلك ، « والوكر » عش الطائر « والعناب » حب أحمر مائل الى الكدرة فى حجم قلوب الطير الرطبة ، « والحشف » أردأ التمر فى هيئة قلوب الطير اليابسة .

على طريق العطف كما جمع بين المشبهين بهما فى المصراع الثانى كذلك — كما ترى (١) —

ومثال تعدد الطرفين غير معطوفين قولك : « والداك القمران » فالطرفان متعددان من غير عطف — كما رأيت — وقد يؤتى بأحدهما معطوفا ، دون الآخر كما تقول : « أبوك وأمك القمران » ، و « والداك الشمس والقمر» فالمعطوف فى الأول هو « المشبه » ، وفى الثانى هو « المشبه به » ، وفى جميعها تقدم المشبه على المشبه به — كما ترى — وعكس ذلك أن يقال : « كالشمس والقمر هند ودعد » بتقديم المشبهين بهما على المشبهين ، مع العطف فيهما — ويقال « كالقمرين ليلى وسعاد » معطوفا أحدهما دون الآخر ، ويقال فى عكسه : « كالأسد والبحر صديقاك » — الى غير ذلك مما جمع فيه كل صنف على حدة كما هو رأس المسألة — وسمى هذا النوع « ملفوفا » لأنه من اللف وهو الضم ، وقد لف المشبهان فى جميع ما مثلنا أى ضم بعضهما الى بعض — كما لف المشبهان بهما كذلك .

والمفروق — هو أن يتعدد طرفاه ، ويجمع كل طرف مع صاحبه — بأن يجمع كل مشبه مع مشبه به كما فى قول ابن سكرة :

الخد ورد والصدغ غالية والريق خمر والثغر كالدرر(٢)

شبه الشاعر الخد بالورد . والصدغ بالغالية ، والريق بالخمر ، والثغر بالدرر ، جاعلا كل مشبه مع مقابله — ومثله قول المرقش الأكبر (٣) :

---

(١) انما جعل من تشبيه المفرد المتعدد ، ولم يجعل من تشبيه المركب بالمركب لأنه ليس لانضمام الرطب من القلوب الى اليابس منها هيئة حاصلة خاصة يقصد اليها ، ولا لاجتماع العناب مع الحشف البالى هيئة كذلك .

ولهذا لو فرق التشبيه فقيل : كأن الرطب من القلوب عناب ، وكأن اليابس منها حشف لصح ذلك ، بدون توقف أحد التشبيهين على الآخر .

(٢) المراد بالصدغ الشعر المتدلى على الخد ، والغالية أخلاط من الطيب و « الثغر » أراد به الأسنان .

(٣) هو عمرو بن سعد شاعر جاهلى .

النشر مسك والوجـوه دنا   نير وأطراف الأكف عنم (١)

جمع الشاعر أيضا فى هذا البيت كل مشبه به مع مشبهه كما فى البيت السابق ــ وسمى هذا النوع «مفروقا» لأنه لم يجمع فيه بين المشبهات على حدة ، ولا بين المشبهات بها كذلك ــ كما فى القسم الأول ، بل فرق بينهما، فوضع كل مشبه به بجوار مشبهه ــ كما ترى ــ .

وتشبيه التسوية ــ هو أن يتعدد المشبه ، دون المشبه به كقول الشاعر :

صدغ الحبيب وحالى   كلاهما كالليالى
وثغره فى صفاء   وأدمعى كاللآلى

شبه الشاعر فى البيت الأول حاله ، وصدغ حبيبه بالليالى فى السواد ، وشبه فى البيت الثانى أدمعه ، وثغر حبيبه بالآلى فى الصفاء والتألق فالمشبه فيهما متعدد دون المشبه به ــ وسمى هذا النوع « تشبيه التسوية » لأنه سوى فيه بين شيئين فى الحاقهما بشىء واحد كما تراه فى البيتين .

وتشبيه الجمع ــ هو أن يتعدد المشبه به دون المشبه عكس تشبيه التسوية كما فى قول البحترى من قصيدة له :

بات نديما لى حتى الصباح   أغيد مجدول مكان الوشاح
كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح (٢)

(١) « النشر » الرائحة الطيبة و « العنم » شجر لين الأغصان أحمر اللون تشبه به أصابع الجوارى المخضبة وأراد بأطراف الأكف الأصابع يريد أن يقول : ان رائحة هؤلاء النسوة كرائحة المسك والوجوه منهن كالدنانير من الذهب فى الاستدارة ، والاستنارة ، والصفرة ، وهذا اللون مما كان يستحسن فى ألوان النساء ، وأن أصابعهن كالعنم فى الحمرة والليونة .

(٢) « النديم » فى الأصل مؤانسك حال الشرب والمراد هنا المؤانس ليلا ، و « الأغيد » الناعم البدن مؤنثه غيداء ويقال غادة و « المجدول » المدمج أى المداخل بعضه فى بعض يريد: انه ضامر الخاصرتين والبطن وهما =

شبه البحترى فى البيت الثانى ثغر محبـــوبه بثلاثة أشياء ــ «اللؤلؤ» وهو المعدن النفيس المعروف ، «والبرد» وهو حب الغمام، «والاقاح» بفتح الهمزة جمع اقحوان بضمها وسكون القاف وضـــم الحاء ، وهو نور طيب الرائحة يتفتح كالورد . وأوراقه أشبه شيء بالأسنان ــ فالمشبه شيء واحد وهو « الثغر » ، والمشبه به متعدد ــ كما ترى ــ «وأو» هنا بمعنى الواو ، أو هى على أصلها للتنويع . ولما لم يعين واحد بخصوصه كان كأنه مشبه بالثلاثة ــ ومثله قول الشاعر :

ذات حسن لو استزادت من الحســـن لمـــا أصابت مزيدا
فهى الشمس بهجة والقضيب اللدن قدا والريم طرفا وجيدا (١)

شبه الشاعر فى البيت الثانى هذه المرأة بثلاثة أشياء ــ الشمس والقضيب ، والرئم ــ فالمشبه شيء واحـــد وهو « ذات الحسن » ، والمشبه به متعدد ــ وسمى هذا النوع « تشبيه الجمع » لاجتمـــاع شيئين أو أشياء فى مشابهة شيء واحد .

ملحوظة ــ ان التفرقة بين تشبيهى التسوية والجمع اصطلاح لهم، والا فيمكن أن يعتبر فى كل منهما ما اعتبر فى الآخر ، ويسمى باسمه.

اختبار

(١) اذكر وجه تقديم مباحث التشبيه على مبحث المجاز .

(٢) عرف التشبيه لغـــة واصطلاحا ، وهل هو وصف المتكلم أو الكلام وضح ذلك بمثالين من انشائك .

= موضع الوشاح وهو جلد عريض مرصع بالجواهر يشد فى الوسط بقصد التزين ، و « يبسم » من باب « ضرب » وقد ضمن هنا معنى يكشف فعداه بعن ــ وفى جعل هذا البيت من باب التشبيه نظر لأن المشبه وهو «الثغر» غير مذكور فى الكلام فهو اذا من باب الاستعارة ــ وقد يجاب بأن التشبيه هنا ضمنى لا صريح يدل عليه « كأن » اذ أن المجاز يجب ألا يشتم فيه رائحة التشبيه لا لفظا ولا تقديرا .

(١) « القضيب » الغصن ، « واللدن » الطرى الغض ، « والقد » القامة ، « والرئم » الغزال « والطرف » العين « والجيد » العنق .

(٣) بماذا يفرق بين التشبيه والاستعارة ، ثم بينه وبين صورة التجريد فى مثل قولك : « لقينى منه أسد » .

(٤) اذكر أركان التشبيه ووضح ذلك فى مثال من عندك .

(٥) قسم التشبيه باعتبار حسية الطرفين وعقليتهما ، مع التمثيل، ثم ايت بتشبيهات خمسة من انشائك .

أولهما — يدرك طرفاه بحاسة البصر ، ووجهه بحاسة الشم .

ثانيهما — يدرك طرفاه بحاسة البصر ، ووجهه بحاسة اللمس .

ثالثها — يدرك طرفاه ووجهه بحاسة الذوق .

رابعها — يدرك طرفاه ووجهه بحاسة السمع .

خامسها — يدرك أحدهما باحدى الحواس ، والآخر بالعقل .

(٦) بين معنى الحسى والعقلى فى الطرفين ، ومن أى قبيل قولهم: « النساء حبائل الشيطان » ؟ وقول الشاعر :

كأن عيون النرجس الغض حولها ... مداهن در حشوهن عقيق

وجه ما تقول فى المثالين :

(٧) قسم التشبيه باعتبار افراد الطرفين وتركيبهما ، مع التمثيل، ثم بين المراد بالقيد فيما طرفاه أو أحدهما مقيد ، وهل من قبيل ماطرفاه مقيدان قولهم « محمد الكريم كالأسد الرابض فى عرينه » ؟

(٨) افرق بين المقيد من الطرفين والمركب منهما ، مع توضيح ذلك بالمثال .

(٩) قسم التشبيه باعتبار تعدد الطرفين ، مع التمثيل ، وبين سبب تسمية كل قسم باسم خاص ، ومن أى نوع قول الشاعر :

بدت قمرا ومالت خوط بان ... وفاحت عنبرا ورنت غزالا

تمرينات

١ — بين فيما يأتى طرفى التشبيه ، والحاسة التى يدرك بها كل منهما :

(١) صوت كأغاريد البلابل ، ونكهة كريح الخزامى (٢) كأنهم أعجاز نخل خاوية (٣) دواء كالعقم ،ولسع كلسع الأرقم (١) (٤) رضاب كجنى النحل ، وجبين كالقمر (٥) شعر كالحرير ، وقد كغصن البان (٦) والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم (٧) عبير كأنفاس الأزهار ، ونغم كسجع الأطيار

(٨) كأنما الماء فى صفاء وقد جرى ذائب اللجين

٢ — بين فيما يأتى طرفى التشبيه وحاليهما ، ونوع التشبيه باعتبارهما :

(١) علم لا ينفع كدواء لا ينجع (٢) الصديق المنافق ، والأخ الجاهل كلاهما كجمر الغضا (٢) (٣) الحق سيف على أهل الباطل .

(٤) فرحت وآمالى كحظى كواسف وعزمى يحاكى سعيه فى المكارم

(٥) ألا ان الغضب جمرة توقد فى جنب ابن آدم

(٦) وفتكت بالمال الجزيل وبالعدا
فتك الصبابة بالمحب المغرم

(٧) انما الدنيا كبيت
نسجه من عنكبوت

(٨) خود كأن بنانها
فى خضرة النقش المزرد
سمك من البلور فى
شبك تكون من زبرجد (٣)

(٩) رضاك شباب لا يليه مشيب
وسخطك داء ليس منه مطيب
كأنك من كل النفوس مركب فأنت الى كل النفوس حبيب

(١٠) فكم معنى بديع تحت خط
هناك تزاوج كل ازدواج

(١) هو من أشد الأفاعى فتكا .
(٢) شجر سريع الالتهاب .
(٣) البلور معدن شفاف والزبرجد جوهر نفيس .

كــراح فى زجـــــاج أو كـــروح

سرت فى جســم معتـــدل المــزاج

(١١) له خـــال على صـــفحات خــد

كقطعة عنبر فى صـحن مرمر [١]

(١٢) أين أزمعت أيهـــذا الهمـــام

نحـــن نبت الربا وأنت الغمـــام

(١٣) يكاد يحكيك صـــوب الغيث منسـكبا

لو كان طلق المحيــا يمطر الذهبا [٢]

والبــدر لو لم يغب والشمس لو نطقت

والأســد لو لم تصــد والبحر لو عذبا

(١٤) أنت بــدر حســنا وشــمس عــلوا

وحســام حــزما وبحــــر نوالا

(١٥) ليـــــل وبـــدر وغصـــن

شـــعر ووجــــه وقـــد

خمـــــــــر ودر وورد

ريـــق وثغـــــر وخـــد

(١٦) لعــاب الأفاعى القــاتلات لعــابه

وأرى الجنى اشــتارته أيـد عواسل [٣]

(١٧) وجهه وجه الشيطان ، وعمله عمل الملائكة (١٨) ريقهـا العذب الفرات وصـــوتها مزمار داود (١٩) أنتم الشـعاز ، والناس الدثار [٤] .

---

(١) « الخال » شامة على الخد ، « والمرمر » الرخام .

(٢) صوب الغيث انصبابه « المحيا » الوجه .

(٣) الأفاعى الحيـــات ، « والأرى » عسل النحل « والجنى » كل ما يجنى وشار العسل وأشتاره استخرجه ، « والأيدى العواسل » هى المستخرجة للعسل من موضعه

(٤) « الشعار » الثوب الذى يلى البدن « والدثار » ما فوق الشعار من الثياب يريد : أنتم أقرب الناس منى كالشعار أما الناس فبعيدون عنى كالدثار .

جواب التمرين الأول

الجملة	المشبه	المشبه به	الحاسة
صوت كأغاريد البلابل	الصوت	أغاريد البلابل	السمع
نكهة كريح الخزامى...	النكهة	ريح الخزامى ...	الشم
كأنهم أعجاز نخل خاوية	الضمير في «كأنهم»	أعجاز نخل ...	البصر
دواء كالعلقم...	دواء	العلقم	الذوق
ولسع كلسع الأرقم ...	لسع	لسع الأرقم ...	اللمس
رضاب كجنى النحل ...	رضاب	جنى النحل ...	الذوق
وجبين كالقمر	جبين	القمر	البصر
شعر كالحرير	شعر	الحرير	اللمس
وقدٌّ كغصن البان ...	قد	غصن البان ...	البصر
عاد كالعرجون القديم ...	الضمير في «عاد»	العرجون القديم	«
عبير كأنفاس الأزهار ...	عبير	أنفاس الأزهار	الشم
ونغم كسجع الأطيار ...	نغم	سجع الأطيار ...	السمع
كأنما الماء في صفاء الخ	الماء	ذائب اللجين ...	البصر

الرقم	المشبه	المشبه به	حال المشبه	حال المشبه به	نوع التشبيه
(١)	علم لا ينفع	دواء لا ينجع	مفرد مقيد عقلى	مفرد مقيد حسى	
(٢)	الصديق المنافق والأخ الجاهل	جر الغضا	متعدد حسى	» » »	
(٣)	الحق	سيف	» عقلى	» حسى	
(٤)	آمالى	حظى	» »	» »	
	عزمى	سعيه	مفرد »	» عقلى	
(٥)	الغضب	جمرة	» »	» حسى	
(٦)	فتكه بالمال وبالعدا	فتك الصبابة	» حسى	» عقلى مقيد	
(٧)	الدنيا	بيت العنكبوت	» عقلى	» حسى »	
(٨)	هيئة الأصابع مع النقش الأخضر	هيئة السمك المبلور بين الشبك المصنوع من زبرجد	مركب حسى	مركب حسى خيالى	
(٩)	رضاك	شباب	مفرد عقلى	مفرد » مقيد	
	سخطك	داء	» »	» عقلى »	

(١٠)	المغنى البديع تحت خط ...	الراح ، أو الروح	مفرد عقلي مقيد	مفرد مقيد حسي في الأول ، عقلي في الثاني	تشبيه جمع
(١١)	هيئة الخال على صفحة الخد ...	هيئة قطعة العنبر في صحن مرمر	مركب حسي ...	مركب حسي خيالي	
(١٢)	نحن — أنت	نبت الربا — الغمام	مفرد « ...	مفرد « مقيد في الأول ، غير مقيد في الثاني	
(١٣)	صوب الغيث وما عطف عليه	الخاطب المدلول عليه بكاف الخطاب	متعدد حسي مقيد	مفرد حسي	تسوية
(١٤)	أنت	بدر وما عطف عليه	مفرد « ...	متعدد «	جمع
(١٥)	ليل وما عطف عليه	شعر « « «	متعدد « ...	« «	ملفوف
	خمر « « «	ريق « « «	« « ...	« «	«
(١٦)	لمابه	لعاب الأفاعي وما عطف عليه	مفرد « ...	« «	جمع
(١٧)	وجهه	وجه الشيطان	« « ...	مفرد مقيد وهو عقلي وهمي	
(١٨)	ريقها	العذب الفرات	« « ...	« « حسي	
	صوتها	مزمار داود	« « ...	« « «	
(١٩)	أنتم — الناس	الشعار — الدثار	« « ...	« حسي	

تمرينات يطلب جوابها

(١) بين فيما يأتى طرفى التشبيه وحاليهما ونوع التشبيه باعتبارهما:

اذا الدولة استكفت به فى ملمة	كفاها فكان السيف والكف والقلبا
فى رأس مشرقة حصاها لؤلؤ	وترابها مسك يشاب بعنبر
انى وتزيينى بمدحى معشرا	كمعلق درا على خنزير
كلنا باسط اليد	نحو نيلوفر (١) ندى
كدبابيس عسجد	قضبها من زبرجد (٢)
وما المال والأهلون الا ودائع	ولا بد يوما أن ترد الودائع
فأصبحت من ليلى الغداة كقابض	على المال خانته فروج الأصابع
يهز الجيش حولك جانبيه	كما نفضت جناحيها العقاب
كأنما النار فى تلهبها	والفحم من فوقها يغطيها
زنجية شبكت أناملها	من فوق نارنجة لتخفيها
واذا أشار محدثا فكأنه	قرد يقهقه أو عجوز تلطم

(٢) مثل لما يأتى ــ تشبيه مقيد الطرفين . تشبيه طرفه الأول حسى ، والآخر عقلى ، أو العكس . تشبيه طرفه الأول مقيد ، والآخر مركب ، أو العكس . تشبيه مفروق ، وآخر ملفوف . تشبيه طرفاه مركبان حسيان . تشبيه تسوية ، وآخر تشبيه جمع .

(٣) اجعل مجموع الأشياء الآتية مشبها به ، وبين نوع التشبيه

---

(١) بكسر النون وفتح اللام والفاء نبت له أصل كالجذر وله ساق تطول حسب عمق الماء فاذا ساوى سطحه أورق وازهر .

(٢) « العسجد » الذهب « والزبرجد » الزمرد .

فيه ــ الدر ، والغصن ، والورد ، ثم بين من أى أنواع التشبيه قولهم: هو بدر حسنا ، وشمس علوا ، وبحر علما ، وأسد شجاعة .

مبحث وجه الشبه :

الوجه هو المعنى الذى اشترك الطرفان فيه « كالجمال » فى قولك : « سعدى كالبدر » ، ومثل « السرعة » فى قولك : « الجواد كالريح » فكل من الجمال والسرعة وجه شبه لأنه المعنى الذى اشترك فيه الطرفان ــ « سعدى والبدر » فى الأول ، « والجواد والريح » فى الثانى .

غير أنه يشترط أن يكون له مزيد اختصاص بالطرفين فى قصد المتكلم ليفيد التشبيه فائدته ــ ولهذا ينبغى أن يكون وجه الشبه مقصودا للمتكلم ــ فليس كل معنى مشترك بين الطرفين « وجه شبه » ما لم يقصد جعله موضع اشتراك والا فان الطرفين قد يشتركان فى كثير من المعانى كالحيوانية ، والجسدية ، والوجود ، والحدوث ، وغير ذلك ، ومع ذلك لا يعد واحد منها وجه شبه اللهم الا اذا قصد اليه المتكلم ، واعتبره وجها للشبه بين الطرفين لغرض ما كالتقريع مثلا كأن ترى انسانا يقسو على آخر ، ويحمله مالا يطيق ، فتقول له : « هذا مثلك فارحمه » تريد : مثلك فى الحيوانية ، أو الجسدية فيكون لهذا الوجه حينئذ مزيد اختصاص وارتباط من حيث ذلك الغرض .

« وللتشبيه » باعتبار الوجه تقسيمات عدة :

التقسيم الأول :

ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار الى قسمين ــ تحقيقى ، وتخييلى .

فالتحقيقى : ــ ما يكون وجه الشبه فيه قائما بالطرفين حقيقة كما تقول :

وجه هند كالبدر ، وشعرها كالليل ، فوجه الشبه بين الطرفين هو « الاشراق » فى الأول ، « والسواد » فى الثانى وكلا المعنيين قائم بالطرفين على وجه الحقيقة .

والتخييلى ــ ما لا يكون الوجه قائما بالطرفين ، أو بأحدهما الا تخيلا ، وهو أن يثبته الخيال بجعله غير المحقق محققا ــ فمثال مافيه الوجه متخيل فى أحد الطرفين قولك : « له سيرة كنفح (١) الطيب » . « وأخلاق كأريج المسك » فقد شاع وصف كل من السيرة والأخلاق بالطيب مبالغة حتى تخيل أنهما من ذوات الرائحة الطيبة فوجه الشبه ، وهو « الرائحة الجميلة » متخيل فى المشبه فى المثالين ، ومن هذا القبيل قول القاضى التنوخى .

رب ليـــل قطعته بصـــدود وفراق ما كان فيــه وداع
موحش كالثقيل تقذى به العين وتأبى حـــديثه الأســـماع
وكأن النجـــوم بين دجـــاه سنن لاح بينهن ابتداع (٢)

والشاهد فى البيت الأخير فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحادثة من حصول أشياء بيض مشرقة ، فى جوانب شىء مظلم وهى غير موجودة فى المشبه به ضرورة أن « الاشراق ــ لكونه حسيا ــ لا تتصف به السنة لأنها أمر عقلى ، وأن « الاظلام » ــ لكونه حسيا أيضا ــ لا تتصف به البدعة لكونها أمرا عقليا كذلك فوجه الشبه اذا غير موجود فى المشبه به الا على طريق التخيل والتوهم بافتراض غير الحاصـــل حاصــلا .

بيان ذلك ــ أنه لما كانت البدعة ، وكل ما هو ضلال مما يجعل صاحبه كمن يمشى فى الظلام ، فلا يهتدى الى طريق النجاة شبهت

---

(١) نفح الطيب نفحا ونفاحا تضوعت رائحته وفاحت .

(٢) الدجى جمع دجية وهى الظلمة والضمير لليل ، وروى «ودجاها» ، والضمير حينئذ للنجوم ، والاضافة لأدنى ملابسة ، «والابتداع» البدعة وهى الأمر الذى ادعى أنه مأمور به شرعا وهو ليس كذلك .

البدعة بالظلمة ، وشاع وصفها بها ، وكان من أثر هذا الشيوع أن تخيل أن البدعة من الأجرام ذوات اللون الأسود ــ كما تخيل الكفر من الأجرام التى لها سواد فى قولهم : « شاهدت سواد الكفر فى جبين فلان » ــ ولزم بطريق العكس أن تشبه السنة ، وكل ما هو هدى بالنور ، وشاع وصفها به حتى تخيل أن السنة من الأجرام ذوات اللون الأبيض المشرق ــ كما تخيلت الشريعة الغراء من الأجرام التى لها بياض فى قوله صلى الله عليه وسلم : « أتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلهــا كنهارها » ــ فبســبب هذا التخيل ، واعتبار ماليس بمتلون متلونا صح تشبيه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع ، وصــار واضحا جليا ــ ونظير هذا تشبيههم النجوم بين الدجى بيياض الشيب يلمع فى سواد الشباب ، أو بالأزهار تتألق بين النبات الشــديد الخضرة .

والبيت المذكور من قبيل تشــبيه مفرد مقيد بمفرد مقيد فان المشبه « النجوم » بقيد كونها ظهرت بين قطع الليل البهيم ، والمشبه به « السنن » بقيد كونها لاحت بين الابتداع .

غير أن فى عبارة الشاعر قلبا لأنه جعل فى جانب المشبه « النجوم بين الدجى » فكان الواجب أن يجعل فى جانب المشبه به « السنن بين الابتداع » لتصح المقابلة ، ويتوافق الجانبان ــ ولعل النكتة فى هذا القلب الاشــارة الى كثرة السنن فى زمانه ، وأن البدع بالقياس اليها كانت قليلة .

ومثل قول التنوخى قول أبى طالب الرقى :

ولقد ذكرتك والظلام كأنه　　يوم النوى وفؤاد من لم يعشق[1]

يصف الشاعر نفسه بالوفاء ، وأنه لا ينسى حبيبه حتى فى أحلك الأوقات وأشد الأزمات ــ ووجه الشبه بين الطرفين هو « السواد »

---

(١) فى هذا البيت تشبيه جمع لاتحاد المشبه وتعدد المشبه به .

غير أنه متخيل فى المشبه به كالذى قبله لأنه لما شاع وصف أوقات المكاره بالسواد توسعا ، فقالوا : اسود النهار فى عينى ، وأظلمت الدنيا فى وجهى تخيل أن « يوم النوى » من الأشياء ذوات اللون الأسود . فشبه الظلام به — كما شبه بفؤاد من لم يعشق تظرفا فان الغزل يدعى قسوة من لم يعشق . ولذا يقولون : ويل للشجى من الخلى . وكم يوصف القلب القاسى بالسواد حتى تخيل أن له سوادا حالكا — ومثله قول الشاعر :

يامن له شعر كحظى أسود   جسمى نحيل من فراقك أصفر

فان الوجه بين الطرفين السواد ، وهو متخيل فى المشبه به لشيوع وصفه بالسواد حتى تخيل أنه ذو لون أسود تدركه العيون .

فاذا قيل فى هذا البيت : « يا من له حظ كحظى أسود » ، أو قيل فى بيت أبى طالب : ولقد ذكرتك والزمان كأنه يوم النوى « البيت » كانا مثالين لما يكون فيه الوجه متخيلا فى الطرفين .

هذا — وقد تقدم أن تشبيه المحسوس بالمعقول لا يجوز الا اذا تخيلنا المعقول محسوسا . وافترضناه أصلا فى وجه الشبه يقاس به المشبه مبالغة ، واذا فلا بد هنا أن نتخيل غير المتلون أصلا للمتلون الحقيقى ، فنتخيل « السنن » فى بيت التنوخى أصلا فى البياض ، و « البدع » أصلا فى السواد — كما نتخيل فى بيت أبى طالب « كلا من يوم النوى ، وفؤاد من لم يعشق » أصلا فى السواد كذلك .

تنبيهان :

الأول — مما تقدم فى تعريف وجه الشبه . وتقسيمه الى تحقيقى وتخييلى يتبين أنه لابد من وجوده فى الطرفين تحقيقا ، أو تخييلا — فاذا لم يوجد فى الطرفين على احدى هاتين الصفتين لم يصح

جعله وجه شبه واذا لا يصح ان يكون وجه الشبه فى قوله : « النحو فى الكلام كالملح فى الطعام » — كون القليل مصلحا . والكثير مفسدا — لأن المشبه، وهو «النحو» لا يشترك مع المشبه به فى هذا المعنى اذ لا يحتمل قلة ولا كثرة ، بل هو عبارة عن أن تراعى قواعده ، وأحكامه من رفع الفاعل ، ونصب المفعول فان تحقق ذلك فى الكلام كان صالحا ، والا كان فاسدا — أما المشبه به وهو « الملح » فيحتمل القلة والكثرة ، والقليل منه مصلح ، والكثير مفسد — وحينئذ لا يصح جعل « كون القليل مصلحا ، والكثير مفسدا » وجه شبه لعدم تحققه فى كلا الطرفين لا تحقيقا ولا تخييلا — بل وجه الشبه بينهما هو : « الصلاح اذا استعملا ، والفساد اذا أهملا » وهذا المعنى « لاشك » موجود فى الطرفين ا هـ .

الثانى — قد يكون وجه الشبه فى أحد الطرفين ادعائيا ، وفى الآخر حقيقيا كما يقال للجبان : هو أسد ، وللبخيل : هو حاتم — فوجه الشبه بين الطرفين فى الأول « الشجاعة » ، وفى الثانى « الجود » — وليس من شك أن الشجاعة فى الجبان ، والجود فى البخيل كلاهما أمر ادعائى ليس غير .

ومثل هذا الكلام — فى ظاهره — غير صحيح لأن وجه الشبه — كما قلنا — لا بد أن يكون معنى مشتركا بين الطرفين ، والطرفان « فى المثال الأول » لم يشتركا فى معنى « الشجاعة » لانعدامه فى الجبان — كما لم يشتركا فى معنى « الجود » فى المثال الثانى لانعدامه فى البخيل فلا مندوحة اذا من توجيه يصح به مثل هذا التشبيه .

وتوجيه ذلك — أن ينزل التضاد بين الطرفين المتضادين منزلة التناسب بينهما ، وابراز الخسيس فى صورة الشريف ، فيجعل «الجبن» مثلا بمنزلة الشجاعة ، والبخل بمثابة الجود ، ويعتبر الجبان شجاعا ، والبخيل جوادا لغرض ما ، وبهذا التأويل صح أن يكون الوجه فى الأول « الشجاعة » ، وفى الثانى « الجود » ، ووضح اشتراك الطرفين

فى الوجه — ويسمى مثـل هذا النوع من التشبيه « تشبيه التضاد ».

غير أنه لا بد لتنزيل التضاد منزلة التناسب من غرض صحيح يدعو اليه والا كان الكلام ضربا من الهذيان ، وذلك الغـرض هو التهكم والسخرية ، أو التظرف والتمليح (١) ، وبغير ذلك لا يتم التنزيل المذكور ، ولا يعتبر — فاذا قلت مثلا : « ما أشبه البخيل بحاتم » ! ،أو ما أشبه العيى بسحبان وائل ، منزلا التضاد بينهما منزلة التناسب فلا بد أن يكون ذلك منك علىسبيل التهكم والسخرية، أو التظرف والتمليح .

أما ما قيل من أن وجه الشبه فى نحو هذين المثالين هو «التضاد» أى كون كل منهما مضادا للآخر لأنه المعنى المشترك بين الطرفين فهو قول لا يعدو صماخ الأذن اذ من المعلوم بداهة : أن كلا من المتضادين مضاد للآخر ومقابل له كما فى قولنا: « السواد كالبياض فى التضاد »، و « العدم كالوجود فى التقابل » — وهكذا ومثل هذا التشبيه من لغو القول ينبغى أن يبرأ منه كلام البليغ — على أنه لو كان الأمر كذلك لم يكن للتهكم ، أو التظرف معنى اذ لا تهكم أو تظرف فى أن يشبه أحد المتضادين بالآخر فى معنى التضاد لأن هذا لا يعدو الواقع الملموس ، وانما يكون التهكم أو التمليح حيث يدعى للجبان شجاعة، وللبخيل جود ، بعد تنزيل التضـاد بينهما منزلة التنـاسب — كما رأيت — اهـ .

اختبار وتمرين

(١) عرف وجه الشبه ، وهل كل معنى بين الطرفين يصح جعله موضـع اشتراك ؟ وجه ما تقول ، مع التمثيل .

---

(١) يفرق بينهمـا بحسب المقام فان رمى المتكلم الى السـخرية والاستهزاء فتهكم وان كان متظرفا فتمليح .

(٢) افرق بين التشبيه التحقيقى والتخييلى ، ثم ايت بتشبيه يكون أحد الطرفين فيه حسيا ، والوجه عقليا ، وبآخر يكون الوجه فى أحد الطرفين تخييليا .

(٣) الشأن فى ملح الطعام أن يكون القليل منه مصلحا ، والكثير مفســـدا فهل يصح جعل هذا الوصف وجه شبه بينه وبين النحو فى قولهم : النحو فى الكلام كالملح فى الطعام ؟ وجه ما تقول ، ثم اذكر ما تراه يصلح وجه شبه .

(٤) بين وجه الشبه ، ونوع قيامه بكل من الطرفين من حيث تحققه ، أو تخيله ، أو ادعاؤه فيما يأتى : ــ

(١) ثوب المخلص كقلبه (٢) باقل كسحبان (٣) الحياة كسحابة صيف .

(٤) فانهض بنار الى فحم كأنهما   فى العين ظلم وانصاف قد اتفقا

جواب التمرين

(١) وجه الشبه هو البياض وهو فى المشبه حقيقى ، وفى المشبه به تخييلى فان القلوب ليست من ذوات الألوان وقد جعل القلب مشبها به لاعتباره أصلا فى البياض مبالغة .

(٢) وجه الشبه الفصاحة وهو فى المشبه ادعائى ، وفى المشبه به حقيقى بتنزيل التضاد بين الطرفين منزلة التناسب ، وجعل العى بمثابة الفصاحة تهكما أو تمليحا .

(٣) وجه الشبه عدم الثبات وهو قائم بالطرفين حقيقة .

(٤) وجه الشبه هيئة اجتماع بياض بسواد اذ قد شبه الشاعر النـــار والفحم مجتمعين بالعـــدل والظلم مجتمعين كذلك فى الهيئة المذكورة وهى قائمة بالمشبه حقيقة ، وبالمشبه به تخيلا بعد اعتباره أصلا فى هذه الهيئة يقاس عليه مبالغة .

التقسيم الثاني :

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضا الى ثلاثة أقسام — :

(١) ما يكون وجه الشبه فيه شيئا واحدا (١) .

(٢) ما يكون الوجه فيه مركبا منزلا منزلة الواحد .

(٣) ما يكون الوجه فيه متعددا .

فالوجه الواحد مالا تركب فيه ولا تعدد « كالحمرة » فى قولك . « خده كالورد » و « وكالنعومة » فى قولك : « لها بشر مثل الحرير » ، « وكالحلاوة » فى قولك « تفاحك كالعسل » ، «وكالكرم» فى قولك : محمد كحاتم ، وكالهداية فى قولك : العلماء العاملون كالنجوم — فوجه الشبه فى هذه المثل جميعها شيء واحد — كما رأيت —

والمركب المنزل منزلة الواحد ما كان مركبا من متعدد تركيبا اعتباريا — بأن يقصد الى عدة أوصاف لشيئين ، فتنتزع منها هيئة تعمهما بحيث لا يصلح واحد منها على انفراده وجه شبه ، وبحيث لو سقط واحد منها لم يتم التشبيه كما فى قول بشار المتقدم :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فان وجه الشبه — على ما سبق — مجموع الهيئة المنتزعة من هوى أجرام مشرقة ، مستطيلة الأشكال ، متناثرة فى جوانب شيء مظلم ولا يصح « فى العرف البلاغى » جعل واحد من هذه الأشياء وجه شبه على حدة لأن القصد تشبيه الطرفين فى هذه الهيئة المجتمعة — كما لا يصح اسقاط واحد منها « فى اعتبار المتكلم » لصيرورة الهيئة وحدة متضامة الأجزاء — ومثله قول الشاعر :

والبدر فى كبد السماء كدرهم   ملقى على ديباجة زرقاء

---

(١) المراد بالواحد ما يعد فى العرف واحدا .

فوجه الشبه – كما ترى – مجموع الهيئة المركبة من عـدة أمور : هى ظهور صورة مشرقة مستديرة بيضاء ، فى رقعة مبسوطة زرقاء ولا يصح فى « الذوق البلاغى » اعتبار أحد هذه الأمور وجه شبه على استقلاله – كما لا يصح فصل أحدها عن مجموع الهيئة –

وانما نزل هذا القسم منزلة الواحد لأن الوجه فيه مركب من أشياء تضامت ، وتلاصـقت حتى صـارت كالشىء الواحد لا يقبل التجزئة – وانما لم يكن واحـدا حقيقة لتركبه من جمـلة أمور ، ولا تركب فى الواحد .

وقد شرطنا فى المنزل منزلة الواحد أن يكون تركيبه اعتباريا ليخرج ما كان مركبا من متعدد تركيبا حقيقيا كالحقيقة الانســانية المركبة من الحيـوانية والناطقية فى مثـل قولك « عباس كفؤاد فى الانسانية » فان هذا الوجه من قبيل الواحد ، لا من قبيل المنزل منزلته لأنه مركب من جزئين صارا بهذا التركيب شيئا واحدا فى الخارج ، قائما بذاته – بخلاف الوجه فى نحو ما فى بيت « بشار » ، فان الأمور التى تكونت منها تلك الهيئة السابقة لا يلتئم من مجموعها حقيقة واحدة قائمة بذاتها كالحقيقة الانسانية وانما هى أمر اعتبارى لاحظه المتكلم من اجتماع أمور انتزعها العقل من الطرفين – ولو أننا اعتبرنا المركب الحقيقى فى موضوع المسألة لكان أمثال قولك : « عباس كفؤاد » من قبيل تشبيه المركب بمثله اذ أن كلا من الطرفين مركب من حيوانية وناطقية ولا قائل به .

والوجه المتعدد ما كان عدة أمور جعل كل منها وجه شـبه على حدة كما فى قولك : هذه الفاكهة كالتى أكلناها أمس فى الطعم ، واللـون ، والرائحة ، وكما فى قولك : محمـد كأخيه فى الطول ، والرشاقة ، والوسامة ، ومثله فى الحلم والكرم ، والذكاء – فوجه الشبه فى هذه المثل أمور متعددة كل منها يصلح أن يكون وجه شبه على انفراده اذ ليس القصد تشبيه الطرفين فى الهيئة المركبة من هذه الأمور ، بل فى كل واحد منها .

الأول ـــ مما تقدم يعلم أن الفرق بين الوجه المركب من عدة أشياء وبين المتعدد هو أن المركب منظور فيه الى مجموع الاشياء والهيئة المركبة منها بحيث تصير وحدة لا تتجزا ، وبحيث لو حذف أحد هذه الأشياء اختل التشبيه كما فى قول بشار : كأن مثار النقع « البيت » فان وجه الشبه ـــ كما علمت هو مجموعة الأمور السابقة وهى سقوط الأجرام المشرقة المستطيلة الأشكال المتناثره فى جوانب شيء مظلم فلو حذف من هذه المجموعة واحد كالاشراق ، أو الاستطالة لم يتم التشبيه بين الطرفين ـــ وكما فى قول الآخر : والبدر فى كبد السماء « البيت » فان وجه الشبه فيه مجموعة الأشياء السابقة من ظهور صورة بيضاء مشرقة مستديرة فى رقعة زرقاء فلو حـــذف من هذه المجموعة واحد كالاستدارة ، أو الاشراق اختل التشبيه كذلك ـــ ذلك أن الغرض تشبيه الطرفين فى الهيئة التركيبية المتضامة الأجزاء .

أما الوجه المتعدد فان المنظور فيه الى أمور متعددة يقصد جعل كل واحد منها على استقلاله وجه شبه ـــ عكس الأول ـــ بحيث لو حذف أحدها ، أو قدم أو أخر لم يختل التشبيه كما فى المثـــال السابق فى تشبيه فاكهة بأخرى فى الطعم ، والرائحة ، واللون فانك لو حذفت اللون مثلا ، أو الطعم لم يختل التشبيه اذ ليس الغرض أن يجعل وجه الشبه الهيئة الحاصلة من مجموع هذه الأمور ، بل المراد جعل كل واحد منها وجه شبه ، من غير أن يتقيد أحدها بالآخر .

ويتبين لك الفرق بينهما جليا فى قول الشاعر :

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة　　　فلما رأوها أقشعت وتجلت[1]

---

(١) كما أبرقت الكاف للتشبيه وما مصدرية وأبرقت بمعنى ظهرت وعرضت وفى الأساس أبرقت لى فلانة اذا تحسنت وازينت وهو من باب الحذف والايصال فقوله : أبرقت قوما أى أبرقت لقوم « وأقشعت » بمعنى أقلعت وذهبت .

شبه الشاعر حال من ظهر له شيء هو فى غاية الحاجة اليـه ، وقد عاق به رجاءه ، ثم مالبث أن فوجيء بفقدانه ، أو ذهابه الى حيث لا أمل فيه بحـال قوم عطاش عرضت لهم غمامة هم أشد ما يكون حاجة اليها ، وما ان رجوها أن تمطرهم حتى انقشعت عنهم ، وذهبت وتركتهم فى حيرة ويأس ــ ووجه الشبه الهيئة الحادثة من الشيء يكون أوله مطمعا مغريا ، وآخره مخيبا موئسا .

فأنت ترى أن الوجه منتزع من أمرين متصلين ــ ابتـداء مطمع، وانتهاء موئس ــ والشطر الأول من البيت المذكور انما تضمن الأمر الأول اذ معناه : أن الغمامة ظهرت لقوم يرجون الماء لشدة حاجتهم اليه فقد أطمعتهم أول الأمر حين عرضت لهم ــ أما الأمر الثانى ــ وهو : الانتهاء الموئس ــ فقد تكفل به الشطر الثانى اذ معناه : أن الغمـامة خذلتهم ، وتولت عنهم حين التمسوها فكانت الحال نهاية موئسة .

واذ علمت هذا : تعلم أنه لايتأتى انتزاع وجه الشـبه من الشطر الأول فقط لأن الوجه ــ كما عرفت ــ مركب من الأمرين معا ، فلابد أن ينتزع من الشطرين جميعا ولو اقتصر فيه على الشطر الأول لاختل التشبيه لعدم وفاء هذا الشطر بالمعنى المراد .

وهذا بخلاف التشبيه المتعدد كما فى المثال السابق فى تشـبيه فاكهة بأخرى ، أو كما فى قولنا « محمد كالأسد فى ضخامته ، وزئيره، واقدامه » فان القصد فيه الى تشبيهه بالأسد فى كل واحد من هذه الأمور الثلاثة بحيث لو ترك أحدها لم يتغير حال الباقى فى افـادة معناه ا هـ .

الثانى ــ اعلم أنه اذا كان وجه الشبه مركبا وجب أن يكون الطرفان مركبين ، أو مقيدين ، أو أحدهما مركبا ، والآخر مقيدا ولو تقديرا ــ ذلك أن وجه الشبه قائم بالطرفين ، منتزع منهما ، وليس معقولا أن تقوم هيئة مركبة من عدة أمور بشيء واحد ، أو أن تنتزع

من شيء واحد — فوجه الشبه فى بيت بشار المتقدم هو الهيئة المركبة من عدة أمور سبق بيانها غير مرة ، وتلك الهيئة لا يمكن أن تقوم بشيء واحد ، ولا أن تنتزع منه — كذلك وجه الشبه فى قول الشاعر السابق :

انى وتزيينى بمدحى معشرا «البيت»

هو هيئة من يضع الشيء فى موضع ليس أهلا له وهذا المعنى التركيبى — وقد سبق بيانه — لايمكن أن يقوم بأحد الطرفين مجردا عما لوحظ فيه من قيود — كذلك وجه الشبه فى تشبيه الشمس بالمرآة فى يد رعشاء هو الهيئة السابق ذكرها ، وأحد الطرفين — وهو الشمس — وان أفرد لفظا — مقيد معنى بجملة قيود هى الاشراق المتموج ، والحركة السريعة المتصلة ، والاستدارة ، وبهذا صح أن يكون منزعا للهيئة المذكورة اهـ .

اختبار

(١) افرق بين الوجه المركب والمتعدد ، ووضح ذلك بالأمثلة توضيحا تاما ، واذكر لم كان المركب منزلا منزلة الواحد ، ولم يكن واحدا حقيقة ؟

(٢) قالوا : اذا كان وجه الشبه مركبا فالطرفان — اما مركبان، أو مقيدان ، أو مختلفان ، ولا يصح أن يكون أحدهما ، أو كلاهما مفردا علل لهذه القاعدة ، موضحا ماتقول بالمثال .

(٣) ايت بتشبيهات أربعة، فيها الوجه مركب ؛ اما مع طرفين مركبين كذلك ؛ أو مفردين مقيدين ؛ أو مختلفين .

(٤) قالوا : ان وجه الشبه فى نحو قول بشار : كأن مثار النقع «البيت» من قبيل المركب فهل يصح تحويله الى تشبيه متعدد ، فيشبه النقع المثار بالليل والسيوف اللامعة بالكواكب ؟ علل لما تقول .

(٥) علام استشهد الخطيب في تلخيصه بقول الشاعر :

كما أبرقت قوما عطاشا سحابة فلما رأوها أقشعت وتجلت ؟

التقسيم الثالث :

(١) — أن يكون وجه الشبه فيه حسيا أى مدركا بالحس الظاهر — مفردا كان ، أو مركبا ، أو متعددا .

فالمفرد الحسى « كالاشراق » في قولك : « له وجه كالبدر »، و « كالملاسة » في قولك : « له خد كصفحة المرمر » و « كالطيب » في قولك : له عرف كأريج العنبر الى آخر ماتقدم من الأمثلة فى الأمور الحسية .

والمركب الحسى يكون طرفاه مركبين ، أو مفردين مقيدين ، أو مختلفين فالمركب ذو الطرفين المركبين كما فى قول بشار السابق :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فان وجه الشبه فيه — على ما سبق — هو الهيئة الحاصلة من تساقط أجرام مشرقة ، مستطيلة ، متناسبة المقادير ، متناثرة ، فى أثناء شىء مظلم ، وهذه الهيئة حسية تدرك أجزاؤها بحاسة البصر — والطرفان مركبان — كما ترى — اذ لم يقصد تشبيه النقع بالليل ، أو السيوف بالكواكب ، بل قصد الى تشبيه الهيئة بالهيئة — كما سبق بيانه —

والمركب الحسى ذو الطرفين المقيدين كما فى قول قيس بن الخطيم .

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى

كعنقود ملاحية حين نورا (١)

---

(١) « الثريا » اسم لمجموعة من النجوم متقاربة على شكل خاص . « والملاحية » بضم الميم وتخفيف اللام وقد تشدد كما هنا عنب أبيض فى حبه طول ومعنى « نور » تفتح نوره وقيل : معناه : أدرك وهو أظهر . والاضافة بيانية .

فان وجه الشبه فيه هيئة اجتماع صور بيض مستديرة ، صغار المقادير ، فى رأى العين ، على وضع خاص (١) — وهذه الهيئة حسية ، والطرفان هنا « الثريا والعنقود » وهما مفردان روعى فى كل منهما قيده الخاص — ففى الأول روعى كونه فى وقت الصبح ، وفى الثانى روعى كونه عنقود ملاحية حين تفتح نوره .

والمركب الحسى ذو الطرفين المختلفين — افرادا وتركيبا كما فى قول الصنوبرى :

وكأن محمر الشقيق اذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد

فان وجه الشبه فيه — هيئة الأجرام الحمر ، المنشورة على رءوس أجرام مستطيلة خضر وهذه الهيئة حسية تدرك بحاسة البصر ، والمشبه — كما ترى — مفرد لأنه اسم لمسمى واحد هو « الشقيق » ، ولكن روعى فيه قيوده من الاحمرار ، والتصوب والتصعد ، والمشبه به مركب لأن القصد فيه الى هيئة الأعلام الياقوتية ، المنشورة على الرماح الزبرجدية — وكما تقدم فى عكسه من قول أبى تمام :

يا صاحبى تقصيا نظريكما　　تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهارا مشمسا قد شابه　　زهر الربا فكأنما هو «مقمر»

فان وجه الشبه فيه هيئة اختلاط شىء أسود بشىء أبيض مشرق وهذا الوجه مما يدرك أيضا بحاسة البصر — والمشبه مركب لأن القصد فيه — كما سبق — الى هيئة النهار المشمس ، خالطه زهر الربا ، فنقص من ضوئه والمشبه به وهو « الليل » مفرد مقيد بالوصف المذكور .

لكن قد يقال : ان وجه الشبه هو المعنى الذى يشترك فيه الطرفان ، فينبغى اذا أن يكون كليا ليتأتى فيه معنى الاشتراك ،

(١) أى لا هى منضمة شديدة الانضمام ، ولا هى مبتعدة شديدة الابتعاد .

والحسى — وهو المدرك باحدى الحواس — لابد من وجوده فى جسم معين خارجا حتى يتأتى ادراكه بالحاسة كالحمرة القائمة بخد معين ، وورد معين ومثل هذا لايكون الا جزئيا والجزئى لا يتأتى فيه الاشتراك فلا يصح أن يكون وجه شبه .

ويجاب : بأن لا نزاع فى أن وجه الشبه لا يكون الا كليا ضرورة اشتراك الطرفين فيه فوجه الشبه فى نحو قولك : « خده كالورد » هو « مطلق حمرة » وهو معنى كلى لا يدركه الا العقل ، ولا مدخل للحواس فيه — غير أن الموصوف بالحسية انما هو جزئيات هذا الكلى كحمرة هذا الخد المشاهد ، وحمرة هذا الورد المعين — وحينئذ فاطلاق وصف الحسية على وجه الشبه الذى هو مطلق حمرة فيه نوع تسامح من اطلاق ما للجزئى على الكلى .

والمتعدد الحسى ما تقدم فى تشبيه فاكهة بأخرى فى الطعم ، والرائحة ، واللون — فوجه الشبه لكل واحد من هذه الأمور الثلاثة ، وجميعها حسى ، يدرك الأول منها بحاسة الذوق ، والثانى بحاسة الشم ، والثالث بحاسة البصر .

(٢) — أن يكون وجه الشبه عقليا أى مدركا بالعقل — واحدا كان ، أو مركبا ، أو متعددا .

فالوجه الواحد العقلى — طرفاه اما عقليان ، أو حسيان ، أو مختلفان — فالواحد العقلى ذو الطرفين العقليين « كعدم النفع » فى قولك : « وجود فلان كعدمه » ، « وكعظم الفائدة » فى قولك : « العلم كالحياة » — والواحد العقلى ذو الطرفين الحسيين «كالهداية» فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ، « وكالرسوخ » فى قولك : « فلان كالجبل » — والواحد العقلى ذو الطرفين المختلفين — حسا وعقلا « كالهداية » فى قولك : « العلم كالنور » ، فالمشبه عقلى ، والمشبه به حسى —

« وكاستطابة النفس » فى قولك : « العطر كالخلق الكريم » ، فالمشبه حسى . والمشبه به عقلى عكس الأول ، والوجه فى الجميع عقلى — كما رأيت — .

والمركب العقلى كما فى قوله تعالى : « **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا** » .

شبه حال اليهود المنتزعة من حملهم للتوراة ، بمعنى تكليفهم العمل بها ، وكون المحمول مستودع العلم النافع لهم ، وعدم حملهم لها بمعنى عدم العمل بمقتضاها ، والانتفاع بما فيها ، مع تحملهم ما طلب اليهم ، مما يثقل عليهم ، ويشق على نفوسهم شبه هذه الحال بحال الحمار المنتزعة من حمله أوعية العلوم ، ومستودع ثمار العقول ، وعدم انتفاعه بما يحمل ، مع معاناته مشاق الحمل — ووجه الشبه بين الحالين هو هيئة الحرمان من الانتفاع بأبلغ نافع ، مع معاناة الكد فى استصحابه — وهذه الهيئة أمر عقلى انتزع من عدة أمور كذلك[1] ومثل الآية الكريمة قول الشاعر :

والمستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء [2] بالنار

شبه حال من أصابته شدة ، فالتجأ الى عمرو طمعا فى الاحتماء به فاذا عمرو أشد خطرا مما وقع فيه بحال من لذعته الرمضاء ، فالتجأ الى ما هو أشد لذعة ، وأنكى ألما — ووجه الشبه هيئة الالتجاء من

---

(١) وانما كان الوجه منتزعا من أمور عقلية لأنه روعى فى جانب اليهود حمل خاص هو التكليف ، وحرمان من الانتفاع بما كلفوا به ، ومعاناة كد فيما حملوه وكل هذه الأشياء أمور عقلية ، وروعى مثل ذلك فى جانب الحمار غير أن الحمل فى جانبه حسى لأن المراد منه الحمل على الظهر بخلافه فى جانب اليهود فان المراد منه التكليف والطلب ، وكون بعض الأمور المنتزع منها حسيا لا يؤثر فى عقلية المنتزع ٠

(٢) هى الأرض ذات الحرارة الشديدة من الرمض بفتح الراء والميم وهو شدة وقع الشمس على الرمل ٠

الضار الى ماهو أضر منه طمعا فى النجاء فمجموع الهيئة هو الالتجـاء الى ما هو أضر ، والطمع فى الانتفاع به ؛ وهما ــ كما ترى ــ أمران عقليـان .

والمتعدد العقلى كما فى قولك : محمد كأبيه فى شجاعته ، وحلمه، وايمانه فوجه الشبه كل واحد من هذه الأمور الثلاثة . والجميع مما لا يدرك بغير العقـل .

(٣) ــ أن يكون الوجه مختلفا ــ بعضه حسى ، وبعضـه عقلى كما فى وجه الشبه المتعدد كأن تشبه رجـلا بآخر فى طـوله وجسامته ، وحلمه وشهامته فوجه الشبه كل واحد من هـذه الأمور الأربعة ــ غير أن الأولين منها حسيان ، والآخرين عقليان .

تنبيهـــان

الأول ــ ان الوجه المختلف حسا وعقلا كما يكون فى المتعدد ــ كما مثلنا ــ يكون كذلك فى المركب المنزل منزلة الواحد باعتبار الأجزاء التى تركب منها كما فى تشبيه الحسناء الوضيعة الأصـل بخضراء الدمن (١) فى حسن المنظر ، مع سوء المخبر فان وجه الشبه مجموع الأمرين المذكورين ــ وأحدهما حسى ، والآخر عقلى .

غير أن علماء البيان يعتبرون المركب من حسى وعقلى من قبيل العقلى بتغليب العقل على الحس لاتساع أفقه اذ يدرك المحسوسات والمعقولات بخـلاف الحواس فلا تدرك غير ما وقع تحت الحس ــ فالمركب حينئذ اما حسى فقط ، أو عقلى فقط كما هو الشأن فى الوجه المفرد ــ أما الوجه المتعدد فان فيه الأنواع الثلاثة ــ كما عرفت ــ اهـ .

---

(١) هى شجرة تنبت فى معاطن الدواب تكون ناضرة بهيجة ، ولكن لا ثمر فيهـا .

الثاني — مما تقدم من الأمثلة تعلم أن الوجه اذا كان حسيا — مفردا كان ، أو مركبا ؛ أو متعددا أو كان بعضه حسيا كما فى المتعدد المختلف ، أو المركب المختلف — وجب أن يكون الطرفان حسيين أيضا — أما الأول فلأحد سببين :

«أحدهما» أنه لابد من قيام وجه الشبه بالطرفين تحقيقا للتشارك بينهما ؛ والحسى لا يقوم بغير الحسى « فالبياض » مثلا مما يدرك بحاسة البصر — فلو جعل مشتركا بين شيئين وجب أن يكونا من المبصرات حتى يتأتى قيام البياض بهما — كذلك « الملاسة » مما تدرك بحاسة اللمس ، فلو جعلت موضع اشتراك بين شيئين وجب أن يكونا من الملموسات حتى يتأتى قيام الملاسة بهما — وهكذا يقال فى سائر المحسات .

« ثانيهما » — أنه لابد من ادراك الوجه فى الطرفين ليتحقق لنا التشارك فيه ، والحواس لا تدرك غير المحسات فحاسة البصر مثلا لا تدرك الا ما كان مبصرا — وحاسة السمع لا تدرك الا ما كان مسموعا — وحاسة اللمس لا تدرك الا ما كان ملموسا — وهكذا ، ومحال أن تدرك هذه الحواس شيئا من المعقولات ، فلا تبصر العين معنى « الكرم » ، ولا تلمس اليد معنى « الشجاعة » ولا تشم الأنف معنى « الحلم » .

وأما الثاني — وهو ما كان بعضه حسيا وبعضه عقليا — كما فى الوجه المتعدد أو المركب فلأنه لابد من قيام كل واحد من ذلك المتعدد ، أو كل جزء من ذلك المركب بالطرفين ، أو ادراكه فيهما — كما قلنا — ويمتنع بداهة قيام الحسى بالعقلى ، أو ادراكه فيه — كما بينا —

أما الوجه العقلى فيصح — على ما تقدم — أن يكون طرفاه عقليين ، أو حسيين ، أو مختلفين — فالعقليان كأن تشبه وجود الجاهل بعدمه فى الخلو من الفائدة ، والحسيان كأن تشبه قوى البأس

بالجبل فى الصمود ، والمختلفان كأن تشبه السيرة الحميدة بأريج المسك ، أو العكس كأن تشبه أريج المسك بالسيرة الحميدة فى ارتياح النفس لهما — فالطرفان فى هذه المثل ما بين حسيين وعقليين . ومختلفين ، ووجه الشبه فى الجميع عقلى — كما رأيت —

وانما صح هذا التعميم فى الوجه العقلى ، لجواز قيام المعقول بالمحسوس ، كقيام معنى الفصاحة بسحبان ، وقيام معنى الشاعرية بحسان ، ولجواز أن يدرك العقل أمرا معقولا فى شىء محسوس كادراك معنى «الشجاعة» فى خالد بن الوليد ، وادراك معنى «الجود» فى حاتم .

فصل فى الوجه المركب الحسى :

للوجه المركب الحسى صور بديعة رائعة — ذلك أنه قد ينتزع الوجه المذكور من هيئة حركة الجسم ، أو من هيئة سكونه .

والأول ضربان :

(١) — أن يراعى مع الحركة شىء من أوصاف الجسم كالشكل، واللون ، فيكون الوجه منتزعا من مجموع الأمرين — حركة الجسم، وشىء من أوصافه كما فى قول الراجز المتقدم :

« والشمس كالمرآة فى كف الأشل »

فان وجه الشبه — كما سبق — هو الهيئة المنتزعة من الحركة المتصلة ، مع الاستدارة ، والاشراق المتموج المضطرب — فأنت تراه قد اعتبر مع حركة الجسم استدارته ، وأنه ذو شعاع براق متموج حتى أحدث هذا المنظر العجيب فى مرأى العين من انبساط تارة ، وانقباض أخرى — وانك لو أنعمت النظر فى الشمس لتتبين جرمها

وجدتها مؤدية هذه الهيئة كما تؤديها المرآة فى كف الأشل (١) ــ ومثله قول الوزير المهلبى :

والشمس من مشرقها قد بدت   مشرقة ليس لهـــا حاجب
كأنهـــا بوتقـــة أحميت   يجـــول فيهـــا ذهب ذائب

فان البوتقة اذا أحميت ، وذاب فيها الذهب تشـــكل بشـكلها فى الاستدارة وأخذ يتحرك بجملته تلك الحركة العجيبة اذ يخيل اليك : أنه ينبسط حتى يوشك أن يفيض من جوانبها لما فى طبعه من النعومة، ثم تراه كأنه يعود الى الانقباض لما بين أجزائه من التماسك والاتصال ــ فقد اعتبر هنا أيضا مع حركة الجسم المذكورة وصـــفه من حيث استدارته ، واشراقه ، وانتزع الوجه من مجموع الأمرين كالذى قبله.

(٢) ــ ألا يراعى مع الحركة شىء من أوصاف الجسم ، فيكون الوجه منتزعا من حركة الجسم وحدها ، ولابد فى هذا الضرب من وجود حركات (٢) كثيرة الى جهات مختلفة ليتحقق معنى التركيب فى قول ابن المعتز : الخليفة العباسى :

وكأن البرق مصحف قار   فانطباقا مرة وانفتـــاحا (٣)

فالمشبه «البرق» وهو مفرد مقيد تقديرا ، والمشبه به «المصحف»

---

(١) غير أننا نعلم أن الحركة السريعة فى الشمس وشعاعها أمر خيالى لأنا نقطع بأن حركة الشمس ليست على ما نتخيل ولولا هـــذا التخيل لرئيت كالثابتة بخلاف الحال فى المرآة فى كف الأشل فان الحركة السريعة المتصلة فيها أمر حقيقى .

(٢) خرج بذلك حركة الرحى أو السهم فلا تركيب فيها لأنها فى اتجاه واحد على أنه لو روعى مع هذه الحركة وصف الجسم من الاستقامة أو الاستدارة وانتزع الوجه من المجموع كان مركبا .

(٣) قار بحذف الهمزة اى قارىء والفـاء فى قوله فانطباقا لتعليل التشبيه المستفاد من « كأن » ، أو لبيان وجه الشبه بين البرق والمصحف .

وهو مفرد مقيد باضافته الى القارىء ووجه الشبه هيئة مجموع الحركات المختلفة باختلاف الجهات — غير أن هذه الهيئة تحقيقية فى المصحف ، تخييلية فى البرق اذ لا انفتاح فيه ، ولا انطباق حقيقة وانما هو ظهور يعقبه خفاء والعكس الا أنه يشبه فى هذه الحالة المصحف ، يفتحه القارىء تارة ، ويطبقه أخرى — فهو — كما ترى — لم يعتبر فى الهيئة المنتزعة شيئا من أوصاف الجسم ، وانما راعى فقط تلك الحركات المختلفة النواحى عند انفتاح المصحف وانطباقه ، وعند ظهور البرق واختفائه — ولا شك أن المصحف يتحرك فى كل من حالتى الانفتاح والانطباق الى جهات مختلفة ، فبعضه يتحرك الى اليمين وبعضه الى اليسار ، ومجموعه الى العلو حالة الانطباق ، والى السفل حالة الانفتاح — وكذلك حال البرق فى ظهوره وخفائه فى مرأى العين — ومثله تماما قول الشاعر :

والسحب تلعب بالبروق كأنها ... قار على عجل يقلب مصحفا

ونظير ذلك قول الشاعر يصف روضة :

حفت بسرو كالقيان تلحفت ... خضر الحرير على قوام معتدل
فكأنها والريح تخطر بينها ... تبغى التعانق ثم يمنعها الخجل(١)

فوجه الشبه فى البيت الثانى منتزع من هيئة حركة التهيؤ للدنو بغية العناق ، وحركة الرجوع سريعا الى أصل الافتراق ، وتكررها مرة بعد أخرى ، فقد اعتبر فى انتزاع الوجه مجرد هذه الحركات ، دون مراعاة شىء آخر من أوصاف الجسم (٢) .

---

(١) السرو شجر له رواء وليس له ثمر « والقيان » جمع قينة ، وهى الجارية — مغنية كانت أو غير مغنية « والتلحف » اتخاذ الشىء لحافا ، والقوام القامة .

(٢) هو تخيل غاية فى البداعة فقد تخيل الشاعر هذا النبات والريح تعبث به فتميل بعضه الى بعض ثم لا يلبث أن يعود الى طبيعته من الاعتدال تخيله كأن جماعة الأحبة تريد أن تتعانق ثم لا تلبث أن يدركها الحياء فيحول دون هذا العناق .

والثاني — وهو ان ينتزع الوجه المركب الحسي من هيئة سكون الجسم — ضربان كذلك .

(١) — أن يراعى مع هيئة السكون شيء من أوصاف الجسم ، فيكون الوجه منتزعا من مجموع الأمرين — سكون الجسم ، وشيء من أوصافه كما فى قول الشاعر يصف مصلوبا :

كأنه عاشق قد مد صفحته   يوم الوداع الى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لوثته   مواصل لتمطيه من الكسل (١)

فوجه الشبه « فى البيت الأول » منتزع من هيئة سكون عنقه ، وصفحته ، ويديه حال امتدادها ، مع اصفرار الوجه — فقد اعتبر مع هيئة السكون المذكورة اصفرار اللون بالموت ، وهو من أوصاف الجسم ، وتلك هى حال العاشق الماد عنقه ، وصفحته ، ويديه مفتوحتين لوداع معشوقه — .

ووجه الشبه « فى البيت الثانى » منتزع من هيئة السكون السابقة ، مع اصفرار اللون أيضا ، واسترخاء الجسم — فقد اعتبر مع هذه الهيئة وصفان من أوصاف الجسم هما — اصفرار اللون ، والاسترخاء ، وتلك هى حالة القائم من النعاس متمطيا مواصلا تمطيه .

(٢) — ألا يراعى مع هيئة السكون شيء من أوصاف الجسم ، فيكون الوجه منتزعا من هيئة السكون وحده — ولابد فى هذا الضرب أيضا من تعدد أفراد هيئة السكون ليتحقق معنى التركيب فى الوجه كما فى قول المتنبى يصف كلب الصيد حال جلوسه :

يقعى جلوس البدوى المصطلى   بأربع مجدولة لم تجدل (٢)

---

(١) صفحة الرجل جانب وجهه ، واللوثة بضم اللام الاسترخاء .
(٢) الاقعاء الجلوس على الاليتين ، والاصطلاء الاستدفاء بالنار . ومجدولة محكمة الخلق لم يجدلها انسان ، والغرض مدح الكلب بشدة الحرص .

فوجه الشبه منتزع من هيئة مواقع الأعضاء فى اقعـاء الكلب ، وفى جلوس البدوى المصطلى اذ يكون لكل عضو فى الاقعاء ، أو فى الجلوس للاصطلاء موقع خاص ، وللمجموع هيئة خاصة مؤلفة من تلك المواقع — ولم يراع فى انتزاع الوجه شىء وراء ذلك من أوصاف الجسم — كما ترى — .

اختبـــار

(١) مثل لتشبيهين يكون وجه الشبه فيهما مفردا — حسـيا فى أحدهما ، وعقليا فى الآخر .

(٢) قد يكون وجه الشبه مركبا حسيا فما أنواع طرفى التشبيه حينئذ ؟ مثل لما تقول ، ثم مثل لتشبيهين يكون وجه الشبه فيهما عقليا مركبا تارة ، ومتعددا أخرى .

(٣) كيف يصح جعل « الحمرة » مثلا وجه شبه فى نحو قولك : خده كالورد ، مع أن الحمرة معنى جزئى ، ووجه الشبه ينبغى أن يكون كليا ليتأتى الاشتراك فيه ، وضح ما تقول بالمثال :

(٤) من أى قبيل يكون الوجه المركب من حسى وعقلى كما فى تشبيه الحسـناء الوضيعة الأصـل بخضراء الدمن قبيل الوجه العقلى أو الحسى ؟ علل لمـا تذكر :

(٥) لمـاذا أوجبوا فى الوجه الحسى أن يكون الطرفان حسيين ، ولمـاذا عمموا فى الوجه العقلى مثل فى تعليلك بما يوضح المقام .

(٦) للوجه المركب الحسى أنواع بديعة فصـل القـول فى تلك الأنواع ، مع التمثيل :

التقسيم الرابع :

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضا الى قسمين ــ تمثيل ، وغير تمثيل .

فالتمثيل ــ ما كان وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من عدة أمور [1] ــ حسيا كان ذلك الوجه ، أو غير حسى .

فالحسى ــ كما مر فى تشبيه مثار النقع ، مع الأسياف بليل تهاوى كواكبه ــ وتشبيه الثريا بعنقود الملاحية حين نور ، وتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل ، وتشبيه البدر فى كبد السماء بدرهم ملقى على ديباجة زرقاء ــ وغير ذلك من كل ما فيه الوجه منتزع من أمور حسية .

وغير الحسى ــ ما مر فى تشبيه حال اليهود بحال الحمار فان وجه الشبه ــ كما سبق ــ منتزع من أمور عقلية هى الحرمان من الانتفاع بأبلغ نافع ، مع معاناة المشاق فى تحمله ــ ومثله ما سبق فى تشبيه المستجير بعمرو بالمستجير بالنار فان وجه الشبه ــ كما عرفت ــ هيئة مركبة من أمرين عقليين هما ــ الالتجاء من الضار الى ما هو أشد ضررا ، والطمع فى الاحتماء به .

وغير التمثيل ــ ما لم يكن وجه الشبه هيئة منتزعة من متعدد ــ بأن كان أمرا واحدا ، أو متعددا ــ فالأول « كالنغم الحسن » فى تشبيه صوت حسن بتغريد البلابل ، وكالمضاء فى تشبيه العزيمة بالسيف ، وكالاشراق فى تشبيه الحجة بالشمس ، ونحو ذلك مما يكون وجه الشبه فيه شيئا واحدا لا تركيب فيه ولا تعدد ــ والثانى كما فى تشبيه فاكهة بأخرى فى الطعم ، والرائحة ، واللون فان وجه الشبه كل واحد من هذه الثلاثة ، لا هيئة مركبة منها .

---

(1) أى من أمرين أو أكثر فالمراد بالجمع هنا ما فوق الواحد .

هذا هو مذهب جمهور البيانيين ، فهم — كما عرفت — لا يفرقون فى تشبيه التمثيل بين الحسى وغير الحسى — فالمدار عندهم على أن يكون الوجه هيئة مركبة من عدة أمور أيا كان نوعها .

وللسكاكى — فيه مذهب هو أن تشبيه التمثيل عنده خاص بما كان وجه الشبه فيه وصفا غير حقيقى ، منتزعا من عدة أمور — ومعنى قوله غير حقيقى : أن يكون غير متحقق حسا ولا عقلا بأن يكون أمرا اعتباريا وهميا اذ قال ما نصه : التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقى ، وكان منتزعا من عدة أمور خص باسم « التمثيل » — وهذا يقتضى أن ما كان وجهه مركبا — حسيا أو عقليا ليس من تشبيه التمثيل عنده — غير أننا لم نظفر بغير آية اليهود المتقدمة مثالا للتشبيه الاعتبارى على مذهبه، وهى التى مثل بها القوم — فيما سبق — للتشبيه المركب العقلى ، اذ قالوا : ان حرمان الانتفاع بأبلغ نافع ، مع معاناة الكد فى استصحابه أمور متقررة فى العقل ، وليست من اختراعات القوة الوهمية .

وحينئذ كان السكاكى يعتبر هذه الآية من قبيل التشبيه الاعتبارى الوهمى ، وأن هذه الأمور المذكورة التى انتزع منها الوجه مرجعها الوهم أى لا وجود لها فى غير الأوهام .

وهذا الرأى — ان صح عن السكاكى — قد يتردد العقل فى قبوله لأنا نعلم أن الأشياء التى تركب منها الوجه « فى آية اليهود » أمور موجودة متقررة فى العقل ، قائمة بالموصوف قياما حقيقيا ، لا وهميا .

فلعل السكاكى أراد بالتشبيه الاعتبارى الوهمى ما تعلق بمعقول مطلقا ، لا ما تعلق فقط بالاعتبارات المحضة ، وبذلك يشمل العقلى والوهمى .

واذا ينبغى أن يفسر قوله : « غير حقيقى » بغير حسى ليدخل فيه العقلى والوهمى وبهذا التفسير يلتقى مذهبه بمذهب عبد القاهر القائل

بأن تشبيه التمثيل هو ألا يكون الوجه المركب فيه حسيا بأن كان عقليا ، أو اعتباريا (١) .

فالمذاهب اذا ثلاثة — مذهب الجمهور ، ومذهب عبد القاهر ، ومذهب السكاكى (٢) والأول أعم الثلاثة ، ويليه الثانى ، وأخصها الأخير — على ما فهم من صريح قول السكاكى .

أما غير التمثيل عند الشيخين فيختلف باختلاف مذهبهما فى تشبيه التمثيل فهو عند السكاكى — على ما فهم من صريح قوله — ما لا يكون وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد ، أو كان منتزعا من متعدد ، وليس اعتباريا وهميا بأن كان وصفا حقيقيا — حسيا أو عقليا — وعند عبد القاهر — ما لا يكون وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد ، أو كان منتزعا من متعدد ، ولكنه ليس عقليا ، أو اعتباريا بأن كان حسيا .

فمثل تشبيه مثار النقع ، يتخلله بريق السيوف بليل تهاوى كواكبه ، وتشبيه الثريا بعنقود الملاحية ، وتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل ، وغير ذلك مما فيه الوجه منتزع من متعدد حسى — كل ذلك من قبيل تشبيه التمثيل عند الجمهور لأن وجه الشبه فيها هيئة مركبة من عدة أمور — وليس من تشبيه التمثيل عند عبد القاهر ، ولا عند السكاكى لأن وجه الشبه فيها ليس مركبا عقليا ، أو اعتباريا — وأما نحو التشبيه فى آية اليهود السابقة ، أو فى قول الشاعر :

والمستجير بعمرو عند كربته « البيت »

مما يكون فيه الوجه مركبا عقليا فمن تشبيه التمثيل عند الجمهور ،

---

(١) كون الوجه المركب حسيا أو عقليا انما هو باعتبار مادته المنتزع هو منها والا فان الهيئة المنتزعة أمر اعتبارى لا وجود له .

(٢) ولصاحب الكشاف مذهب وهو أن التشبيه والتمثيل مترادفان فكل تشبيه عنده تمثيل ولو كان الوجه مفردا وبهذا تتم المذاهب أربعة .

وعبد القاهر ـ أما الجمهور فلأن وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد ـ على ما هو الشرط عندهم ، وأما عبد القاهر فلأن وجه الشبه فيه مركب عقلى ، وليس من تشبيه التمثيل عند السكاكى ـ على ما فهم من صريح قوله لأن وجه الشبه فى مثل هذا التشبيه ليس مركبا اعتباريا .

أما نحو تشبيه الخد بالورد فى الحمرة من كل ما فيه الوجه شىء واحد ونحو تشبيه الفاكهة بأخرى فى الطعم والرائحة واللون من كل ما فيه الوجه متعدد فليس من تشبيه التمثيل عند الجميع لأن الوجه فى الموضعين ليس هيئة منتزعة .

اختبـــار

(١) عرف تشبيه التمثيل عند الجمهور ، ومثل له ، وبين مذهب السكاكى فيه على ما يبدو من صريح كلامه ، ثم على ما ينبغى أن يفهم منه ، وافرق بينهما ، وبين ما ذهب اليه الامام عبد القاهر ، مع التمثيل .

(٢) بين المذاهب الثلاثة فى نحو قول الشاعر :

كأن عيون النرجس الغض حولنا   مداهن در حشـــوهن عقيق

من كل تشبيه وجهه مركب حسى ، وفى نحو آية اليهود من كل تشبيه وجهه مركب عقلى ، مع توجيه كل مذهب ، ومن أى قبيل فى المذاهب الثلاثة قولك : وجه محمد كالبدر فى الاشراق ، ونحوه من كل تشبيه فيه الوجه ليس هيئة مركبة ؟

التقسيم الخامس :

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضا الى قسمين — مفصل ، ومجمل .

فالمفصل ما صرح فيه بذكر وجه الشبه على طريقته (١) — وهى أن يذكر مجرورا « بفى » ، أو منصوبا على التمييز على معنى « فى » كما تقول : « طبع فؤاد كالنسيم فى رقته ، أو رقة » ، « ويده كالسحاب فى الفيض ، أو فيضا » ، « وكلامه كالدر فى الحسن ، أو حسنا » — فكل هذه المثل من التشبيه المفصل للتصريح فيها بذكر الوجه — على نحو ما رأيت .

ومن قبيل المفصل قولهم فى تشبيه الكلام السهل ، الخفيف على السمع : « ألفاظ كالعسل فى الحلاوة » وفى تشبيه الحجة بالشمس : « حجة كالشمس فى الوضوح » — فوجه الشبه فى المثالين مذكور على طريقته ، وهو قائم بالطرفين — غير أنه تخييلى فى المشبه ، تحقيقى فى المشبه به — كما ترى — ولا ضير فيه (٢) .

والمجمل مالم يصرح فيه بذكر الوجه على طريقته — وهو باعتبار هذا الوجه قسمان .

---

(١) احترز به عن نحو قولهم : يد فؤاد كالنهر تفيض ، ووجه هند كالبدر يضىء فليس ذلك من قبيل المفصل لعدم ذكر الوجه على طريقته من كونه مجرورا بفى أو منصوبا على التمييز على ما مثلنا .

(٢) أما ما قيل من أن فى مثل هذين المثالين تسامحا من حيث ان وجه الشبه لم يذكر وانما ذكر شىء يستلزمه — وهو « الحلاوة » فى الأول «والوضوح» فى الثانى فقول غير سديد لأن ذكر «الحلاوة والوضوح» ان كان من قبيل التعبير بالملزوم عن اللازم الذى هو « ميل النفس » فى الأول ، «وزوال الحجاب » فى الثانى كان من قبيل المجاز ، ولا تسامح فيه لأن الوجه مذكور غاية الأمر أنه عبر عنه بملزومه وان لم يكن من المجاز فهو خطأ ، اذ لا واسطة بين الحقيقة والمجاز غير الخطأ ، ولا ينبغى حمل الكلام الفصيح على الخطأ .

(١) ـ ما يكون وجهه ظاهرا يستوى فى ادراكه العامة والخاصة ـ كما فى تشبيه الشعر بالفحم ، والقد بالغصن ، والوجه بالبدر ـ فأوجه الشبه فى هذه المثل من الوضوح بحيث لا تحتاج الى اعمال فكر .

(٢) ـ ما يكون وجهه خفيا ، لا يدرك ببديهة النظر ، بل يحتاج الى تأمل وتعمل ـ مثاله ما روى أن فاطمة بنت الخرشب (١) الأنمارية سئلت عن بنيها الأربعة : أيهم أفضل ؟ فقالت : « هم كالحلقة المفرغة ، لا يدرى أين طرفاها » . تريد : هم ـ فى تناسبهم فى الشرف ، والشجاعة ، وعدم تفاوتهم فيهما بحيث يمتنع تفضيل أحدهما على الآخر ـ كالحلقة المتصلة الجوانب ، فان أجزاءها متناسبة فى الصورة، يمتنع تعيين بعضها طرفا ، وبعضها وسطا ـ فوجه الشبه بين الطرفين هو « التناسب الكلى الخالى عن التفاوت » ، وقد أشعر به قولها : « لا يدرى أين طرفاها » ـ غير أنه فى المشبه تناسب فى الشرف . وفى المشبه به تناسب فى صورة الأجزاء ، وهو ـ كما ترى ـ خفى دقيق ، فوق متناول مدارك العامة . ولا يدركه الا من ارتفع منهم الى طبقة الخاصة .

---

(١) بضم الخاء والشين ـ وسبب هذا القول : أنها سئلت عن بنيها الأربعة ، وهم ـ ربيع الكامل ، وعمارة الوهاب ، وقيس الحفاظ ، وأنس الفوارس سئلت أيهم أفضل ؟ فقالت : عمارة ، ثم بدا لها غير هذا . فقالت : لابل فلان ، ثم بدا لها غير هذا ، فقالت : لا بل فلان ، ثم قالت فى حيرة : ثكلتهم ان علمت أيهم أفضل « هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها » ـ وقيل انه من قول كعب الآشعرى فى وصف بنى المهلب للحجاج حين قال له : كيف تركت الناس ، فقال كعب : تركتهم بخير ـ أدركوا ما أملوا ، وأمنوا مما خافوا ، فقال الحجاج : فكيف بنو المهلب فيهم ، فقال : هم حماة السرح نهارا ، فاذا أليلوا ففرسان البيات ، فقال الحجاج : فأيهم كان أنجد أى أشجع ، فقال كعب : هم كالحلقة المفرغة الخ .

تنبيـــه :

من هذا المثال السابق يتضح أن التشبيه المجمل لا يخرجه عن اجماله أن يذكر لأحد الطرفين وصف مشعر بوجه الشبه كما فى قول فاطمة بنت الخرشـب ، فان قولها : « لا يدرى أين طرفاها » وصـف للحلقة «المفرغة» التى هى المشبه به ، وهو مشعر بوجه الشبه [1] الذى هو « التناسب الكلى » اذ يفهم من عدم دراية الطرفين معنى التناسب فى الأجزاء ــ ومثله قول زياد الأعجم :

فانا وما تلقى لنا أن هجوتنـا   لكالبحر «مهما تلقفى البحر يغرق»

يشبه زياد حال قومه ــ اذ يرميهم المخاطب بالنقيصة فلا تضرهم ، ولا يظهر لها فيهم أثر لخطورة شأنهم ــ يشبههم بحال البحر العظيم ، لا يتأثر بما يلقى فيه ووجه الشبه هيئة الأمر الخطير لا ينال منه الحقير ــ وقوله : « مهما تلق فى البحر يغرق » وصف للمشبه به مشعر بهذا الوجه .

وقد يكون الوصف المشعر بالوجه خاصا بالمشبه كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » فوجه الشبه فى الحديث « الهداية » ؛ وقد أشعر به قوله : بأيهم اقتديتم اهتديتم ؛ وهو وصف خاص بالمشبه ــ ومثله أن تقول : « رأيت اليوم رجلا كالسحاب يعم نفعه » ؛ « وشهدت انسانا كالأسد يهابه من يحدثه » .

وقد يوصف كل من الطرفين بوصف مشعر بالوجه كما فى قول أبى تمام :

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه   عنى ؛ وعاودنى ظنى فلم يخب

---

(١) لا يصلح أن يكون وجه شبه لانه وصف خاص بالحلقة ، والوجه انمـا يكون وصفا مشـتركا بين الطرفين ، وعلى طريقته من حيث وقوعه مجرورا « بفى » أو منصوبا على التمييز على معنى « فى » كما علمت .

كالغيث ان جئتــه وافاك ريقــــه ... وان ترحلت عنه لج فى الطلب[1]

وصف الشاعر « الممدوح » الذى هو المشبه بأن عطاياه مغدقة سابغة عليه ـ أعرض عنه أو أقبل عليه ؛ ثم وصف « الغيث » الذى هو المشـــبه به بأنه يصـــيبك ـ طلبته أو تجنبته ، ووجه الشبه مطلق الافاضة فى الحالين [2] والوصفان المذكوران مشعران بهذا الوجه .

وصفوة القول أن التشبيه المجمل هو ما لم يذكر فيه وجه الشبه ـ ظاهرا كان ذلك الوجه أو خفيا ـ كما بينا ـ وأن وصف أحد الطرفين ؛ أو كليهما بما يشـــعر بالوجه ـ كما رأيت ـ لا يتنافى مع الاجمال لأن المدار فى كون التشبيه مجملا على ألا يذكر وجه الشبه ذاته ؛ لا وصف مشعر به اهـ .

اختبـــار

(١) افرق بين المفصل والمجمل ، ثم اذكر نوعى المجمل ومثل لكل نوع .

(٢) من أى قبيل قولهم فى تشبيه الكلام الغث : « هو كالعلقم فى مرارته » وجه لمـــا تقول .

(٣) من أى قسمى التشبيه قولك : « هو كالسحاب ينتظم خيره البلاد » ، « وكالبدر يهدى ضوؤه السارين » علل لمـــا تقول .

---

(١) « صدفت عنه » أعرضت وبابه ضرب ، ومعنى « لم تصـــدف مواهبه » : لم تنقطع عطاياه ، ويروى بالياء ، « ومواهبه » حينئذ مفعول لأن « صدف » يأتى لازما ومتعديا ، « وعاودنى ظنى فلم يخب » أى عاودته بعد اعراضى عنه طلبا لاحسانه ظنا منى أنه يصلنى رغم اعراضى عنه فكان عند ظنى ، واذا فنسبة المعـاودة الى الظن تجوز ، والريق بتشديد الياء المكسورة هو من كل شىء أفضاله وأحسنه ، « ولج فى الطلب » ألح فيه

(٢) أى حالى الاعراض والاقبال .

(٤) ايت بتشبيهين من عندك تذكر فى أحدهما وصفا للمشبه مشعرا بالوجه وفى الثانى وصفا للمشبه به كذلك ، مع بيان نوع التشبيه فيهما .

التقسيم السادس :

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضا الى قسمين — قريب مبتذل، وبعيد غريب — ومعنى « قريب » : أنه فى متناول العامة وغيرهم ، ومعنى « مبتذل » : أنه متداول بين الناس ومن هذا التفسير يعلم معنى البعيد الغريب الآتى بعد :

فالقريب المبتذل : ما ينتقل فيه الذهن من المشبه الى المشبه به من غير تأمل ونظر بسبب وضــوح وجه الشبه فيهما كتشبيه حســناء الوجه بالقمر فى الاشراق ، وحسن الصوت بالبلبل فى حسن النغم ، وكتشبيه الشجاع بالأسد فى الاقدام ، والكريم بالغيث فى الاغداق — فكل واحد من هذه التشبيهات قريب ؛ يكثر تداوله بين الناس لسهوله انتقال الذهن فيه من المشبه الى المشبه به بسبب وضوح وجه الشبه بين الطرفين — كما ترى —

وأسباب وضوح وجه الشبه ثلاثة :

(١) — أن يكون الوجه شيئا واحدا ، لا تعدد فيه ، ولا تفصيل كالأمثلة السابقة فان وجه الشبه فى كل منها واحد ، وادراك الشىء الواحد لا يحتاج لغير ملاحظة واحدة — لهذا كان التشبيه قريبا مبتذلا لانتقال الذهن فيه من المشبه الى المشبه به بلا تأمل .

(٢) — أن يكون فى وجه الشبه شىء من التفصيل ، يحتاج الى تعدد الملاحظة — غير أنه يكثر حضور صورة المشبه به فى الذهن عند استحضاره صورة المشبه لمــا بين الصــورتين من شدة التناسب

كأن تشبه العنب بالبرقوق فى حجمه ، وشكله ، ولونه — ففى وجه الشبه بين الطرفين تفصيل ما اذ لوحظ فيه هذه الامور الثلاثه — الحجم، والشكل ، واللون — وهذا يقتضى شيئا من غرابة التشبيه وبعده — ولكن عارض ذلك ما يقتضى قربه وابتذاله ، وهو سرعة حضور صورة المشبه به فى الذهن عند استحضار صورة المشبه لما بينهما من شدة التجانس ، وقوة التناسب اذ أن العنب والبرقوق من فصيلة واحدة ، يجمعهما زمن واحد ، وسوق واحدة ، فلا أثر للتفصيل فى وجه الشبه ، مع قوة هذا التجانس المقتضى لسرعة انتقال الذهن الى المشبه به لظهور الوجه ، ووضوحه .

ومثله تشبيه الجرة الصغيرة بالكوز فى « المقدار والشكل » فان سرعة حضور صورة الكوز فى الذهن عند استحضاره صورة الجرة لشدة التناسب بين الصورتين عارضت التفصيل فى الوجه على نحو ما ذكرنا فى المثال الأول . وبهذا سهل انتقال الذهن لوضوح الوجه ومن هنا كان التشبيه قريبا ، مبتذلا .

(٣) أن يكون فى الوجه شىء من التفصيل — كسابقه — يحتاج الى تعدد الملاحظة — غير أنه يكثر حضور صورة المشبه به فى الذهن مطلقا أى لا بقيد استحضار صورة المشبه وذلك لكثرة مشاهدة صورة المشبه به ، وتكررها على الحس فان المشاهد كثيرا يكثر خطوره بالبال عادة واذا كثر حضوره فى الذهن لكثرة مشاهدته سهل الانتقال اليه عند ارادة التشبيه ، ووضح وجه الشبه ومن هنا كان التشبيه قريبا مبتذلا — كما فى تشبيه انسان بالقمر « فى الرفعة والهداية » ، وكتشبيه المرآة المجلوة بالشمس « فى الاستدارة والاستنارة » فان فى وجه الشبه بين الطرفين « فى المثالين » شيئا من التفصيل اذ لوحظ فيه أمران — « الرفعة والهداية » فى الأول ، و « الاستدارة والاستنارة » فى الثانى وهذا يقتضى شيئا من غرابة التشبيه وبعده ، ولكن عارض ذلك ما جعله قريبا مبتذلا وهو كثرة حضور صورة المشبه به فى الذهن

لكثرة النظر اليها ، وليس من شك أن صورة « القمر » في المثال الأول ، وصورة « الشمس » في المثال الثاني مما يشاهد كثيرا .

والبعيد الغريب ما لا ينتقل فيه الذهن من المشبه الى المشبه به الا بعد اعمال فكر ، وطول تأمل بسبب خفاء وجه الشبه فيهما .

وأسباب خفاء وجه الشبه ثلاثة أيضا :

(١) – أن يكون في الوجه تفصيل يحتاج الى كثرة الملاحظات ، والاعتبارات كما في تشبيه الهيئات بعضها ببعض كتشبيه هيئة الحال على الخد بالشقيق في قول الشاعر :

لا تعجبوا من خاله في خده ... كل الشقيق بنقطة سوداء

فوجه الشبه بين الطرفين هو الهيئة الحاصلة من وجود نقطة مستديرة سوداء ، في وسط رقعة مبسوطة حمراء وفيه من كثرة التفصيل ، والاعتبارات مالا يقع في نفس مريد التشبيه الا بعد روية ونظر – وكتشبيه الشمس بهيئة المرآة في يد مرتعشة ، أو بهيئة بوتقة محماة ، فيها ذهب ذائب ، وكتشبيه مثار النقع ، يتخلله بريق السيوف المتلاحمة بليل تتهاوى كواكبه ، وكتشبيه هيئة اقعاء الكلب بهيئة جلوس البدوى المصطلى – الى غير ذلك مما لا يقوم بنفس مريد التشبيه الا بعد أن يتأمل ويتعمل .

(٢) – أن يندر حضور صورة المشبه به في الذهن عند استحضار صورة المشبه لبعد التناسب بين الصورتين ، وعدم التجانس بينهما – كما في تشبيه القمر بالعرجون في قوله تعالى : « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون (١) القديم » – فصورة « العرجون » في ذاتها غير نادرة الحضور في الذهن ، ولكنها تندر عند استحضار صورة

---

(١) هو سباطة البلح اذا يبست انحنت وتقوست أشبه شيء بتقوس الهلال .

« القمر » للبون الشاسع بين الصورتين فان القمر مسكنه فى السماء ، والعرجون فى الأرض ، والقمر مثال العلو والهداية ، والعرجون شيء تافه حقير ، لا تكاد تظهر له فائدة ــ فشتان ما بين الصورتين ، وناء ما بين الطرفين ــ ومثله قول الشاعر يصف أزهار البنفسج على سيقانها :

ولا زوردية تزهو بزرقتها ... بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها ... أوائل النار فى أطراف كبريت[1]

كان المناسب للشاعر أن يشبه صورة أزهار البنفسج ، وهى على سيقانها بما يناسبها من الأزهار اذ هو الذى يتبادر الى الذهن عند استحضار صورة البنفسج ، ولكنه شبهها بصورة النار فى أطراف الكبريت أول شبوبها ــ ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من تعلق أجرام صغيرة لطيفة ، ذات لون خاص على شكل خاص بجرم دقيق الساق يخالفها لونا ــ فصورة النار فى أطراف الكبريت غير نادرة الحضور فى الذهن اذ أنها فى متناول عامة الناس ، واقعة بين أيديهم وأرجلهم ، لكنها تندر عند استحضار صورة البنفسج وهو على سيقانه لما بينهما من عدم التجانس ، وبعد الموطن فهذا زهر ندى لطيف ، وذاك لهب حار عنيف ، وهذا يسكن الخمائل ، وذاك يستوطن المنازل ، فبعد ما بين الطرفين .

---

(١) « لازوردية » بكسر الزاى وفتح الواو وسكون الراء صفة لمحذوف اى رب أزهار من البنفسج لازوردية نسبة الى الحجر المسمى باللازورد لكونها على لونه فهى نسبة تشبيهية ، «وتزهو» من الزهو وهو الكبر ، ونسبة التكبر الى البنفسج تجوز « وحمر اليواقيت » من اضافة الصفة للموصوف أى اليواقيت الحمر ــ يحتمل أن يراد بها المعنى الحقيقى ، ويحتمل أن تكون استعارة أراد بها الازهار الحمر لمشابهة الأزهار بها وهو المناسب للبنفسج بدليل قوله بين الرياض ، « وفوق قامات » حال من اسم « كأن » ، و « ضعفن بها » يريد انحنين بها لأن الساق التى عليها زهر البنفسج اذا طالت انحنت وكأنها ضعفت عن حمله « أوائل النار » أى فى بدء اشتعالها وانما قيدت بذلك لأن النار فى هذا الحال يضرب لونها الى الزرقة الشبيهة بلون البنفسج .

(٣) ــ أن يندر حضور صورة المشبه به فى الذهن مطلقا أى سواء حضرت صورة المشبه فى الذهن أولا وذلك لأمور منها .

(أ) أن يكون المشبه به وهميا أى من اختراع الوهم كما فى تشبيه النصال المسنونة الزرق بأنياب الأغوال فان أنياب الأغوال مما لا وجود لها فى غير الأوهام .

(ب) أن يكون المشبه به خياليا أى من نسج الخيال كصورة أعلام من ياقوت ، منشورة على رماح من زبرجد فى قول الشاعر المتقدم فان هذه الصورة وما شاكلها من الهيآت المركبة لا وجود لها الا فى الخيال .

(جـ) أن يندر تكرر المشبه به على الحس كصورة المرآة فى كف الأشل (١) فقد ينقضى عمر الانسان ، ولا يرى مرآة فى يد شلاء .

هذا ــ وانما كانت كثرة حضور المشبه به فى الذهن سببا فى وضوح وجه الشبه ، وندرة حضوره سببا فى خفاء الوجه لأن وجه الشبه ــ كما علمت ــ مشترك بين الطرفين ، قائم بهما ، فتصوره فيهما موقوف على تصورهما ــ فاذا كان المشبه به كثير الحضور فى الذهن ، أو نادر الحضور فيه لزم أن يكون وجه الشبه أيضا كثير الحضور ، أو نادره تبعا له ــ ومن هنا كان وضوحه أو خفاؤه .

معنى التفصيل فى الوجه

اعلم أن المراد بالتفصيل فى وجه الشبه ما فيه من كثرة الاعتبارات والملاحظات ــ بأن ينظر فيه الى أكثر من وصف لشىء واحد أو لأكثر ــ متعددا كان ذلك الوجه ، أو مركبا اعتباريا ــ غير أن المركب أشد

---

(١) وفيه سبب آخر لخفاء الوجه ، وغرابة التشبيه ، وهو كثرة التفصيل فيه .

حاجة الى اعمال فكر ، ودقة نظر لما فيه من الهيئة التركيبية الحاصلة من تضام الأجزاء ، وارتباط بعضها ببعض فمثال تعدد الأوصاف لشيء واحد ما تراه في تشبيه المفرد المقيد بمثله كما في قول الشاعر المتقدم في « تشبيه الثريا بعنقود الملاحية » اذ قد لوحظ في الوجه عدة أوصاف متضامة ، تكونت من شكل أجرام ، ولونها ، ومقدارها ، وهيئة أوضاعها — على ما سبق ، ومجموعها وصف لشيء واحد مشبه بآخر مثله — كما عرفت .

ومثال تعدد الأوصاف لأكثر من شيء واحد ما تراه في تشبيه مركب بمركب في قول « بشار » في تشبيه مثار النقع ، مع الأسياف اللامعة بالليل ، مع الكواكب المتهاوية فقد اعتبر في الوجه عدة أوصاف تلاصقت والتأمت من اللون القاتم ، وبريق الأجرام في أثنائه، وحركاتها ، وتناسب أشكالها ، واختلاف مواقعها — على ما تقدم — ومجموعها وصف لمركب مشبه بمثله — كما رأيت .

هذا — وكلما كثر التفصيل في الوجه كان التشبيه ادخل في باب الغرابة ، وأبعد عن الابتذال ، وكان أدق نسجا ، وأجمل وقعا كما تراه في قوله تعالى : انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه «الآية» فقد حوت من كمال الدقة ، واستقصاء مناحي التشبيه ما يبهر العقول .

أوجه التفصيل

يقع التفصيل في وجه الشبه على وجوه كثيرة — أحراها بالقبول، وأولاهما بالاعتبار صورتان :

الأولى — أن يؤخذ بعض الأوصاف ، ويترك بعضها من كل تشبيه فيه دقة تحتاج الى مزيد نظر (١) ، وفضل ملاحظة كما في قول امرىء القيس :

(١) احترز به عن نحو قولك : محمد كعلي في مجموع الجبن ، وعدم الكرم ، فليس بشيء .

حملت ردينيا كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان[1]

شبه الشاعر سنان الرمح بلهب ذى سنا فاعتبر فى كل منهما شكله المخروطى الدقيق الطرف ، وزرقته الصافية ، ولمعانه ، ثم قصد أن ينفى الدخان عن السنا تحقيقا للتشبيه ولو لم ينف ذلك لم يتم التشبيه المقصود ، اذ ليس فى رأس السنان ما يشبه الدخان ، وتحقيق التشبيه على هذه الصورة لا يتأتى على البديهة — كما ترى — ومثله قول الشاعر :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب[2]

يقول : انهم كانوا كثيرى اصطياد الوحوش ، وانهم كانوا يأكلونها ، ويطرحون أعينها حول أخبيتهم ، أشبه شىء بالجزع غير المثقوب — وقد نفى التثقيب عن الجزع تحقيقا للتشبيه ، وبيانا لتساوى الطرفين فى وجه الشبه لأن الجزع اذا كان مثقبا خالف العيون فى الشكل بعض المخالفة اذ لا تثقيب فيها .

الثانية — أن يؤخذ جميع الأوصاف — بأن يعتبر وجودها جميعها فى وجه الشبه كما مر فى نحو قول الشاعر :

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا

فقد اعتبر فى كل من الطرفين الشكل ، والمقدار ، واللون ، والوضع الخاص — ومثله سائر التشبيهات فى الهيئات السابقة .

---

(١) « الردينى » الرمح المنسوب الى ردينة اسم امرأة كانت تجيد صنعة الرماح وتقويمها وهى امرأة « السمهر » بفتح السين وسكون الميم وفتح الهاء وهو أيضا كان يحسن صنع الرماح واليه تنسب الرماح السمهرية ، «وسنا لهب» من اضافة الصفة للموصوف أى لهب ذو سنا .

(٢) « الخباء » بيت من شعر ، « وأرحل » جمع رحل وهو ما يحمل على البعير ، والجزع بفتح الجيم أو كسرها وسكون الزاى عقيق فيه دوائر بيض وسود تشبه به عيون الوحش قال الأصمعى : الظبى والبقرة الوحشية اذا كانا حيين فعيونهما كلها سود فاذا ماتا بدا بياضها فأشبهت الجزع .

تنبيهان :

الأول ـ اعلم أن التشبيه البليغ [1] هو ما كان بعيدا غريبا [2] كما فى تشبيه الهيئات المنتزعة من أمور متعددة ـ على ما عرفت ـ سواء كان وجه الشبه مركبا من أمور كثيرة أولا . وسواء ذكرت أداته ، أو لم تذكر لما هو مركوز فى الطباع من أن الشىء اذا نيل بعد الاحتيال له ، ومعاناة التوسل اليه كان نيله أحلى ، وموقعه فى النفس ألذ وأشهى ـ ولهذا ضرب المثل لكل مالطف موقعه ، ودق موضعه ببرد الماء على الظمأ قال القطامى :

وهن ينبذن من قول يصبن به   مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

قالوا : وما أشبه هذا الضرب بالجوهر فى الصدف ، لا يبرز اليك الا أن تشقه عنه ـ أو بالحبيب المتحجب ، لا يريك وجهه حتى تستأذن ـ وقديما قالوا :

وزاده كلفا فى الحب أن منعت   وحب شىء الى الانسان ما منعا

أما اطلاق البليغ على التشبيه الذى حذفت أداته اطلاقا شائعا فاصطلاح لبعضهم ـ والا فهو يسمى تشبيها مؤكدا ـ على ما سيأتى ـ اهـ

الثانى ـ قد يتصرف الحاذق بصنعة الكلام فى التشبيه القريب

---

(١) المراد بالبليغ هنا ما يتخاطب به الخواص من البلغاء لما فيه من دقة التركيب ، ولطف المعنى ، وليس المراد ما كان مطابقا لمقتضى الحال فان المبتذل قد يطابق مقتضى الحال اذا كان الخطاب مع غبى متبلد ·

(٢) قد يقال : ان الغرابة منشؤها خفاء الوجه ـ كما علمت فكيف يكون خفاء الوجه سببا فى بلاغة التشبيه ، مع أنه تقدم أن عدم الظهور ضرب من التعقيد وهو ينافى البلاغة ـ والجواب : ان الخفاء الموجب للتعقيد ما كان منشؤه سوء التركيب ، أو اختلال انتقال الذهن من المعنى الأول الى الثانى ـ على ما سبق ـ أما هنا فمنشأ الخفاء لطف المعنى ودقته وهذا محقق للبلاغة وموجبها ، لا منا فيها كما فى قوله تعالى : واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه « الآية » ، وكما فى تشبيه الهيئات المتقدمة·

المبتذل ، بما يجعله غريبا ممتنعا ، لا ترتقى اليه مدارك العامة ـ كما فى قول أبى الطيب من قصيدة يمدح بها هارون بن عبد العزيز :

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا　　　الا بوجـه ليس فيـه حيـاء

يريد الشـاعر أن يشبه وجه الممدوح بالشمس فى الاشراق ـ ومثل هذا التشبيه مطروق مبتذل ، يستوى فيه العامة والخاصة لظهور وجه الشبه ، وعدم توقفه على نظر ـ غير أن حديث الحياء ، وما فيه من الدقة والحسن ـ من حيث افادته المبالغة فى وصـف الممدوح بوضـاءة الوجه ، وأنه أعظم اشراقا من الشمس ـ أخرج التشبيه عن الابتذال ، وكسـاه صورة رائعة ، تسـتوقف النظر ، وتستثير الاعجاب ـ ذلك أنه نزل الشمس منزلة من يرى ويستحى ، فادعى أنها حين اذ تلقى وجه الممدوح لا تلقاه الا بوجه منزوع منه الحياء ، أى وكان ينبغى حين اذ تلقاه أن تتوارى خجلا (١) ـ ومثـل هذا التصرف يقتضى أن يكون وجه الممدوح أكمل وأتم اشراقا من الشمس وفى هذا تشبيه ضمنى لأن وجه الممدوح اذا كان أتم من الشمس فى الاشراق استلزم ذلك اشتراكهما فى أصل الاشراق ، فيثبت التشبيه ضمنا (٢) ، وهو تشبيه معكوس اذ المقصود تشبيه الوجه بالشمس ، لا العكس ـ وشبيه بقول المتنبى قول الشاعر :

ان السحاب لتستحيى اذا نظرت　　　الى نداك فقاسـته بما فيهـا

لا شك أن تشبيه الندى بالسحاب فى الفيض مبتذل ، فى متناول العامة ، ولكن حديث « الاستحياء » ، وتنزيل السحاب منزلة من ينظر

---

(١) ويصح رفع الوجه فى بيت أبى الطيب ونصب شمس نهارنا على المفعولية ـ والمعنى على هذا : أن الشمس لا يمكن أن يلقاها وجه الممدوح الا اذا كانت مجردة عن الحياء ، وكلا التصرفين بديع .

(٢) أى على اعتبار أن قوله : « لم تلق » من لقيته بمعنى أبصرته وأن كان من لقيته بمعنى عارضته وماثلته فالتشبيه حينئذ مأخوذ من الفعل المنفى المصرح به ، فيكون التشبيه مصرحا به لدلالة الفعل عليه صراحة .

ويستحى خرج بهذا التشبيه من ابتذاله الى مستوى رفيع ــ على ما قلنا فى البيت السابق ــ ومثل البيتين السابقين قول رشيد الدين :

عزماته مثـــل النجـــوم ثواقبا لو لم يكن للثاقبـــات أفول(١)

فان تشبيه العزم بالنجم فى الثقوب ، وهو النفوذ مبتذل قريب لوضوح وجه الشبه ، وعدم حاجته الى توقف ــ ولكن وصف الأفول، وعروضه للثاقبات ، دون العزمات ، وما فى ذلك من الدلالة على أن المشبه أتم من المشبه به فى وجه الشبه . أبرز التشبيه فى صـــورة ممتنعة ، وكساه خيالا بديعا رائعا ــ وكأنه يقول : هذا التشبيه انما كان يتم بين الطرفين لولا اختصـــاص المشبه بوصـــف لم يوجد فى المشبه به .

ويسمى مثل هذا النوع « بالتشبيه المشروط » أى المقيد بشرط ــ كأن تقول . هذا الشىء كهذا الشىء لو كان بصفة كذا ، أو لولا أنه على صفة كذا .

والتقييد بالشرط ــ اما أن يكون فى المشبه به ، أو فى المشبه ، أو فى كليهما ، والشرط ــ اما أن يكون وجوديا ، أو عدميا (٢) ــ واما مدلولا عليه بصريح اللفظ ، أو بسياق الكلام .

فمثال تقييد المشبه به ما تقدم فى تشبيه « العزمات بالنجوم » فى قول الشـــاعر السابق فقد قيد المشبه به بعدم الأفول اذ لا يتم

---

(١) عزماته جمع عزمه وهى التصـــميم فى الارادة المتعلقة بمعالى الأمور ، « وثواقبا » حال من « النجوم » وصح مجىء الحال من المضاف اليه لأن قوله : مثـــل النجوم فى معنى مماثلة النجوم ، « والثواقب » النوافذ فى الظلمات باشراقهـا مأخوذة من الثقـوب وهو النفوذ وسمى لمعان النجوم ثقوبا لظهورها من وراء الظلمة فكأنها ثقبتها ــ « والأفول » الغروب وجواب الشرط محذوف تقديره : لتم التشبيه .

(٢) المراد بالعدمى ما دخل عليه حرف النفى بخلاف الوجودى .

التشبيه بدونه كأنه يقول : عزماته مثل النجوم لولا أن لها أفولا ــ وكقولك : وجه فلان مثل الشمس لولا كسوفها ، وكالقمر لولا خسوفه ــ ومثال تقييد المشبه قول البديع :

يكاد يحكيك صــــوب الغيث منســـكبا
لو كان طلق المحيــــا يمطـــر الذهبـــا
والدهر لو لم يخن والشـــــمس لو نطقت
والليث لو لم يصــد (١) والبحر لو عــذبا

فالمشبه به الممدوح وقد شبه به كل من صوب الغيث ، والدهر ، والشمس ، والليث ، والبحر مقرونا كل منها بقيد لولاه ما تم التشبيه ــ

ومثال تقييد الطرفين معا قولك : « عباس فى علمه بالأمور اذا كان يقظا كعلى فى علمه بها اذا كان غافلا » .

هذا ــ وكل ما تقدم من القيود ــ وجوديا كان أو عدميا ــ قد دل عليه بصريح اللفظ ــ كما رأيت ــ

ومثال المدلول عليه بسياق الكلام قولهم : « هذه القبة كالفلك فى الأرض » أى لو كان الفلك فى الأرض ؛ وقولهم : هى بدر يسكن الأرض » أى لو كان البدر يسكن الأرض .

ومن هذا النوع ــ ما يسمى « تشبيه التفضيل » وهو أن يشبه المتكلم شيئا بشىء ، ثم يرجع فيرجح المشبه على المشـــبه به كقول الشـــاعر :

حسبت جماله بدرا منيرا   وأين البـــدر من ذاك الجمال ؟

وكقول الآخر :

من قاس جـــدواك بالغمام فما   أنصف فى الحكم بين شيئين

(١) هو بالبناء للمجهول .

أنت اذا جدت ضاحك أبدا   وذاك ان جاد دامع العين

ومنه نوع يسمى « تشبيه التشكيك » كما فى قول الشاعر :

وما أدرى وسوف اخال أدرى   أقوم آل حصن أم نساء ؟

وكقول الآخر :

بالله ياظبيات القاع قلن لنا   ليلاى منكن ، أم ليلى من البشر ؟

الى غير ذلك من أنواع التصرف فى التشبيه المبتذل بما يخرجه عن ابتذاله ، ويكسوه ثوبا من الجمال يستوقف النظر اعجابا .

ومن أبدع ما قيل فى هذا الباب قول ابن نباتة فى وصف فرس أبلق أغر :

وكأنما لطم الصباح جبينه   فاقتص منه فخاض فى أحشائه

شبه أولا جبين الفرس بالصبح فى البياض والاشراق ، ثم شبه ثانيا قوائم الفرس بالصبح فى هذا المعنى — وهما تشبيهان — كما ترى — من قبيل القريب المبتذل — غير أن حديث لطم الصبح للجبين اعتداء ، ثم خوض الفرس فى أحشاء الصبح انتقاما جعلهما من الممتنع البعيد المنال ، النادر المثال — والتشبيه فى كليهما ضمنى — ذلك أن لطمة الصبح لجبين الفرس تركت فيه أثر البياض — كما علق هذا الأثر بقوائم الفرس حينما خاض فى أحشاء الصبح — وهذا يقتضى تشبيه كل من جبين الفرس ، وقوائمه بالصبح فى بياضه واشراقه .

اختبار

(١) بين معنى التشبيه القريب المبتذل ، والتشبيه البعيد الغريب ، مع بيان سبب قرب الأول وابتذاله ، وسبب بعد الثانى وغرابته ، ثم بين من أى الأنواع التشبيه البليغ ، وما وجه ما تقول ؟

(٢) اذكر بالاجمال الأسباب التى يكون بها وجه الشبه واضحا ، والأسباب التى يكون بها خفيا ، مع التمثيل .

(٣) بين معنى التفصيل فى الوجه ، وأشهر أنواع التفصيل فيه ، مع التمثيل .

(٤) ايت بتشبهين مبتذلين تصرف فيهما بما أخرجهما الى الغرابة ، ثم بين نوع هذين التشبهين .

مبحث أداة التشبيه

الأداة لفظ يدل على معنى التشبيه كالكاف (١) قال تعالى : « وله الجوارى للنشآت فى البحر كالأعلام » فالكاف فى قوله : كالأعلام أداة تشبيه لأنها دالة عليه .

ومثل الكاف كل ما يفيد معنى المماثلة والمشابهة ــ حرفا كان ، أو اسما ، أو فعلا كلفظ « كأن » حرفا ، « وكمثل ، وشبه » اسمين ، وكالفعل الدال على معنى التشبيه ــ ماضيا كان ، أو مضارعا كماثل يماثل ، وشابه يشابه ، وحاكى يحاكى ، وكالوصف المشتق المفيد لهذا المعنى كمماثل ، ومشابه ، ومحاك ــ تقول : « كأن محمدا أسد » ، وهند مثل الغزال ، وعلى شبه الغمام ــ وتقول سعدى ما ثلت البدر اشراقا ، وهى تماثل الحرير نعومة ، ومحمد حاكى البحر فيضا ، وهو يحاكى النجم علوا ، وعلى شابه الأسد اقداما ، وهو يشابه أو يشبه الجبل صمودا ــ والنسيم رقة .

---

(١) هى الأصل فى الدلالة على التشبيه واذا دخلت على « أن » المفتوحة الهمزة مع تشديد النون فصل بينهما « بما » فيقال محمد عالم كما أن أخاه عالم .

وتقول : ليلى مماثلة البدر فى بهائه ، ومشابهة الغصن فى ليونته ومحاكيه الحرير فى نعومته « بالاضافة فى جميعها » (١) .

ومن أدوات التشبيه « سيان وسواء » تقول : محمد والأسد سيان » ؛ و « محمد وعمرو فى ذلك سواء » .

والأصل فى الكاف ، وما جرى مجراها من الأسماء المضافة لما بعدها أن يليها المشبه به لفظا كما مثلنا ، أو تقديرا كما فى قوله تعالى : « أو كصيب (٢) من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ، يجعلون أصابعهم فى آذانهم » بعد قوله تعالى : « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا الآية » — فالمشبه به الثانى فى الآية قد ولى الكاف تقديرا . والأصل : كمثل ذوى صيب — أما تقدير « ذوى » فلأن الضمائر الثلاثة فى « يجعلون أصابعهم فى آذانهم » للمنافقين ، وهم ليسوا مذكورين فى الآية ، فبقيت الضمائر بلا مرجع ، ولا بد لها منه كما هو الشأن فيها — وأما تقدير « مثل » فلأجل أن يشاكل المعطوف عليه،

---

(١) قال بعضهم ان المتبادر أن هذه المشتقات كلها انما تفيد الاخبار بمعناها فقولك محمد يشبه عمرا أو مشابه عمرا أو محاكيه اخبار بالمشابهة كما تقول : محمد يقوم أو محمد قائم فانه اخبار عنه بالقيام وليس هناك أداة داخلة على المشبه فعدها من أدوات التشبيه لا يخلو عن مسامحة .

(٢) الصيب المطر من صاب بمعنى نزل وهطل ، ويطلق أيضا على السحاب — شبه حال المنافقين وقد أبصروا بأعينهم نور الايمان وذاقوا حلاوته وشهدوا بانفسهم دلائله وشواهده ووضح أمامهم طريقا الخير والشر وهم — مع ذلك — مصرون على عقيدتهم الفاسدة ، مؤثرون أن يقيموا على ظلام الكفر ويتخبطوا فى دياجير الضلال شبه هذه الحال بحال قوم أوقدوا حولهم نارا تبينوا على ضوئها ما أحاط بهم من معالم الاشياء ثم ما لبثوا أن أطفئت النار فوقعوا فى ظلام دامس يتخبطون ، أو بحال آخرين كانوا فى حال من الهناءة والدعة والاستقرار ثم ما لبثوا أن دهمهم مطر غزير ، أو سحاب متكاثف قاتم صحبه أهوال من الرعد القاصف ، والبرق الخاطف مما جعلهم يضعون أصابعهم فى آذانهم حذر الموت .

وهو قوله : كمثل الذى استوقد نارا — وقد يلى الكاف ونحوها غير المشبه به بشرطين .

(١) — أن يكون المشبه به مركبا أى هيئة منتزعة من أمور لم يعبر عنها بمفرد دال عليها كلفظ « مثل أو حال » . ولم يقتض الحال تقدير هذا المفرد (١) .

(٢) — أن يذكر بعد الكاف ونحوها بعض هـذه الأمور التى انتزعت منها تلك الهيئة .

مثال ذلك قوله تعالى : واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيما تذوره الرياح » فليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء حتى تكون الآية مما ولى فيـه المشبه به كاف التشبيه : بل المراد تشبيه حال الدنيا فى اقبالها على الانسان فى زى حسناء فاتنة ، واعترازه بابتسامتها الخادعة ، وطلائها الكاذب ، وما يعقب ذلك من زوال نعيمها ، وامحاء بهجتها ونضارتها ، بحال النبات يغذيه المـاء فيخضر ، وتنضر خضرته ، وتبتسم زهرته ، ثم لا تلبث أن تنطفىء هذه النضره ، وتذبل هذه الزهرة ، ويتحـول النبات النضر البهيج الى هشيم تذوره الرياح ، وكأنه لم يكن — ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من حسن ، وبهجة ، وهناء ، يتلوه تلف ، وشقاء ، وفناء — فأنت ترى أن المشبه به لم يل الكاف لأنه هيئة لم يدل عليها بمفرد كلفظ « مثل » ، ولا اقتضى الحال تقديره لأن المعتبر هو الهيئة الحاصلة من مجموع الكلام المذكور بعد الكاف ، واعتبارها مستغن

---

(١) احترز به عما عبر فيه عن الهيئة بمفرد دال عليها ، أو اقتضى الحال تقديره فالأول كما فى آية اليهود فقد عبر فيها عن المشبه به المركب بلفظ « مثل » اذ قال كمثل الحمار الخ والثانى كما فى آية أو كصيب من السماء الخ فان الحال اقتضت أن يقال : كمثل ذوى صيب على ما سبق بيانه .

عن هذا التقدير — لكن وليها شىء يتعلق بها ، وهو « الماء » اذ هو أحد أجزاء الهيئة المذكورة .

وانما احتيج الى تقدير المفرد فى آية « أو كصيب من السماء » ، ولم يستغن عنه بمجموع الكلام كما فى هذه الآية لأن الضمائر هناك فى « يجعلون أصابعهم فى آذانهم » أحوجت « كما قلنا » الى تقدير المرجع وهو « ذوى » — ولما فتح باب التقدير قدر « المثل » المعبر به عن القصة والهيئة ليشاكل قوله تعالى : كمثل الذى استوقد نارا لهذا كانت آية « أو كصيب » من قبيل ما ولى فيه المشبه به كاف التشبيه تقديرا بخلاف آية « كماء أنزلناه » اذ لا حاجة فيها الى تقدير شىء .

والأصل فى « كأن » الدالة على التشبيه أن يليها المشبه عكس « الكاف » وأخواتها تقول : « كأن عنترة أسد » فعنترة هو المشبه ، وقد ولى « كأن » ، ويقول الله تعالى « كأنهن الياقوت والمرجان » فضمير النسوة هو المشبه ، وما بعده هو المشبه به :

ومثل « كأن » فى هذا الحكم كل ماله معمولان من الأفعال ، أو الأسماء المشتقة لمعنى التشبيه تقول : ماثل أو يماثل خالد أسدا ، وشابه أو يشابه على حاتما ، وحاكى أو يحاكى شوقى أبا الطيب فالذى ولى الأفعال فى هذه المثل هو المشبه — وتقول : خالد ماثل أو يماثل الأسد ، وعلى شابه أو يشابه حاتما ، وشوقى حاكى أو يحاكى أبا الطيب — وتقول فى الأسماء المشتقة : على مماثل أو مشابه أسدا ، وشوقى محاك أبا الطيب فالضمائر المستكنة فى هذه الأفعال ، أو الصفات هى المشبهات وقد وليتها لأنها فواعل ، والفاعل مرتبته التقدم على المفعول به — وقد يجرى الكلام على خلاف الأصل لقيام قرينة نحو : « شابه أسدا على » فيقدم المشبه به لفظا لا معنى .

تنبيهـــان :

الأول ــ ما تقدم من كون « كأن » أداة دالة على التشبيه هو الأكثر استعمالا ، وقد تستعمل عند ظن المتكلم ثبوت الخبر من غير قصد الى تشبيه ــ سواء كان الخبر جامدا أو مشتقا ــ والحق ما قاله بعضهم من أنها للتشبيه اذا كان الخبر جامدا مما يتمثل به كما تقول : « كأن محمدا أسدا » . وللظن اذا كان الخبر مشتقا ، أو شبيها بالمشتق تقول فى الأول : « كأن محمدا شجاع » ، وتقول فى الثانى : « كأن محمدا أخوك » أى متولد من ماء أبيك ، والمعنى فى الموضعين على أنك تشك فى شجاعته ، أو فى أخوته ــ ولا يصح هنا أن تكون « كأن » للتشبيه لأن اسمها وخبرها متحدان خارجا ، ولا معنى لتشبيه الشيء بنفسه ا هـ .

الثانى ــ قد يقوم مقام الأداة فى الدلالة على التشبيه « فعل » غير ما تقدم من الأفعال المشـــتقة من المماثلة والمشـــابهة كما تقول : « قدم القائد فوجدته أسدا » ، و « سمعت الواعظ يخطب فحسبته سحبان وائل » ــ غير أن الفعل فى المثال الأول يستعمل حيث ادعى كمال المشابهة بين الطرفين لأن « وجد » وأخواته من أفعال اليقين ، وهى تدل على التحقق والتيقن ــ وأن الفعل فى المثال الثانى يستعمل حيث ادعى ضعف المشابهة بين الطرفين لأن « حسب » وأخواته من أفعال الظن والحسبان ، وليس فيها أكثر من الرجحان ، والادراك على وجه الاحتمال ، دون التحقق والتيقن ا هـ .

غير أنه قيل : لا نسلم دلالة الفعل المذكور بنوعيه على التشبيه للقطع بأن لا دلالة للوجدان والحسبان على ذلك ، بل ان الدال عليه هو عدم صحة الحمل لأنا نجزم أن « الأسد » مثلا لا يصح حمله على « زيد » لتباين الحقيقتين ، وأن المعنى لا يستقيم الا على تقدير أداة التشبيه ــ سواء ذكر الفعل أم لم يذكر .

وأجيب : بأن المراد من دلالة المذكور على التشبيه دلالته على حاله من القوة والضعف فدلالة « علمت محمدا أسدا » على المشابهة بينهما أقوى من دلالة « حسبت محمدا أسدا » على هذه المشابهة لافادة الأول معنى التيقن والتحقق ، دون الثانى .

ومن مجموع الاعتراض والجواب يفهم أن الفعل ليس أداة من أدوات التشبيه ، وأن المثالين المذكورين من قبيل التشبيه المؤكد ، وهو ما حذفت منه الأداة — على ما سيأتى — غير أن الخطيب فى الايضاح مثل للتشبيه المرسل بقول البحترى يصف الدروع :

واذا الأسنة خالطتها خلتها   فيها خيال كواكب فى الماء

يقول : اذا خالطت الأسنة الدروع خلتها « فى هذه الحالة » خيال نجوم فى المـاء فهو قد جعل تشبيه الأسنة لامعة فى الدروع بالكواكب لامعة فى المـاء من قبيل التشبيه المرسل ، وهو ما ذكرت فيه الأدات « على ما سيأتى » ، فكأنه اعتبر الفعل المذكور أداة تشبيه — ولعل هذا هو السر فى قول الخطيب فى متن التلخيص : « وقد يذكر فعل ينبىء عن التشبيه » ، ولم يقل ينبىء عن حاله .

تقسيم التشبيه باعتبار الأداة :

ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار الى قسمين — مرسل ، ومؤكد :

فالمرسل — ما ذكرت فيه أداة التشبيه لفظا أو تقديرا — فمثال ما ذكرت فيه الأداة لفظا قوله تعالى فيما سبق : مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ، وكقولك : « سجعه كسجع الحمـام ، ووشيه كوشى الطاووس » — ومثال ما قدرت فيه الاداة قولك : سجعه سجع الحمام، ووشيه وشى الطاووس اذا قدرت فى نفسك أنه على معنى الكاف ، وأن المشبه مثل المشبه به ، لاعينه — وسمى التشبيه مرسلا لارساله عن التأكيد أى خلوه منه .

والمؤكد ــ ما تركت فيه الأداة لفظا وتقديرا أى ترك التصريح بها . وتنوسى تقديرها فى نظم الكلام أيضا اشعارا من حيث الظاهر بأن المشبه عين المشبه به مبالغة كما تقول فى المثالين السابقين : « سجعه سجع الحمام ، ووشيه وشى الطاووس » فتترك ذكر الأداة ، ولا تقدرها فى نفسك ادعاء منك أن المشبه هو المشبه به نفسه لا شىء ســواه ــ ومثله قوله تعالى : « وهى تمر مر السحاب » . يريد ــ والله أعلم بمراده ــ : أن الجبال يوم القيامة بعد النفخة الأولى تسير فى الهواء كالسحاب تسوقه الرياح ، فهو تشبيه مؤكد تركت فيه الأداة : وتنوسى تقديرها ليكون المعنى : أن مرور الجبال يوم القيامة هو مرور السحاب بعينه ، وهذا المعنى هو ما ينبغى أن يفهم تصويرا للحالة التى ستكون ــ ومنه قول الشاعر :

هم البحور عطاء حين تسألهم   وفى اللقـــاء اذا تلقى بهم بهم

ولو فرض تقدير الأداة فى الكلام لكان تشبيها مرسلا .

اذا علمت هذا فاعلم أن كل مثال تركت فيه الأداة ــ يحتمل أن يكون من قبيل التشبيه المؤكد ان لم تقدر فيه الأداة ، وأن يكون من قبيل المرسل ان قدرت الأداة مالم تقم قرينة على المراد .

ومن التشبيه المؤكد ما أضيف فيه المشبه به الى المشبه بعد حذف الأداة ، وتقديم المشبه به على المشبه ــ والاضافة حينئذ بيانية تقتضى الاتحاد فى المفهوم كما فى قول الشريف الرضى يستمطر الرحمة على قبـــور الموتى :

أرسى النسيم بواديكم ولا برحت
حوامل المزن فى أجداثكم تضع (١)

---

(١) « أرسى النسيم بواديكم » بمعنى استقر بها « والمزن » أراد بها السـحاب « والأجداث » جمع جـــدث بفتح الجيم والدال وهو القبر ، « وتضع » بمعنى تهمى وتهطل وانما عبر بالوضع لمناسبة لفظ «الحوامل».

أراد أن المزن الممتلئة بالمـاء كالحوامل من الحيوان ــ فقد شبه المزن بالحوامل بجـامع المنفعة فى كل ، ثم تركت أداة التشـبيه ، وتنوسيت ، ثم أضيف المشبه به الى المشبه ، بعد تقديمه عليه ــ كما ترى ــ وفى التعبير بقوله : «تضع» ، مع قوله : « حوامل المزن » براعة بارعة فى مراعاة التناسب ــ ومثله قول الشاعر يصف اعتدال الريح وقت الأصيل :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى
ذهب الأصيل على لجين المـاء (١)

شبه الشاعر المـاء بالفضة فى النقاء والصفاء ، ثم أضاف المشبه به الى المشبه بعد حذف الأداة ، وتناسيها فى نظم الكلام ــ كما ذكرنا ــ وسمى التشبيه مؤكدا لأنه آكد ، وقرر بدعوى اتحاد الطرفين ، وأن المشبه هو المشبه به ، لا يتميز أحدهما عن الآخر فى شيء .

اختبـــار

(١) عرف أداة التشبيه ، ومثل من عندك بأداتين من أدواته يكون وجه الشبه فى أحد المثالين عقليا ، وفى الآخر حسيا .

(٢) بين أى الطرفين يلى كاف التشبيه، وما حكم «كأن التشبيهية» فى هذا الشأن مثل لمـا تقول .

(٣) من أى قبيل قوله تعالى : واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء الآية ، وقولك : خالد مائل الأسد .

---

(١) تعبث بالغصون تحركها وتميلها «وجرى» بمعنى ظهر والجملة حالية ، والأصيل هو الوقت بين العصر والغروب ويعد من أطيب الأوقات، وذهبه صفرته بسبب شعاع الشمس واطلاق الذهب عليـه « استعاره » واللجين الفضة وقـد اضـيف الى المـاء من اضافة المشبه به الى المشبه وهو محل الشاهد .

(٤) متى تستعمل « كأن » فى معنى الظن ؟ بين الخلاف فى ذلك ، مع التمثيل ، وهل من قبيل أداة التشبيه فعلا الوجدان والحسبان فى نحو قولك : زرت عليا فوجدته بحرا ، ورأيت توفيقا يخطب فظننته قسا ، وما الفرق بين الفعلين ؟

(٥) قسم التشبيه باعتبار الأداة ، وعرف كل قسم ، مع التمثيل ، واذكر من أى قبيل قول الشاعر :

ورد الخدود ورمان النهود وأغصـ ـان القدود تصيد السادة الصيدا

وما نوع الاضافة فيه ؟

(٦) من أى نوعى التشبيه « المؤكد والمرسل » قولهم : صوته مزمار داود ، وما علة هذه التسمية فى كل منهما ؟ .

مبحث أغراض التشبيه :

أغراض التشبيه هى البواعث التى تحمل المتكلم على أن يعقد شبها بين شيئين وهى على ضربين :

(١) ما يعود على المشبه وهو الأكثر (١) .

(٢) ما يعود على المشبه به .

الأغراض التى تعود على المشبه وهى سبعة :

الأول — بيان حال المشبه أى بيان وصفه الذى هو عليه — وذلك اذا كان المخاطب يجهل حال ذلك المشبه ، ويريد أن يعرف حاله ، فيلحق بمشبه به معروف لديه بيانا لهذه الحال كما فى تشبيه ثوب بآخر فى

(١) انما كان الأكثر ذلك لأن التشبيه بمنزلة القياس فى ابتناء شىء على آخر فالمعقول اذن أن يعود الغرض منه على المشبه الذى هو كالمقيس ولذا كان عوده اليه هو الغالب الكثير .

بياضه ، أو سواده ــ وكما فى قول امرىء القيس المتقدم يصف عقابا بكثرة اصطياد الطيور :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

شبه الرطب من قلوب الطير ، واليابس منها بالعناب والحشف البالى بيانا لما فيها من الأوصاف كالشكل ، والمقدار ، واللون ــ ومثله قول النابغة يمدح النعمان بن المنذر :

كأنك شمس والملوك كواكب
اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

شبه النابغة النعمان بين سائر الملوك بالشمس بين سائر الكواكب بجامع الهيئة الحاصلة من الشىء الحقير ، يتضاءل شأنه ، عند وجود الشىء الخطير ــ والغرض بيان حال النعمان مع سائر الملوك من أنه صفوتهم اذا ظهر بينهم طغى أمره على أمرهم شأن الشمس مع الكواكب .

وينبغى لتحقيق هذا الغرض أن يكون المشبه به معروفا عند المخاطب بوجه الشبه لأن الغرض تعريف حال المشبه المجهولة للمخاطب فلو لم تكن حال المشبه به معروفة عنده من قبل لزم تعريف المجهول بالمجهول :

وليس بلازم فى تحقيق هذا الغرض أن يكون وجه الشبه فى المشبه به أتم وأقوى منه فى المشبه ــ وان كان الشأن فيه ذلك ــ لأن المخاطب انما يجهل حال المشبه ، ويريد مجرد تصورها ، من غير التفات الى زيادة أو نقصان ، وهذا يكفى فيه أن يكون وجه الشبه معروفا فى المشبه به عنده ــ فاذا قيل : ما لون ثوبك الذى اشتريته ؟ فقلت : كثوب فلان مثلا ، والمخاطب يعلم أنه أسود فقد تم الغرض ، ولا يتوقف على أن يكون سواد ثوب فلان أتم منه فى الثوب المشترى لأن ذلك زائد على المطلوب .

الثـاني ـ بيان مقدار حال المشـبه من القوة ، أو الضعف ، أو الزيادة أو النقصان ـ وذلك اذا كان المخاطب يعلم حال المشبه ، ويجهل مقدار هذه الحال ، ويريد الوقوف على مقدارها ، فيلحق حينئذ بشىء يعلم المخاطب مقدار حاله كما فى قول الشاعر :

فيهـا اثنتـان وأربعـون حـلوبة
سودا كخـافية الغـراب الأسحم (١)

أشار بقوله : « سودا » الى الصفة المشتركة بين الطرفين فالمخاطب يعلم حال المشبه ، وأنه أسود اللون ، ولكنه لا يدرى : الى أى مدى وصل هذا السواد ، وكأنه يطلب معرفته فجاء المتكلم بهذا التشبيه كاشفا عن مقداره ، وأنه على حد السواد فى الغراب الأسحم المعروف عند المخاطب بشدة سواده ، وبهذا اتضحت حال المشبه ، واستقر فى الذهن مقدار سـواده ، وأنه بين الحلكة شـديدها ـ ومثله قول الشـاعر :

اذا قـامت لحـاجتها تثنت
كأن عظـامها من خيـزران (٢)

فقد أشار بقوله : « تثنت » الى الوصف المشترك بين الطرفين فالمخاطب يعلم حال المشبه ، وأنه لين لا يبس فيه ، ولكنه لا يدرى : الى أى حد وصلت هذه الليونة ، فجاء الشاعر بهذا التشبيه كاشفا عن مقـدارها ، وأنها على غرار ليـونة الخيزران المعروف للمخاطب مبلغ ليونته وتكسره ـ وكتشبيه الصوت الضعيف بالهمس ، أو القـوى بالرعد بيانا لمقدار ضعفه ، أو قوته .

---

(١) « الحلوبة » الناقة ذات اللبن الغزير ، « والخـافية » ريش فى الطائر يختفى اذا ضم جناحيه ، « والأسحم » شديد السواد .

(٢) « تثنت » تمايلت مع تكسر « والخيزران » نوع من الخشب واضح الليونة .

ولتحقيق هذا الغرض ينبغى أن يكون المشبه به أعرف بوجه الشبه وأشهر به عند المخاطب (١) من المشبه — غير أنه يجب هنا أن يكون المشبه به مساويا للمشبه فى وجه الشبه ، لا أكثر ولا أقل — حقيقة أو ادعاء (٢) اذ لو كان المشبه به أتم فى وجه الشبه من المشبه ، أو أقل منه لم يتعين المقدار ، فلم يتم الغرض من التشبيه .

الثالث — بيان امكان المشبه أى بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود — وذلك اذا كان أمرا غريبا من شأنه أن ينازع فيه ، ويدعى امتناعه ، فيمثل حينئذ بشىء مسلم الوقوع ، ليكون كالدليل على ثبوته كما فى قول أبى الطيب من قصيدة يرثى بها أم سيف الدولة :

فان تفـــق الأنام وأنت منهـــــم
فان المســـك بعض دم الغــــــزال

ادعى الشاعر أن الممدوح من السمو والرفعة بحيث فاق الجنس البشرى الذى هو أحد أفراده ، وصار كأنه جنس آخر — ولـما كان هذا المعنى — فى بادىء الرأى غريبا فى بابه ، لا تقبله العقول لاستبعاد أن يخرج الشىء عن جنسه أراد أن يؤيده بما لا نزاع فيه ليتبين امكانه فشبهه بشىء أقرته العقول ، وآمنت به وهو « المسك » فانه خرج عن أصله ، وتحول الى جنس آخر لـما فيه من معنى ليس فى سائر الدماء أى واذا جاز أن يفوق الشىء أصله لميزة فيه فليس يبعد أن يفوق الممدوح جنسه لـما فيه من جليل الصفات — ومن هذا البيان يتبين أمران :

أحدهما — أن قوله : فان المسك الخ لم يأت به جوابا للشرط فى المصراع الأول ، وانما سيق مساق الدليل على هذا الجواب ،

---

(١) أى وان لم يكن أشهر فى الواقع .

(٢) حقيقة كما فى الأمثلة المتقدمة ، وادعاء كما فى تشبيه شراب بارد شديد البرودة بالثلج ، أو شراب شديد الحرارة بالنار .

وكأنه يقول : فان تفق الأنام وأنت منهم فلا بدع ولا غرابة لأن لك نظيرا هو « المسك » فقد حذف الجواب وهو قوله : « فلا بدع ولا غرابة » واستغنى عنه بهذا الدليل .

ثانيهما ــ أن التشبيه فى البيت ليس صريحا ، بل دل عليه الكلام ضمناً ــ ذلك أن المعنى الصريح لهذا الكلام هو ــ كما قلنا ــ : ان لا بدع ولا غرابة أن يخرج الممدوح عن بنى جنسه لمعنى فيه ليس فيهم لان المسك بعض دم الغزال ، وهو ــ مع ذلك ــ لا يعد من الدماء لما اختص به من معنى كريم ــ ومفهوم هذا : أن حال الممدوح شبيهة بحال المسك ــ وبهذا التشبيه الضمنى تبين أن المشبه أمر ممكن الوجود ــ ومثل هذا البيت قول الشاعر :

وان تكن تغلب الغلباء[1] عنصرها
فان فى الخمر معنى ليس فى العنب

يريد : وان كانت هذه المرأة من قبيلة تغلب ذات العزة والمنعة فان فيها من معانى الكمال ما جعلها تبذ قومها وتفوقهم ، ثم دلل على هذه الدعوى بما معناه : أن العنب أصل الخمر ولكنها تحولت الى شيء آخر لمعنى اختصت به دونه .

ولتحقيق هذا الغرض ينبغى أن يكون المشبه به أعرف وأشهر بوجه الشبه من المشبه كالذى قبله ليصح جعله مقيسا عليه ، واعتباره دليلا على امكان المشبه وليس بلازم أن يكون المشبه به أتم وأكمل من المشبه فى وجه الشبه لأن المطلوب بيان امكان المشبه باثبات نظير له ، وهذا يكفى فيه مجرد وجود وجه الشبه فى المشبه به خارجا ، ولا يتوقف على أن يكون الوجه فى المشبه به أتم منه فى المشبه ــ فاذا قلت لانسان . انك فى خروجك عن جنسك كالمسك تم الغرض بمجرد العلم بخروج المسك عن جنسه ، وان لم يكن المسك أتم منه فى هذا الخروج فرضا .

---

(١) أى ذات عزة ومنعة .

الرابع ــ تقرير حال المشبه ، وتمكينها فى نفس السامع بابرازها فى صــورة هى فيها أوضح وأقوى ــ وانما يكون ذلك فى الأشياء المحسة كالذى تراه فى تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل (١) بمن يرقم على المــاء أو الهواء ــ فقد أراك لخيبة المسعى ، وبوار العمل صورة ملموسة لا يشك فيها شاك ــ وهل هناك من يشك فى عبث من يرقم على المــاء أو الهواء ، وهو يرى بعينه عملا لا أثر له ؟ ــ ومثله قول الشاعر :

ان القـــــلوب اذا تنـــافر ودهــا
مثــل الزجـــاجة كسرها لا يجبــر

شبه الشاعر هيئة القلوب المتنافرة بهيئة الزجاجة المتصدعة بجامع هيئة الشىء التالف ، تتعذر عودته الى حالته الأولى ــ ولمــا كان تنافر القلوب ، وتعذر عودتهــا الى التواصل ــ كما كانت ــ من الأمور المعقولة التى لا تطمئن اليها النفس أيما اطمئنان اذ قد يتوهم جــواز عودتها الى ما كانت عليه من الالتئام ــ لمــا كان الأمر كذلك أراد أن يبرز هذا المعنى فى صورة ترى بالعين لتسكن اليه النفس ، وتؤمن به ايمانا قويا ، فشبهه بالزجاجة اذا تصدعت ــ ومثل هذا التشبيه تجد فيه من تقرير المعنى ، وتمكينه فى النفس ما لا تجده فى غيره ــ ذلك أن الجزم بالأمور الحسية أتم منه بالأمور العقلية ــ وليس من شك فى أن التئام الزجاجة بعد صدعها من الأمور المقطوع بتعذرها لتقررها فى عالم الحس ــ ألا ترى لو وصفت يوما بالطول ، فقلت : هو كأطول ما يتوهم ، أو كأنه لا آخر له أكنت تحس من الأنس والأريحية بمثل ما تجده فى قول الشاعر :

ويوم كظــل الرمح قصر طـــوله
دم الزق عنا واصــطكاك المزاهر (٢)

---

(١) الطائل الفائدة يقال : هذا الأمر لا طائل تحته أى لا فائدة فيه .
(٢) المراد بدم الزق الخمر وهو على تقــدير مضاف أى شرب دم الزق ، والزق وعاء الخمر ، و « عنا » حال من دم الزق أى حال كونه =

وهل تراك لو وصفته بالقصر ، فقلت : هو كأقصر ما يتصور ، أو كلمح البصر أكنت ترى فيه من تجسيم المعنى ، وعرضه فى صورة ملموسة ما تراه فى قولهم : « أيام كأباهيم (١) القطا » ، أو فى قول الشاعر :

ظللنا عند باب أبى نعيم
بيوم مثل سالفة الذباب (٢)

ذلك أن اطمئنان القلب الى ابن الحاسة أقوى وأتم ــ كما رأيت ــ ألا ترى الى قول ابراهيم الخليل عليه السلام : رب أرنى كيف تحيى الموتى . قال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبى .

وان شئت المثل الأعلى لهذا النوع فعليك بكتاب الله فى غير موضع منه قال تعالى : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، فى كل سنبلة مائة حبة » ــ وقال جلت قدرته : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا » ــ الى غير ذلك من صور ابراز المعانى المحجوبة عن العيان فى معارض الحس والمشاهدة ليكون ذلك أمكن فى النفس، فيقوى ايمانها به ، واطمئنانها اليه .

وهذا الغرض لا يتحقق الا بالأمرين جميعا ــ أعرفية المشبه به بوجه الشبه ، وأتميته فيه أى أن يكون المشبه به أعرف بوجه الشبه من المشبه ، وأن يكون أتم وأقوى منه فيه لأن النفس الى الأتم الأقوى أميل ؛ فالتشبيه به لقصد التقرير والتقوية أجدر فأنت اذا قلت مثلا : ان القلوب المتنافرة يتعذر عودتها الى التواصل جاز أن يتوهم ــ كما قلنا ــ امكان عودتها اليه فاذا مثلت هذا المعنى بالزجاجة المتصدعة،

= صادرا عنا و « المزاهر » جمع مزهر بكسر الميم آلة من آلات الطرب « واصطكاكها » ضرب بعضها فى بعض .

(١) الاباهيم جمع ابهام بكسر الهمزة وهو أكبر أصابع اليد أو الرجل ، والقطا جمع قطاة وهى طائر معروف بخفة الحركة .

(٢) سالفة الذباب مقدم أعناقه .

وهى التى لا يتصور فيها مطلقا أن تعود الى الالتئام ثانيا تمكن المعنى فى النفس ، وآمنت به ايمانها بالمعنى الممثل به .

الخامس ــ تزيين المشبه للمخاطب أى تصويره له بصورة جميلة محببة للنفوس بأن يلحق بمشبه به قد استقر فى النفس حسنه وحبه ليتخيله المخاطب كذلك ، فيرغب فيه لما هو مركوز فى الطباع من أن المتماثلين حكمهما واحد ــ لا فرق فى ذلك بين المبصرات وغيرها كما فى قول الشاعر :

سوداء واضحة الجبين كمقلة الظبى الغرير (١)

فالوجه الأسود مما لا يستحسن فى رأى العين فلأجل الترغيب فيه شبه بمقلة الظبى فى حسن سوادها واستدارته تزيينا له عند السامع ، فيتخيله حسنا ــ ومثله قول الشاعر :

تفاريق شيب فى الشباب لوامع
وما حسن ليل ليس فيه نجوم ؟

شبه الشاعر هيئة ظهور بياض الشيب يلمع بين سواد الشباب بهيئة نجوم تتألق فى جنح الليل بجامع هيئة اختلاط شىء ناصع البياض بآخر حالك السواد ــ والغرض من هذا التشبيه تصوير الشيب بين سواد الشباب بصورة الكواكب تبرق فى ظلام الليل تزيينا له فى عين المخاطب ، فلا ينفر منه ــ وكما فى تشبيه صوت مغن بصوت داود ، وبشرة انسان بالحرير ، ونكهة فم بالعطر ، أو نحو ذلك .

السادس ــ تقبيح المشبه ، وتصويره للمخاطب بصورة قبيحة بأن يلحق بمشبه به تتقزز منه النفس ، ويمجه الطبع ليتخيله المخاطب كذلك ، فيرغب عنه لما تقدم من أن المتماثلين حكمها واحد كما فى قول الشاعر :

---

(١) الغرير الحسن الشكل .

واذا أشار محدثا فكأنه قرد يقهقه أو عجوز تلطم

شبه الشاعر هيئة انسان مبغض ، يشير فى حديثه بهيئة قرد يضحك ، أو عجوز تصفع خديها فى بشاعة المنظر وقبحه تشويها له فى نظر السامع — ومثله قول الشاعر يذم القمر :

كلف فى شحوب وجهك يحكى
نكتا فوق وجنة برصاء (١)

فتشبيه ما يبدو على صفحة القمر — فى مرأى العين — من نقط دكن بهيئة نكت مبثوثة على وجنة برصاء مما يؤثر فى نفس الناظر الى القمر اذ يبدو له كأنه بالحالة التى شبه بها — وكتشبيه الصوت الشديد بالرعد ، والجهل بالموت ، ورجل السوء بالمنية ، وسرب الأشرار بالأفاعى ، ونحو ذلك .

هذا ولم يشترطوا لتحقيق هذين الغرضين أتمية الوجه فى المشبه به ولا أشهريته فيه — وعللوا ذلك بصحة تشبيه وجه أسود حالك السواد بمقلة الظبى لقصد تزيينه ، مع أن السواد فيها ليس أتم منه فى الوجه الأسود ، ولا هى أشهر منه فى السواد — وبأن الهيئة المشتركة بين من يشير متحدثا ، وبين قرد يقهقه ، أو عجوز تلطم ليست فى القرد ، أو العجوز أتم ، ولاهمابها أشهر .

غير أن هذا القول انما يستقيم لو أن وجه الشبه المشترك بين الوجه الأسود ، ومقلة الظبى « مطلق سواد » ، أو لو أن الوجه المشترك بين هيئة من يشير متحدثا ، وبين هيئة القرد وهو يضحك ، أو العجوز وهى تلطم « مطلق هيئة » . وليس كذلك فان الوجه فى الأول « السواد الحسن » ، وفى الثانى « الهيئة القبيحة » لأن الغرض من التشبيه تزيين المشبه ، أو تقبيحه بالحاقه بمشبه به حسن أو قبيح

---

(١) الكلف بفتح الكاف واللام شىء يعلو الوجه كحب السمسم بين السواد والحمرة ، والبرصاء مؤنث أبرص وهو المصاب بداء البرص .

واذا يجب أن يكون المشبه به أتم وأشهر من المشبه به فى هذا المعنى ليتم الغرض — وليس من شك أن مقلة الظبى لما فيها من صفاء السواد ، وحسن استدارته أتم وأشهر فى هذا المعنى من الوجه الأسود، وأن فيما نراه من قباحة صورة القرد يضحك ، والعجوز تلطم وجهها ما لا نجده فى صورة من يتحدث مشيرا مهما قبح منظره ، وشاه خلقه فالقباحة فيهما أتم وأشهر كذلك .

السابع — استطراف المشبه أى جعله طريفا بديعا وذلك يكون بواحد من أمرين :

(١) أن يبرز فى صورة ممتنعة الوجود فى الخارج عادة ، أو نادرة الحضور فى الذهن .

(٢) أن يشبه بشىء يندر حضوره فى الذهن عند حضور المشبه لما بين الطرفين من بعد المناسبة .

فالأول — كما فى تشبيه هيئة فحم سرت فيه النار بهيئة بحر من المسك ، موجه الذهب . بجامع الهيئة الحاصلة من وجود شىء مضطرب مائل الى الحمرة ، وفى وسط شىء أسود فصورة البحر المذكور عزيزة الوجود خارجا ، ونادرة الحضور فى الذهن — كما ترى — فاذا أبرز المشبه التافه الذى لا يؤبه له « كهيئة الفحم المذكور » فى صورة شىء نفيس ممتنع الوجود فى الخارج ، أو نادر الوجود فى الخاطر « كالصورة المذكورة للبحر » تخيله السامع طريفا بديعا .

والثاني — كما فى قول عدى بن الرقاع يصف قرن الغزال :

تزجى أغن كأن ابرة روقه
قلم أصاب من الدواة مدادها (١)

شبه الشاعر صورة قرن الغزال ، وقد علا طرفه سواد بصورة قلم

(١) تزجى تسوق « والأغن » غزال فى صوته غنة ، « وروقه » قرنه ، وابرته طرف القرن ، والمداد الحبر والدواة المحبرة .

عليه أثر المداد — وصورة القلم المذكورة قلما تخطر بالبال عند تصور قرن الغزال ذى الطرف الأسود لما بين الصورتين من بعد المناسبة فقد أراك الشاعر عناقا بين متباعدين أشد التباعد ، ومن هنا كان الاستطراف (١) — ومثله ما تقدم لك من تشبيه أزهار البنفسج فوق سيقانها بلهيب النار فى أطراف الكبريت اذ أراك شبها لنبات غض ، وأوراق رطبة بلهب نار فى جسم استولى عليه اليبس — ومبنى الطباع على أن الشىء اذا ظهر فى مكان لم يعهد ظهوره فيه كانت صبابة النفس به أكثر ، وكان الولع به أجدر .

ولا يشترط لتحقيق هذا الغرض ما اشترط فى غيره من كون المشبه به أتم وأشهر فى وجه الشبه من المشبه ، بل كلما كان المشبه به أندر وأخفى كان التشبيه لتأدية هذا الغرض أتم وأوفى .

تنبيـه :

اعلم — ان التشبيه الحاق شىء بشىء فى معنى : : أو هو قياس شىء على شىء فى هذا المعنى — والأول هو المشبه أو المقيس ، والثانى هو المشبه به ، أو المقيس عليه ومقتضى الطبع أن يكون المشبه به الذى هو المقيس عليه أصلا فى وجه الشبه للمشبه الذى هو المقيس واذا فقاعدة التشبيه تقتضى أن يكون المشبه به أتم وأشهر فى وجه الشبه من المشبه ليصح الالحاق أو القياس ، وبهذا صرح السكاكى اذ قال : ان حق المشبه به أن يكون أعرف بجهة التشبيه من المشبه ، وأخص بها ، وأقوى حالا معها الخ — وقد جرى عليه أبو العلاء المعرى فى قوله :

ظلمنـاك فى تشـبيه صـدغيك بالمسـ
ـك وقاعـدة التشـبيه نقصان ما يحـكى

(١) وانمـا جاء الاستطراف الى المشبه من حيث أنه أحد المتباعدين المتعانقين أو من حيث تصويره بصـورة النفيس الممتنع مع تفاهته ، أو بصورة نادرة الحضور فى الذهن مع عدم ندرته .

غير أنك عرفت مما تقدم ــ على ما حققناه ــ أن أعرفية المشبه به بوجه الشبه شرط فيما عدا « الاستطراف » ، وهو خلاف ما ذهب اليه شراح التلخيص من عدم اشتراطها أيضا عند قصد التزيين والتقبيح، وقد عرفت ما فيه .

ووجه اشترط الأعرفية فى تلك الأغراض : أن المشبه به بمثابة المعرف لحال المشبه ــ فلو لم يكن المشبه به أعرف بوجه الشبه لزم تعريف المجهول بالمجهول ــ أما الأتمية فقد شرطها شراح التلخيص عند قصد تقرير المشبه وتمكينه فى النفس لما ذكروه من أن النفس الى الأتم الأقوى أميل منها الى غيره ــ لكنك علمت أيضا أنها كذلك شرط عند قصد تزيين المشبه ، أو تقبيحه لما بيناه من توقف تحقيق هذين الغرضين على أتمية الحسن ، أو القبح فى المشبه به كما هو واضح فى المثالين السابقين ــ وهى فيما عدا ذلك من الأغراض ليست بشرط عند الجميع لامكان تحقيق هذه الأغراض بدون الأتمية ــ كما بينا ــ غير أن هذا لا يتنافى مع قاعدة التشبيه من وجوب كون المشبه به أتم من المشبه فى وجه الشبه فان عدم اشتراط الشىء لا ينافى وجوده ، ولو على سبيل الوجوب ا هـ

الأغراض التى تعود على المشبه به وهى اثنان :

الأول ــ وهو الكثير الغالب ــ ايهام المخاطب أن المشبه أقوى وأتم من المشبه به فى وجه الشبه ــ وذلك انما يكون فى التشبيه المقلوب بأن يجعل المشبه فى مكان المشبه به بادعاء أن المشبه أكمل فى وجه الشبه من المشبه به مبالغة ، فيتوهم السامع حينئذ أن الأصل فرع ، والفرع أصل جريا على قاعدة التشبيه من وجوب كون المشبه به أقوى وأتم فى وجه الشبه من المشبه كما فى قول محمد بن وهيب يمدح المأمون :

وبدا الصباح [1] كأن غرته
وجه الخليفة حين يمتدح

يريد الشاعر أن يشبه وجه الخليفة بغرة الصباح فى الضياء والاشراق جاعلا وجه الخليفة مشبها به ، قاصدا ايهام أنه أتم وأكمل فى الضوء من غرة الصبح مبالغة فى وصف وجهه بالتهلل والطلاقة عند استماع المديح .

وانما قيد الشاعر اشراق وجه الخليفة بوقت الامتداح ليدل على أمرين هما :

(١) اتصاف الممدوح بحسن قبوله للمدح ، الدال على تقديره للمادح ، وتعظيمه له ، ولو كان غير قابل له لعبس فى وجهه .

(٢) اتصافه بالكرم اذ الكريم هو الذى يتهلل وجهه ، وتنبسط أساريره للمدح ولو كان لئيما ضنينا لقطب جبينه ، وأشاح بوجهه — ومثله قول البحترى يصف بركة المتوكل :

كأنها حين لجت فى تدفقها　　يد الخليفة لما سال واديها

فقد أراد البحترى : أن يوهم أن يد الخليفة أقوى تدفقا بالعطاء من البركة بالماء مبالغة فى وصفه بالكرم — وكقول الشاعر :

والبدر فى أفق السماء كغادة　　بيضاء لاحت فى ثياب حداد
حتى بدا وجه الصباح كأنه　　وجه الحبيب أتى بلا ميعاد

ففى كلا البيتين ايهام أن المشبه أقوى فى وجه الشبه من المشبه به .

---

(١) يحتمل أن يراد به الضياء التام الحاصل عند الاسفار . وأن يراد به الضياء المخلوط بظلمة آخر الليل ، ففى الأول تكون الاضافة فى قوله : « غرته » بيانية أى كأن الغرة التى هى الصباح ، وعلى الثانى تكون الاضافة على أصلها لاحاطة الظلمة فى ذلك الوقت باشراق هو كالغرة المحاطة بسواد الفرس ، والغرة بياض فى جبهة الفرس فوق الدرهم استعير لبياض الصبح .

الثاني ــ بيان اهتمام المتكلم بالمشبه به كأن يشبه الجائع وجه حبيبه بالرغيف فى الاستدارة والاستلذاذ به مدعيا أن الرغيف أظهر فى وجه الشبه من وجه الحبيب ليدل بهذا التشبيه على اهتمامه بالرغيف ، وأنه ــ لشدة جوعه ــ لا يغيب عن خاطره ، وكأن يشبه الفقير وجه الحبيب بالدينار فى الاستدارة والاشراق ليدل بهذا التشبيه على مبلغ عنايته بالنقدين ، وأنه لشدة فقره لا يغربان عن ذهنه ، وأن الدينار فى زعمه أظهر من المشبه فى وجه الشبه ــ ويسمى هذا النوع من التشبيه « اظهار المطلوب [1] » لاتيان صاحبه بما يدل على مطلوبه ، ولا بد فى مثل هذا التشبيه من قرينة تدل على قصد المتكلم كالعدول عما يناسب الى غيره ــ وها هنا فى المثالين قد عدل عن تشبيه الوجه فى الاشراق بما يناسبه وهو « البدر » الى غيره وهو «الرغيف» فى الأول « والدينار » فى الثانى .

تقسيم التشبيه باعتبار الغرض :

ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار الى قسمين ــ مقبول ، ومردود .

فالمقبول ــ ما كان وافيا بالغرض الذى سيق لأجله التشبيه .

فان كان الغرض بيان حال المشبه وجب أن يكون المشبه به معروفا بوجه الشبه عند المخاطب من قبل لئلا يؤدى الى التشبيه بالمجهول .

وان كان الغرض بيان مقدار حاله وجب أن يكون المشبه به على حد المشبه فى وجه الشبه ، لا أكثر منه ولا أقل .

وان كان الغرض بيان امكانه وجب أن يكون وجه الشبه مسلم الوقوع فى المشبه به ليتبين عدم استحالة المشبه .

---

(١) قال السكاكى : ولا يحسن المصير اليه الا فى مقام الطمع فى حصول المطلوب وقد حكى : أن قاضى سجستان دخل على « الصاحب » ، فأخذ يمدحه حتى قال : وعالم يعرف بالسجزى ، يريد السجستانى نسبة الى سجستان على غير قياس ، فأشار الصاحب الى ندمائه أن يتمموا البيت على أسلوبه ، فكمله أحدهم بقوله : أشهى الى النفس من الخبز، ففهم مراده فقدم له مائدة .

وان كان الغرض تقريره وجب أن يكون المشبه به أتم فى وجه الشبه من المشبه ليتقرر فى ذهن السامع ، ويزداد به ايمانا .

وان كان الغرض تزيينه أو تقبيحه وجب أن يكون المشبه به أتم أيضا فى وجه الشبه من المشبه ــ على الخلاف فى ذلك .

وان كان الغرض استطرافه وجب أن يكون المشبه به غريبا فى بابه ، أو بعيد التصور ــ وقد تقدمت أمثلة كل هذا ، فلا داعى لذكرها .

والمردود ــ ما لم يكن وافيا بالغرض المسوق له التشبيه .

ففى بيان الحال ــ أن يكون المشبه به مجهول الصفة للمخاطب كأن تشبه ثوبا فى لونه بآخر لا يعرفه المخاطب .

وفى بيان المقدار ــ أن يكون المشبه به أقل أو أكثر من المشبه فى وجه الشبه كأن تشبه ثوبا أبيض بآخر أقل أو أكثر منه بياضا .

وفى بيان الامكان ــ أن يكون وجه الشبه غير مسلم الوجود فى المشبه به كأن تشبه رجلا فاق جنسه لميزة فيه بآخر فاق جنسه كذلك .

وفى التقرير ألا يكون المشبه به أتم فى وجه الشبه من المشبه كأن تشبه من لم يحصل من سعيه على نتيجة بمن ينقش على حجر ، أو بساع آخر لم يحصل من سعيه على طائل .

وفى تزيينه ، أو تقبيحه ألا يكون المشبه به أتم فى وجه الشبه من المشبه كأن تشبه وجها أسود بالفحم مريدا تحسينه ، أو أن تشبه انسانا يتكلم بحسناء تبتسم مريدا تقبيحه .

وفى الاستطراف ألا يكون المشبه به غريبا ، أو بعيد التصور كأن تشبه فحما تتخلله نار بقطع من الحديد فى أثنائها لهب ، أو أن تشبه أزهار البنفسج بما يناسبها من الأزهار اذ ليس المشبه به غريبا فى الأول ، ولا بعيد التصور فى الثانى ــ فالتشبيه فى كل ما ذكرنا مردود لعدم وفائه بالغرض ــ كما رأيت ــ

اختبار

(١) ما هى أغراض التشبيه ، ومتى يكون الغرض منه بيان مقدار حال المشبه ، وبم يتحقق هذا الغرض ؟ مثل لما تقول .

(٢) بين وجه اشتراطهم فى تقرير الحال أعرفية الوجه ، وأتميته فى المشبه به ، مع توضيح ذلك بالمثال ، وما هو الغرض من التشبيه فى قولى الشاعر :

ولاح ضوء قمير كاد يفضحنا   مثل القلامة قد قدت من الظفر

فتى عيش فى معروفه بعد موته   كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

(٣) ايت بثلاثة تشبيهات يكون الغرض فى أحدها تقرير المشبه ، وفى الآخر استطرافه ، وفى الثالث تقبيحه .

(٤) قسم التشبيه باعتبار الغرض ، وعرف كل قسم ، ومثل له .

تمرينات

(١) بين طرفى التشبيه ، ووجهه ، ونوعه باعتبار الأداة ، والغرض منه فيما يأتى من أقوال الشعراء :

(١) الخل كالماء يبدى لى ضمائره
مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

(٢) وصبغ شقائق النعمان يحكى
يواقيتا نظمن على اقتران (١)

(٣) كأن سواد الليل والفجر ضاحك
يلوح ويخفى أسود يتبسم

(٤) فأصبحت من ليلى الغداة كقابض
على الماء خانته فروج الأصابع

---

(١) الصبغ اللون وشقائق النعمان زهر أحمر يشوبه نقط سود واليواقيت جمع ياقوت جوهر نفيس صلب شفاف مفرده ياقوتة ، ونظمن على اقتران أى اجتمعن فى سلك واحد على مقارنة ومماثلة .

(٥) له خـال على صـفحات خـد
كنقطـة عنبر فى صـحن مرمر
(٦) أنا الذهب الابريز مالى آفـة
سوى نقص تميز المعاند فى نقدى[١]
(٧) كأنه [٢] سرم بغل حين تفتحه
عند البراز وباقى الروث فى وسـطه
(٨) وبين الخـد والشـفتين خال
كزنجى أتى روضـا صـباحا
تخـير فى الرياض فليس يـدرى
أيجنى الـورد أم يجنى الأقاحا [٣]
(٩) كم نعمـة مرت بنـا وكأنهـا
فرس يهرول أو نسـيم سـار
(ب) بين أركان التشبيه فيما يأتى :
(١) والشمس من بين الأرائك قد حكت
سـيفا صـقيلا فى يد رعشـاء
(٢) نعمـة كالشـمس لمـا طلعت
بثت الاشـراق فى كل بـلد
(٣) كأن على قلبى قطاة تذكـرت
على ظمـأ وردا فهزت جناحهـا [٤]
(٤) تـزدحم النـاس على بـابه
والمنهـل العـذب كثير الزحام
(٥) يجـود بالوعـد ولكنـه
يـدهن من قارورة فارغـة

---

(١) الأبريز الخالص والآفة العاهة .
(٢) يذم الشاعر الورد فالضمير فى « كأنه » عائد اليه .
(٣) الأقاحى جمع أقحوان وجاز نصبه على رأى من رفع الراء فى قوله تعالى : وله الجوار المنشئات .
(٤) الورد بكسر الواو الاشراف على الماء .

(٦) وكأن الجـــو ميـــدان وغى
رفعت فيــه المــذاكى رهجـــا (١)

(٧) ليس الحجاب بمقص عنك لى أمـلا
ان الســـــماء ترجى حين تحتجب

(٨) وانمـا الحقد كمثـل النـــار
كامنـــة فى باطن الأحجـــار

(٩) وما كمد الحســـاد شيئا قصـدته
ولكنه : من يـزحم البحر يغـرق

(١٠)هـو السـيف ان لاينته لان متنه
وحداه ان خاشـنته خشـــنان

(١١)والنفس كالطفل ان تهمله شب على
حب الرضـاع وان تفطمه ينفطم

(١٢)وكأنمـا المـريخ بين نجـــومه
ياقــوته فى لؤلؤ متبـــدد (٢)

(١٣)بعثـوا الرعب فى قلوب الأعادى
فكأن القتـــال قبـل التـلاقى

(١٤)كريشـة فى مهب الريح ســاقطة
لا تســـتقر على حـال من القـلق

---

(١) المذاكى الخيل ، والرهج بفتح الراء والهاء الغبار ٠
(٢) المريخ نجم ، والمتبدد المتفرق ٠

جواب التمرين الأول

الرقم	المشبه	المشبه به	وجه الشبه	نوع التشبيه باعتبار الأداة	الغرض من التشبيه
١	الخل فى حال رضائه وسخطه ...	الماء فى حال صفائه وكدره	الإظهار عند الصفاء والإخفاء عند الكدر	مرسل لذكر الأداة	تقرير المشبه
٢	هيئة ألوان شقائق النعمان ...	هيئة اليواقيت المنظومة فى سلك واحد	الهيئة المركبة من ألوان مختلفة	» » »	تحسين المشبه
٣	هيئة سواد الليل عند انساق الفجر	هيئة الرجل الأسود عند ما يبتسم	هيئة اختلاط سواد كثير ببياض قليل	» » »	بيان حال المشبه
٤	حال الشاعر مع ليلى	حال القابض على الماء . .	خيبة المسعى وبواره ...	» » »	بيان مقدار الحال
٥	هيئة الخال على صفحة الخد ...	هيئة نقطة العنبر على صحن مرمر	هيئة ظهور صورة صغيرة مستديرة سوداء على رقعة مبسوطة بيضاء	» » »	تحسين حال المشبه
٦	ضمير المتكلم	الذهب الأبريز	الخلو مما يشين...	مؤكد لحذف الأداة	بيان مقدار الحال
٧	الضمير فى «كأنه» العائد على الورد	سرم البغل	الصورة والشكل	مرسل لذكر »	تقبيح المشبه
٨	هيئة الخال بين الخد والشفتين	هيئة الزنجى واقفاً بين الرياض	هيئة شبح أسود مائلا بين أجرام حمر	» » »	استطراف المشبه للجمع بين متباعدين
٩	النعمة مع قيدها	الفرس المهرول	السرعة	» » »	بيان مقدار الحال

جواب التمرين الثانى

الرقم	المشبه	المشبه به	الأداة	وجه التشبيه
١	الشمس مع قيدها	السيف مع قيده	حكت	هيئة ترديد البريق
٢	نعمة	الشمس	الكاف	عموم النفع
٣	القلب الخافق	القطاة مع قيدها	كأن	شدة الاهتزاز
٤	حال الجواد الذى ينسل إليه الناس من كل حدب	حال المنهل العذب الذى يهرع إليه الناس للسقيا	مختفية لأن التشبيه ضمنى	هيئة الشيء تعظم فائدته فيهتم له
٥	الوعد الكاذب	القارورة الفارغة	« « « «	هيئة الشيء لا فائدة فيه
٦	الجو ملاحظاً قيده	الميدان مع قيده	كأن	هيئة الغبار مع الاصفرار
٧	حجاب الممدوح	حجاب السماء	مختفية لأن التشبيه ضمنى	تحقيق الرجاء
٨	الحقد ملاحظاً قيده	النار مع قيدها	الكاف	ظهور الأثر بالمعالجة
٩	المتكلم	البحر	مختفية لأن التشبيه ضمنى	بعد المنال
١٠	ضمير الغيبة	السيف	متروكة أو مقدرة	اختلاف الأثر باختلاف المؤثر
١١	النفس	السيف	الكاف	متابعة ما ألف فى المبدأ
١٢	هيئة المريخ بين النجوم	هيئة الياقوتة بين اللؤلؤ المتبدد	كأن	هيئة وجود جرم أحمر بين أجرام بيض مشرقة
١٣	الرعب	القتال	مختفية ، لضمنية التشبيه	حصول الاضطراب
١٤	الرجل المقصود بالهجاء	الريشة فى مهب الريح	القاف	عدم الاستقرار

تمرين يطلب جوابه على قياس ما سبق

بين طرفى التشبيه ، ووجهه ، ونوعه باعتبار الأداة ، والغرض منه فيما يأتى :

وان صـــخرا لتـــأتم الهداة به
كأنه علم فى رأســه نــار

والمســتجير بعمرو عنــد كربتــه
كالمستجير من الرمضـــاء بالنار

هو البحــر من أى النــواحى أتيته
فلجته المعروف والجــود ســاحله

وحديقة غنـــاء تنتظم النــدى
بفروعها كالدر فى الأســـلاك

واذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا . وجعلنـا الليل لباسا . هو كالفراشة . العلمـاء فى الأرض كالكواكب فى الســماء . النحو فى الكلام كالملح فى الطعام . الحياة كسـحابة صيف . سكبت عيناى غيث الدموع . المشتغل بما لا طائل تحته مثـل الراقم على الهــواء ، نزل بساحتنا فكأنه مطر الربيع . لئن ألك أسودا فالمسك لونى . وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة .

تمرين يطلب جوابه

بين أركان التشبيه فيما يأتى :

وان صخرا لتأتم الهداة به
كأنه علم فى رأسه نار

وحديقة غناء تنتظم الندى
بفروعها كالدر فى الأسلاك

والورد فى أعلى الغصون كأنه
ملك تحف به سراة جنوده

وانظر لنرجسه الجنى كأنه
طرف تنبه بعد طول هجوده

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد
ذخرا يكون كصالح الأعمال

والنقع ليل سماء لا نجوم له
الا الأسنة والهندية البتر (١)

رضاك شباب لا يليه مشيب
وسخطك داء لا يعيه طبيب

اذا الثريا اعترضت
عند طلوع الفجر

حسبتها لامعة
سبيكة من ذهب(٢)

التشبيه والتشابه :

تقدم أن المشبه به ينبغى أن يكون أعرف بوجه الشبه من المشبه،

(١) النقع الغبار ، والهندية السيوف ، والبتر جمع أبتر وهو القاطع .
(٢) السبيكة القطعة .

أو أتم وأقوى منه فيه ــ حقيقة اذا عاد الغرض على المشبه ، أو ادعاء اذا عاد على المشبه به كما سبق تفصيله .

ومتى كان الأمر كذلك جيء بصيغة التشبيه المعروفة اشعارا بهذا التفاوت ، ودلالة على أن أحدهما ناقص ، والآخر كامل كما تقول : «هذا الشيء كهذا الشيء» أو مثله ، أو شبهه ، أو يحاكيه ، أو يماثله، أو كأنه كذا ، أو غير ذلك من أنواع صيغة التشبيه الدالة وضعا على أن بين الشيئين تفاوتا .

فاذا أريد التساوى بين الشيئين فى أمر ، من غير قصد الى تمييز أحدهما فى الأعرفية ، أو الأتمية ، أو فيهما معا ــ سواء وجد هذا التفاوت بينهما أولا فالأفضل العدول عن صيغ « التشبيه » المذكورة آنفا الى صيغة « التشابه » ، أو ما يماثلها من كل ما يدل على حصول المعنى من الجانبين على السواء كتماثل وتعادل ، وتحاكى احترازا من ايهام (١) ترجيح أحد المتساويين الذى هو غير مراد قصدا الى المبالغة فى التشبيه ــ كما تقول : تشابه محمد والأسد ، وتماثل وجهه والبدر، وتحاكى نواله والغيث ، ونحو ذلك من كل فعل لا مفعول له للاشعار بأن ليس بين الطرفين تفاوت ــ ومنه قول أبى اسحق الصابى (٢) :

تشابه دمعى اذ جــــرى ومدامتى
فمن مثل مافى الكأس عينى تسكب
فوالله ما أدرى : أبالخمر أسبلت
جفونى، أم من عبرتى كنت أشرب (٣)

---

(١) انمـا عبر بالايهـــام لأن الاحتراز عن ترجيح أحد المتساويين يوجب العدول عن صيغ التشبيه ، مع أن العدول عنها جائز لا واجب .

(٢) هو ابراهيم أبو اسحق الصابى اليهودى وكان يحفظ القرآن ولكن الله لم يشرح صدره للاسلام كما هداه الى محاسن الكلام .

(٣) المدامة والمدام الخمر « والفاء » فى قوله « فمن مثل » لافادة تعليل التشابه أى تشابها لأن ما تسكبه العين من الدمع مثل ما فى الكأس من الخمر ، وأسبل هنا فعل لازم يقال : اسبل الدمع أو المطر هطل ، فالباء فى قوله « أبا الخمر » للتعدية وقد ورد متعديا فقيل : « أســـبل الدمع » بنصب الدمع على المفعولية أرسله ، والعبرة بفتح العين الدمع وبكسرها مصدر بمعنى الاعتبار .

خيل الى الشـــاعر ــ لشدة ما يعانيه من ألم الجوى ــ أن دمعه الهاطل على خده أحمرقان ، فشبهه بما فى كأسه من الخمر فى الحمرة ــ غير أنه زعم أن الخمر والدمع تســاويا فى وجه الشـبه ، بحيث لا يفضل أحدهما الآخر فيه حتى أشكل عليه الأمر ، فلم يدر : أكانت عيناه تسكبان خمرا ، فكان يشرب خمرا ، أم كانتا تسكبان دمعا ، فكان يشرب دمعا ؟ لهذا عدل عن التعبير بصيغة التشبيه الى صيغة التشابه المفيدة لمعنى التساوى الذى زعمه ــ وهذا من باب تجاهل العارف ، والا فهو يعلم قطعا أنه يحتسى خمرا ، وأن عينيه تسحان دمعا .

ومن هــذا البيان يعلم أن فى قول أبى اسحق حذفا من جهتين وكأنه يقول : أبا لخمر أسبلت جفونى « فمن الخمر كنت أشرب ؟ » ، «أم بالعبرة أسبلت جفونى» ، فمن عبرتى كنت أشرب؟ فأنت تراه قد حذف من احدى العبارتين ما ذكر مقابله من الأخرى ، وهو ما يسمى عندهم « بالاحتباك » .

غير أن قوله : « فمن مثل ما فى الكأس » صيغة تشبيه ، وهى تتعارض مع صيغة التشابه فى قوله : « تشابه دمعى الخ » ــ ولعل الجواب على هذا أن المراد بالتشابه التساوى فى مقدار وجه الشبه أما التشبيه فباعتبار أن وجه الشبه فى المشبه به أعرف وأشهر منه فى المشبه وقد أجيب بغير ذلك ــ

ونظير قول الصابى قول الصاحب بن عباد :

رق الزجاج وراقت الخمر ... فتشــابها فتشــاكل الأمر
فكأنما خمــر ولا قــدح ... وكأنما قــدح ولا خمــر

وفى هذا الشاهد أيضا ما فى الذى قبله من تعارض صيغة التشبيه « فى البيت الثانى » المقتضية للتفاوت مع صيغة التشابه « فى البيت الأول » المقتضية للتســاوى ــ ويجاب بأن « كأن » هنا للشــك ، لا للتشبيه بدليل قوله فى البيت الثانى : « ولا قــدح » ، ثم قوله : « ولا خمر » ، وذلك أمارة التساوى ــ وقد يجاب بأن التشبيهين فى

البيت الثانى تعارضا لفظا ، كما تعارضا معنى فتساقطا وبقى التشابه .

هذا — ويجوز فى هذه الحالة أيضا — وهى ارادة التساوى بين شيئين من غير قصد الى تمييز — الاتيان بصيغة التشبيه لغرض ما كأن يكون أحد الطرفين موضع حديث المتكلم ، أو محل اهتمامه . فيجريه على لسانه أولا ، ويجعله مشبها — فاذا كان يتحدث عن الليل يتألق فيه بياض الصبح صح أن يشبه ذلك بجواد أدهم ذى غرة كما فى قول الشاعر :

والصبح فى طرة ليل مسفر   كأنه غرة مهر أشقر (١)

واذا شغف بحب فرسه الدهماء ذات الغرة البيضاء جاز أن يشبه ذلك بظلمة الليل ينشق عنها وجه الصباح كما فى قول الشاعر :

وجهه صبح ولكن   سائر الجسم ظلام

فالشاعر فى كلتا الحالين — انما يرمى الى ما فى الطرفين من مجرد ظهور بياض فى سواد أكثر منه ، من غير قصد الى قوة أو ضعف — غير أن الأفضل — كما قلنا — هو العدول الى صيغة « التشابه » لأنها أدل على المراد ، وأصرح فى معنى التساوى بين الطرفين — وانما لم يجب العدول الى صيغة التشابه لما بينا من أن أحد الطرفين قد يكون موضع اهتمام المتكلم ، أو موضوع حديثه فله حينئذ أن يقدمه فى مستهل كلامه ، ويعرضه فى صورة المشبه من غير قصد الى تمييز بينه وبين المشبه به — كما مثلنا لك .

مراتب التشبيه

للتشبيه — باعتبار الأداة والوجه — ذكرا أو تركا — مراتب ثلاث تتفاوت قوة وضعفا

---

(١) طرة كل شىء طرفه يريد آخر الليل ، والأشقر من الخيل الأحمر المشرب بسواد .

فالأولى — وهى عليا المراتب — ما ترك فيها ذكر الوجه والأداة جميعا — كما تقول : « محمد أسد » فهذا التشبيه يفيد من قوة المبالغة مالا يفيده غيره .

وجه ذلك أنه مشتمل على معنى الاتحاد بين الطرفين من وجهين :

(١) — أن ترك الوجه يفيد — بحسب الظاهر (١) عموم جهة الالحاق أى أن المشبه وهو « محمد » فى المثال المذكور يماثل المشبه به وهو « أسد » فى جميع صفاته من القوة ، والمهابة ، والضخامة ، والاقدام، وما الى ذلك من أوصاف الأسد اذ لا ترجيح لبعض الأوصاف على بعض عند ترك التصريح بالوجه ، وهذا يقوى دعوى الاتحاد بين الطرفين — بخلاف ما لو ذكر الوجه لفظا أو تقديرا ، فقيل : « محمد أسد فى الجرأة » ، أو « محمد أسد » على تقدير « فى الجرأة » فانه يفيد أن « محمدا » يماثل الأسد فى صفة الجرأة فقط ، لا فى سائر صفاته ، فتضعف بذلك دعوى الاتحاد .

(٢) — ان ترك الأداة يفيد — بحسب الظاهر (٢) أيضا أن المشبه به فى المثال المذكور محمول على المشبه ، والحمل يقتضى اتحادهما معنى ، أى أن يكون المشبه هو المشبه به عينه ، وليس شيئا سواه ، والا ما صح الحمل فيهما لامتناع حمل أحد المتباينين على الآخر — بخلاف ما لو ذكرت الأداة لفظا أو تقديرا ، فقيل : « محمد كالأسد »، أو « محمد أسد » على تقدير الكاف فانه يفيد أن محمدا غير الأسد وهذا يضعف دعوى الاتحاد بين الطرفين .

فترك الوجه والأداة اذا يفيد معنى الاتحاد بين الطرفين من جهتين

---

(١) انما كانت افادته العموم بحسب الظاهر لأن الوجه فى الحقيقة وصف خاص قصد اشتراك الطرفين فيه كالجرأة مثلا .

(٢) انما كان الحمل بحسب الظاهر أيضا لأنه فى الحقيقة لا حمل وانما هو تشبيه أحدهما بالآخر .

ـ « كما بينا » ـ لهذا كان التشبيه عند تركهما (١) فى المرتبة الأولى .

والثانية ـ وهى الوسطى ما ترك فيها ذكر أحدهما ـ الوجه أو الأداة ـ كما تقول : « محمد كالأسد » ، أو « محمد أسد فى الجرأة » ـ فقد ترك الوجه فى الأول ، والأداة فى الثانى ـ وانما كان التشبيه فى هاتين الصورتين فى المرتبة الوسطى لاشتماله على معنى الاتحاد بين الطرفين من جهة واحدة ، أى من جهة عموم الالحاق كما فى صورة ترك الوجه ؛ أو من جهة حمل أحد الطرفين على الآخر كما فى صورة ترك الأداة .

غير أنه قيل : ان الصورة الثانية ، وهى ما ترك فيها الأداة ، دون الوجه أقوى مبالغة من الصورة التى ترك فيها وجه الشبه ، دون الأداة لظهور حمل أحد الطرفين على الآخـر المقتضى للتماثل التام بينهما ، بخلاف الصـورة الأولى التى ترك فيها الوجه فان عموم التماثل ، مع وجود ما يقتضى التباين ، وهو « الكاف » مثلا يضعف دعوى الاتحاد، مع العلم بأن المتروك يحتمل الخصوص .

والثالثة ـ وهى المرتبة الأخيرة ـ ماذكر فيها الوجه والأداة جميعا ـ عكس الأولى ـ كما تقول : محمد كالأسد فى الجرأة » ، ووجهه كالبدر فى البهاء والضـياء ـ وانما كانت هذه المرتبة دنيا المراتب الثـلاث لخلو التشـبيه فيهـا عن دعـوى الاتحاد التى هى مدار المبالغة فيه .

تنبيـه :

اعلم أن وصف التشبيه بالعلو ، والتوسط ، والانحطاط فرع عن تحققه ، وهو انما يتحقق بالطرفين ـ المشبه والمشبه به ، فلا بد اذا من

(١) انما عبر بالترك فى جانب حذف الوجه والأداة لأن معناه عدم الذكر لفظا وتقديرا ، وهذا هو المراد لأن مدار المبالغة على دعوى الاتحاد ، وهى لا تجامع التقدير فى نظم الكلام .

ذكرهما — أما المشبه به فلأنه الأصل المقيس عليه ، وأما المشبه فلأنه الفرع المقيس — غير أنه يجوز ترك ذكر المشبه لفظا فقط اذا دلت عليه قرينة كأن يكون بينك وبين مخاطبك مذاكرة فى شأن « محمد » مثلا ، فتقول له : وما حال محمد ؟ ، فيقول لك : أسد — على تقدير : هو أسد ، فلا يذكر المشبه لدلالة الكلام السابق عليه ، لكن لابـد من تقديره فى نظم الكلام ، والا كان استعارة لا تشبيها ا هـ .

الاختلاف فى صيغة التشبيه :

اختلف الرأى فى صيغة التشبيه — أهى من قبيـل الحقيقة ، أم من قبيل المجاز ؟ — فالرأى الأول — وهو ما عليه المحققون — أنها من قبيل الحقيقة — ذلك أن كلا من المشبه والمشبه به مستعمل فى معناه الذى وضع له — « فمحمد » فى نحو : « محمد كالبدر » مستعمل فى الذات الانسانية المعروفة — كما أن « البدر » مستعمل فى الكوكب المعروف .

وقيل — هو من قبيل المجاز لأن المعنى المراد من قولنا « محمد كالبدر » : أنه تناهى فى الحسن حتى بلغ مستوى البدر فيه ، وهذا المعنى غير ما يدل عليه التركيب وضعا اذ أن معناه الموضوع له : أن محمدا قريب فى الحسن من البدر ، ولم يبلغ فيه مستواه .

والى هـذا الرأى ذهب ابن الأثير محتجا بأن مضمر الأداة من التشبيه معدود فى الاستعارة عند الكثير ، وهى مجاز باتفاق القوم ، فيجب أن يكون مظهر الأداة من التشـبيه كذلك اذ لا تفرقة بينهما الا من جهة ظهور الأداة ، وظهورها — ان لم يزده قوة ، ودخولا فى المجاز — لم يكن مخرجا له عن سننه .

اختبـــار

(١) بين الفرق بين صيغة التشبيه ، وصيغة التشابه ، وهل العدول عن الأولى الى الثانية جائز أم واجب ؟ ولماذا ؟ وضح ذلك بالمثال .

(٢) اذكر مراتب التشبيه ، ومثل لكل ، مع بيان وجه التفاوت بينها .

(٣) وضح الخلاف فى صيغة التشبيه ، وهل هى من قبيل الحقيقة أو المجاز ؟ بين ما تقول بالمثال .

(٤) من أى قبيل قول الصاحب بن عباد :

متغــايرات قد جمعن وكلهـــا | متشــاكل أشــباحها أرواح
وإذا أردت مصرحـا تفسـيرها | فالراح والمصـــباح والتفاح
لم يعلم الســاقى وقد جمعت له | من أى هذى تمــلأ الأقداح ؟

تمرينات منوعة وجوابها

التمرين الأول

بين أركان التشبيه والغرض منه فيما يأتى

أ ــ كأن فجــج الأرض وهى عريضـــة
على الخائف المطلوب كفـــة حابل (١)

ب ــ ان السلاح جميـــع الناس تحمله
وليس كل ذوات المخـلب الســـبع

الجـــواب

أ ــ المشبه فجاج الأرض مع قيدها ، والمشبه به « كفة الحابل » ، والأداة « كأن » ووجه الشبه عدم القــدرة ، مع الضيق والشـــدة ، والغرض « بيان الحال » .

ب ــ فى البيت تشبيه ضمنى فقد شبه السلاح فى يد الجبان بالمخلب فى الحيوان الذى لا يستطيع الافتراس ، ووجه الشبه عدم الفائدة ، مع وجود آلة العمل ، والغرض بيان امكان المشبه .

(١) كفة الحابل بضم الكاف شبكة الصياد .

التمرين الثانى

تكلم على التشبيه فى قول الشاعر :

العلم فى الصدر مثل الشمس فى الفلك
والعقـل للمـرء مثـل التـاج للملك

الجـواب

فى الشطر الأول : المشبه « العلم فى الصدر » ، وهو مفرد عقلى ، والمشبه به « الشمس فى الفلك » وهو مفرد حسى ، وأداة التشبيه « مثل » ، ووجه الشبه « النفع فى كل » ، والتشبيه مجمل لعدم التصريح بوجه الشبه ، ومرسل للتصريح بالأداة ، والغرض بيان حال المشبه ، أو بيان مقداره ، أو تقريره .

وفى الشطر الثانى : المشبه « العقل للمرء » وهو مفرد عقلى ، والمشبه به « التاج للملك » وهو مفرد حسى ، وأداة الشبه « مثـل » ، ووجه الشبه « الزينة » والتشبيه مجمل ، مرسل كالذى قبله ، والغرض تحسينه ، أو تقريره ، أو بيان مقدار حاله من مظاهر الزينة .

التمرين الثالث

بين وجه الشبه ونوع التشبيه باعتباره فيما يأتى :

(١) لفظ كالسحر ، وخلق كالعطر .

(٢) له صوت كرنين الأوتار .

(٣) التقى كالمصباح يضىء فى الظلام .

(٤) محمد كأبيه شجاعة ، وايمانا ، وكرما .

(٥) له كلام يؤثر فى القلوب كالسحر .

(٦) وما المرء الا كالشـهاب وضـوئه
يوافى تمـام الشـهر ثم يغيب

(٧) مهفهف وجنتـــــــــــاه كالخمـــر لونا وطعما [١]

(٨) طلق شـــــــديد البأس راحته

كالبحـــر فيـــه النفع والضرر[٢]

(٩) هـــذا أبو الهيجـــاء فى الهيجـــاء

كالسيف فى الرونق والمضـــاء[٣]

(١٠)ترى أحجـــاله يصـــعدن فيه

صـــعود البرق فى الغيم الجهام[٤]

(١١)غـــدا والصـــبح تحت الليـــل باد

كطرف أشـــهب ملقى الجلال[٥]

(١٢)كأنك شـــمس والملـــوك كواكب

اذا طلعت لم يبـــد منهن كوكب

(١٣) شبيه البدر فى الحسن وفى بعد المنال

(١٤) كأن انتضاء البـــدر من تحت غيمه

نجـــاء من البأســاء بعـــد وقوع [٦]

---

(١) مهفهف ضامر البطن دقيق الخصر ، والوجنتان ما ارتفع من الخدين .

(٢) طلق الوجه مشرقه ضاحكه « وراحته » يريد يده .

(٣) أبو الهيجاء كنية الممدوح والهيجـــاء الحرب ورونق السيف ماؤه وبريقه .

(٤) للبحترى يصف فرســـا محجلا والأحجال جمع حجل بكسر فسكون وهو بياض فى قوائم الفرس والغيم الجهام السحاب لا ماء فيه شبه هيئة اختلاط بياض الأحجال بسواد القـــوائم بهيئة اختـــلاط البرق بسواد الغيم فهو تشبيه مركب بمركب .

(٥) الطرف الفرس الكريم والأشهب الأبيض يصف عاديا بأنه يبكر فى غدوه فلا ينتظر حتى يتنفس الصبح بل يغدو ويسير والصبح يلوح من وراء الليل كفرس أشـــهب قد ألقى عليه جله وهو ما تلبسه الدابة لتصان به ، شـــبه الظلمة وضوء الصبح مجتمعين بهيئة بياض الفرس وسواد الجل مجتمعين فهو تشبيه مركب بمركب أيضا .

(٦) أراد بالانتضاء الانكشاف والظهور من انتضى السيف من غمده اذا سله وأخرجه والنجاء الخلاص شبه هيئة انتضاء البدر من تحت الغيم بالهيئة الحاصلة من النجاء من البأساء بعد الوقوع فيها ووجه الشـــبه التخلص من حالة الى حالة أفضل فهو تشبيه مركب كذلك .

(١٥)وأرض كأخـلاق الكريم قطعتها
وقد كحل الليل السـماك فأبصرا[١]

(١٦) السفرجل كالبرتقال فى شكله ، وحجمه ، ولونه .

(١٧) أنت كالمصباح فى ضوئه ، وهدايته .

(١٨) النساء حبائل الشيطان .

(١٩) كأن صغرى وكبرى من فقاقعها .
حصباء در على أرض من الذهب[٢]

* * *

---

(١) السماك نجم ، ومعنى ، كحل الليل السماك فأبصر : أن الليل اشتد ظلامه فاشـتد تألق النجم وكأنه أبصر بعد أن كان ضريرا ، شبه الأرض اللينة السهلة بأخلاق الكريم .

(٢) الفقاقيع هى ما يطفو على وجه الماء كالبرد ، مفرده فقاعة على زنة رمانة والحصباء الحصى .

جواب هذا التمرين

الرقم	وجه الشبه	نوع التشبيه
١	التأثير «في المثال الأول» واستطابة النفس «في المثال الثاني»...	تحقيقي في المثال الأول لتحقق وجه الشبه في الطرفين ، تخييلي في الثاني لتخيله في المشبه ، وهو واحد عقلي في الأول والثاني ، ومجمل لعدم التصريح بالوجه ، وقريب لظهوره .
٢	النغم الحسن...	تحقيقي لتحقق الوجه في الطرفين ، وهو واحد حسي ، ومجمل قريب .
٣	الإضاءة في الظلام ...	تخييلي لتخيل معناه في المشبه ، وهو واحد حسي ، مجمل قريب .
٤	الشجاعة ، والإيمان ، والكرم	تحقيقي . متعدد ، عقلي ، مفصل للتصريح بوجه الشبه ، غريب لخفاء الوجه بسبب تعدده .
٥	النفاذ	تخييلي في المشبه ، وهو واحد عقلي ، مجمل قريب
٦	وجود يعقبه فناء ...	تحقيقي ، مركب ، عقلي ، تمثيل لجريانه في الهيئات ، مجمل ، غريب .
٧	اللون والطعم	تحقيقي في اللون ، تخييلي في الطعم ، متعدد حسي ، مفصل غريب .
٨	النفع والضرر	تحقيقي ، متعدد ، عقلي ، مجمل ، غريب .
٩	الرونق والمضاء	تحقيقي ، متعدد ، حسي في الرونق ، عقلي في المضاء مفصل غريب .

الرقم	وجه الشبه	نوع التشبيه
١٠	هيئة اجتماع لونين مختلفين	تحقيق ، مركب حسى ، تمثيــل لجريانه فى الهيئآت ، مجمل ، غريب .
١١	هيئة ظهور بياض فى سواد أكثر منه	تحقيق ، مركب حسى ، تمثيــل لجريانه فى الهيئات ، مجمل ، غريب .
١٢	هيئة اختفاء الصغير بجانب الكبير	تحقيق ، مركب حسى ، تمثيل ، مجمل ، غريب
١٣	الحسن وبعد المنال ...	تحقيق متعدد ، حسى فى الحسن ، عقلى فى بعد المنال ، مفصل ، غريب .
١٤	هيئـة التخلص من حالة إلى أخرى أفضل منها ...	تحقيق عقلى ، تمثيل ، مجمل ، غريب .
١٥	السعة ، والسهولة	تحقيق متعـدد ، حسى فى المشــــبه ، عقلى فى المشبه به ، مجمل ، غريب .
١٦	الشكل ، والحجم ، واللون	تحقيق متعدد ، حسى ، مفصل ، قريب .
١٧	الضوء ، والهداية	تخييل فى الضـوء بالنظر إلى المشـبه ، تحقيق فى الهداية ، متعدد ، حسى فى الضـوء ، عقلى فى الهداية ، منصل غريب .
١٨	الإغواء أو الإغراء ...	تحقيق واحد عقلى ، مجمل قريب .
١٩	هيئة صـور بيض منثورة على رقعة صفراء	تحقيق حسى تمثيل مجمل ، غريب .

تمرين يطلب جوابه على هذا النحو

بين وجه الشبه ونوع التشبيه باعتباره فيما يأتى :

كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجى
نطير غـــرابا ذا قـــوادم جـــون (١)

وكأن أجرام النجـــوم لوامعـــا
درر نثرن على بســـــاط أزرق

فتى عيش فى معروفه بعـــد مـــوته
كما كان بعد الســيل مجراه مرتعا

كأنما الشـــعرات البيض طالعـــة
فى مفرقى أنجم أشرقن فى الظلم (٢)

ما الأرض الا الربيع المســـتنير اذا
جاء الربيع أتاك النـــور والنـــور

فالأرض ياقـــوتة والجـــو لؤلؤة
والنبت فيروزج والمـــاء بلـــور

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر . فلان كالبحر لا يعكره ولوغ الكلاب . انك كالبحر فى مده وجزره ، وكالدهر فى اقبـــاله وادباره . الأمانى حلم اليقظان ، حجتك كفلق الصبح . مرآة الغريبة كالشمس استدارة وصفاء . النار فى أطراف الكبريت كالبنفسج .

وغير تقى يأمر النـــــاس بالتقى
طبيب يداوى النـــاس وهو مريض

---

(١) جمع دجية وهى الظلمة ، وقوادم الطير مقاديم ريشه والجون بضم الجيم جمع جون بفتحها يقع على الأبيض والأسود والمراد هنا الأبيض والمعنى • كأنا وضوء الصبح يسوق الدجى على عجل نطير من الليل غرابا أبيض القوادم •

(٢) المفرق كمقعد ومجلس وســـط الرأس وهو الذى يفرق فيه الشعر •

التمرين الرابع

بين ما فى هذه الأبيات من تشبيه ، مع بيان نوعه :

(١) نشرت الى غـدائرا من شـــعرها
حـذر الكواشـح والعدو الموبق
فـــكأننى وكأنهـــــا وكـأنه
صـبحان باتا تحت ليـــل مطبق (١)

(٢) لدى نرجس غض القطـاف كأنه
اذا ما منحنـاه العيـــون عيون

(٣) اقحـوان معـــــانق لشـــقيق
كثغـور تعض ورد الخـــدود

(٤) لا تحسبوا أن رقصى بينــكم طربا
فالطير يـرقص مذبوحـا من الألم

(٥) من يهن يســـهل الهـوان عليـه
مـا لجـــرح بميت ايـــلام

(٦) اصبر على كيــد الحســـ ـــود فان غيـظك قاتله
كالنـــار تأكل بعضـــها ان لم تجـــد ماتأكله

الجـــواب

(١) شبه هيئة اجتماعه بها وقد انسدل الشعر عليهما بهيئة اجتماع صبحين انضويا تحت حالك ، بجامع هيئة شيء أسود ينطوى على شيئين يخالفانه لونا ، وهو تشبيه تمثيل لجريانه فى الهيئات ، ومجمل لعـدم التصريح بالوجه ، وغريب لخفاء الوجه ، لمـا فيه من الدقة التركيبية .

(٢) شبه النرجس وهو مفرد حسى بالعيون ، وهو مفرد حسى كذلك ، ووجه الشبه جمال المنظر ، وهو مجمل لعدم ذكر الوجه ، وهو من التشبيه المعكوس اذ كان الوضع أن تشبه العيون بالنرجس .

---

(١) أى حالك واضح الحلوك .

(٣) شبه هيئة الأقحوان وهو يعانق الشقيق بهيئة الثغور تعض على الخدود ، ووجه الشبه هيئة شيء ذي بياض ، يخالط شيئا ، يضرب لونه الى الحمرة ، وهو تشبيه تمثيل لجريانه فى الهيئات ؛ ومجمل لعدم التصريح بالوجه ، وغريب لخفاء الوجه — وفى « ورد الخدود » تشبيه مؤكد لاضافة المشبه به الى المشبه .

(٤) شبه هيئة المتألم يضطرب من شدة الألم بهيئة الحيوان الذبيح يرقص لشدة ما يعانيه من آلام الذبح بجامع هيئة المتألم المضطرب وهو تشبيه تمثيل لجريانه فى الهيئات ، ومجمل لعدم التصريح بالوجه ، وغريب لخفاء الوجه ودقته والتشبيه فيه ضمنى لا صريح .

(٥) شبه هيئة من يتغشاه الهوان فيقبله ، ولا يتألم له بهيئة ميت يوخز بالأسنة فلا يحس ألما ، ولا يشكو وجعا ، ووجه الشبه الهيئة المنتزعة من عدم التأثر مما ينبغى التأثر منه وهو تشبيه تمثيل ، ومجمل غريب والتشبيه هنا أيضا ضمنى ، أخذ من مضمون الكلام .

(٦) شبه هيئة الحسود يترك ، فيأكل الغيظ قلبه بهيئة النار تترك من غير وقود ، حتى يأكل بعضها بعضا وهو تشبيه تمثيل ، ومجمل غريب .

تمرين يطلب جوابه

بين وجه الشبه ، ونوع التشبيه باعتباره ، وباعتبار أداته ، والغرض منه فيما يأتى :

ولولا كونكم فى النـــاس كانوا
هــراء كالــكلام بــلا معــان

وان كنت من جنس البرايا وفقتهم
فللمسك نشر ليس يوجد فى العطر

العمر والانســان والدنيــا هم
كالظــل فى الاقبــال والادبار

وكأنما الشـــمس المنيرة دينـــار

م جلتـــه حـــدائد الضراب

وعيـــون من نرجس تتراءى

كعيـــون موصـــولة التســـهيد

العيش نـــوم والمنيـــة يقظـــة

والمـــرء بينهما خيـــال ســـار

قد أقذف العيس فى ليـــل كأنه به

وشيئا من النور أو روضا من العشب

كأن الثريا فى أواخر ليلهـــا

تفتح نور أو لجـــام مفضض

كأن الدمـــوع على خـــدها

بقيـــة طل على جلنـــار (١)

شقائق يحملن النـــدى فـــكأنه

دموع التصابى فى خدود الخرائد(٢)

حبر أبى حفص لعـــاب الليـــل

يســـيل للاخـــوان أى ســـيل

خلقنـــا ســـماء فوقهم بنجـــومها

ســـيوفا ونقعا يقبض الطرف أقتما

وكأنهـــا وكأن حامل كأســـها

اذ قام يجلوها على النـــدماء

شمس الضحى رقصت فنقط وجهها

بـــدر الدجى بكواكب الجوزاء

ونار لو نفخت بهـــا أضـــاءت

ولـــكن أنت تنفخ فى رمـــاد

---

(١) بضم الجيم وفتح اللام المشددة زهر الرمان ·

(٢) الخرائد جمع خريدة وهى البكر لم تمس ، أو اللؤلؤة لم تثقب والمراد الأول ·

العمـــر مثـــل الصيف أو
كالطيف ليس له اقـــامة

* * *

المبحث الرابع فى الحقيقة والمجاز (١)

اعلم ان المقصود الأصلى من علم البيان هو « المجاز » اذ هو الذى يتأتى فيه اختلاف الطرق فى وضوح الدلالة على المعنى المراد ـــ أما الحقيقة فلا يتأتى فيها ذلك لأنها انما وضعت لشىء بعينه لتستعمل فيه ـــ فان كان السامع عالما بالوضع فلا تفاوت . والا فلا يفهم شيئا أصلا لتوقف الفهم على العلم بالوضع وقد تقدم بيان ذلك واضحا فى مبحث الدلالة .

غير أنه لمـا كانت الحقيقة بمثـابة (٢) الأصل للمجاز من حيث ان الاستعمال فى غير ما وضع اللفظ له فرع الاستعمال فيما وضع له جرت العادة بالبحث عن الحقيقة أولا ، واليك بيان :

الحقيقة :

تعريفها ـــ هى ـــ فى اللغة وصف على زنة « فعيل » ـــ اما بمعنى اسم الفاعل ـــ من حق الشىء اذا ثبت ، فهو حقيق أى ثابت قال تعالى : « لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون » أى لقد ثبت القول ـــ واما بمعنى اسم المفعول ـــ من حققت الشىء اذا أثبته فهو حقيق أى مثبت ، ثم نقل هـذا اللفظ فى الاصطلاح من الوصفية « بمعنييها » وجعلت اسما للكلمة المستعملة فيما وضعت له باعتبار أنها ثابتة فى مكانها الأصلى (٣) « على الاعتبار الأول » (٤) أو مثبتـة فى مـكانها

---

(١) قد يقيدان باللغويين لاخراج الحقيقة والمجاز العقليين والأكثر عـدم التقييد لانهما عند الاطلاق لا ينصرفان لغير اللغويين بخلاف الحقيقة والمجاز العقليين فقد اصطلحوا على وجوب تقييدهما بهذا القيد .

(٢) انما قلنا ذلك اشارة الى أنها ليست أصلا للمجاز حقيقة والا كان لكل مجاز حقيقة وليس كذلك فان لفظ « الرحمن » قد استعمل من أول الأمر فى « المنعم » مجازا ولم يسبق له استعمال فى المعنى الحقيقى وهـو «رقيق القلب» فهو اذاً مجاز لم يتفرع عن حقيقة .

(٣) المراد بمكانها الأصلى المعنى الذى وضعت له أولا .

(٤) وهو أنها فى الأصل بمعنى فاعل .

الأصلى « على الاعتبار الثانى » (١) ــ والتاء فيه للدلالة على نقل الكلمة من الوصفية الى الاسمية (٢) واذا يعلم أن :

الحقيقة في الاصــطلاح ــ هى الكلمة المستعملة فيما وضــعت له فى (٣) اصطلاح التخاطب أى فى الاصطلاح الذى وقع به التخاطب بالكلمة المذكورة « كالأسد » اذا استعمل فى الحيوان المفترس فهو حقيقة لاستعماله فيما وضع له فى كافة الاصطلاحات ، « وكالصلاة » اذا استعملها المتكلم بعرف الشرع فى الأركان الخاصة فهى أيضا حقيقة لاستعمالها فيما وضعت له فى اصطلاح أهل الشرع ، « وكالصلاة » أيضا اذا استعملها المتكلم بعرف اللغة فى الدعاء فهى حقيقة لاستعمالها فيما وضعت له فى اصطلاح أرباب اللغة .

واعلم أن فى التعريف قيودا ثلاثة ــ

(١) المستعملة

(٢) فيما وضعت له

(٣) فى اصطلاح التخاطب ــ وقد أتى بها للاحتراز .

---

(١) هو أنها فى الأصل بمعنى مفعول .

(٢) بيان ذلك أن التاء فى أصلها تدل على معنى فرعى هو التأنيث فاذا روعى نقل الوصف الى الأسمية اعتبرت التاء فيه اشــعارا بفرعية الاسمية كما كانت حال الوصفية اشعارا بالتأنيث ، فالتاء الموجودة فيه بعد النقل غيرها قبله .

(٣) الظرف متعلق بقوله : « وضعت » لا « المستعملة » لما يترتب عليه من فساد فى اللفظ والمعنى ــ أما فى اللفظ فلانه يؤدى الى تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى وهو غير جائز عند علماء النحو ــ وأما فى المعنى فلأن اســتعمال الشىء فى الشىء معناه : أن يكون الثانى مدلولا للأول ، فيؤدى ذلك الى أن يكون « اصــطلاح التخاطب » مدلولا للكلمة المستعملة وهو ظاهر البطلان ــ وقد يجاب عن الأول بأن الجار الأول تعلق بالعامل مطلقا والثانى تعلق به مقيدا بالأول ، فيكون التعلق بعاملين لا بعامل واحد لأن المطلق غير المقيد ــ ويجاب عن الثانى بأن « فى » بمعنى « على » أى أن الكلمة مستعملة اســتعمالا جاريا على اصــطلاح التخاطب ــ على أنهم قالوا : ان التعلق « بوضعت » أولى لفعليته فهو أحق بالعمل من الوصف .

أما القيــد الأول فقد احترز به عن الكلمة قبل الاســتعمال . فلا تسمى حقيقة ، ولا مجازا .

وأما القيد الثانى فقد احترز به عن شيئين .

(١) « الغلط اللسانى (١) » وهو ما استعمل فى غير ما وضع له ، من غير تعمد لذلك الاستعمال نحو : « ناولنى هذا الحجر » مشيرا الى كتاب فمثل هذا ليس حقيقة ، بل ولا مجازا لعدم العلاقة بين المعنيين .

(٢) « المجاز » وهو ما استعمل فى غير ما وضع له فى سائر الاصطلاحات « كالأسد » المستعمل فى الرجل الشجاع فى قولك : « على الفرس أسد » .

وأما القيد الثالث فقد احترز به عن الكلمة المستعملة فيما وضعت له فى اصطلاح آخر غير الاصطلاح الذى وقع به التخاطب « كالصلاة » اذا استعملها المتكلم بعرف الشرع فى « الدعاء » فليست بحقيقة لعدم استعمالها فيما وضعت له فى الاصطلاح الذى وقع به التخاطب وهو « الشرع » وان استعملت فيما وضعت له فى اصــطلاح آخر وهو « اللغة » ، « وكالصلاة » اذا استعملها المتكلم بعرف اللغة فى الأركان الخاصة فليست بحقيقة أيضا لعدم اســتعمالها فيما وضــعت له فى اصطلاح أهل اللغة ، وان استعملت فيما وضعت له فى اصــطلاح أهل الشرع — واذا فالمدار فى « الحقيقة » على أن تكون الكلمة مستعملة فيما وضعت له عند أهل الاصطلاح الذى وقع به التخاطب بالكلمة المذكورة — كما بينا —

المجــاز :

تعريفه — هو — فى اللغة — على ما ذهب اليه عبد القاهر —

(١) أما الغلط القلبى فهو حقيقة ان كان الاستعمال فيما وضع له بحســب زعم المتكلم ولو أخطأ فى قصده كمن قال فى الحجر الذى رآه عن بعد : هذا طائر معتقدا أنه حيوان ذو جناح .

مصدر ميمى على زنة مفعل (١) بمعنى الجواز والتعدية من جاز المكان يجوزه اذا تعداه ــ نقل فى الاصطلاح الى الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له باعتبار أنها جائزة ومتعدية مكانها الأصلى ، فيكون المصدر بمعنى اسم الفاعل ، أو باعتبار أنها مجوز بها مكانها الأصلى ، فيكون المصدر بمعنى اسم المفعــول ــ وذهب الخطيب الى أن المجاز ــ فى اللغة ــ مصدر ميمى بمعنى مكان الجواز والتعدية من قولهم : جعلت هذا مجازا الى حاجتى أى طريقا لها فهو من جاز المكان سلكه الى كذا ، لا من جازه اذا تعداه ــ كما هو الرأى الأول ، ثم نقل الى الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له باعتبار أنها طريق الى تصور المعنى المراد منها ــ وهو نوعان ــ مفرد ، ومركب .

المجــاز المفرد :

هو فى الاصطلاح : الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح التخاطب لعلاقة بين المعنى الأول والثانى ، مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الأول .

والعلاقة ــ هى المناسبة الخاصة بين المعنى الأصلى الموضوع له اللفظ ، والمعنى المقصود ــ والقرينة ــ هى الأمر الذى يجعله المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير المعنى الموضوع له ــ مثال ذلك لفظ « الأسد » المستعمل فى الرجل الشجاع فى قولك « فى الحمام أسد »، وكلفظ « الغيث » المستعمل فى النبات فى قولك : « رعت الماشية الغيث » ، و « كالصــلاة » المستعمل عند أهل الشرع فى الدعاء ــ فكل من هذه الألفاظ مجاز مفرد لأنه كلمة مستعملة فى غير المعنى الموضوعة له فى اصطلاح التخاطب ــ والعلاقة بين المعنيين «فى الأول» مشابهة الرجل الشجاع للأسد ، « وفى الثانى » سببية الغيث للنبات ، « وفى الثالث » الكلية والجزئية اذ أن الصلاة كل للدعاء وهو جزء منها ــ والقرينة المانعة من ارادة المعنى الحقيقى قولك فى المثال الأول،

(١) فاصله « مجوز » نقلت حركة الواو الى الساكن قبلها فتحركت الواو بحسب الأصل وانفتح ما قبلها بحسب الآن فقلبت ألفا .

« فى الحمام » اذ الحلول فى الحمام ليس من شأن الحيوان المفترس . والقرينة فى الثانى قولك : « رعت الماشية » اذ أن الغيث لا يرعى . والقرينة فى الثالث حالية وهى كون المستعمل للفظ الصلاة من أهل الشرع .

وفى هذا التعريف قيود خمسة — (١) المستعملة .
(٢) فى غير ما وضعت له . (٣) فى اصطلاح التخاطب .
(٤) لملاحظة علاقة . (٥) مع قرينة مانعة .

أما القيد الأول فقد احترز به عن الكلمة قبل الاستعمال فلا تسمى حقيقة ، ولا مجازا .

وأما القيد الثانى فقد احترز به عن الحقيقة وهى الكلمة المستعملة فيما وضعت له فى كافة الاصطلاحات كالأسد المستعمل فى الحيوان المفترس .

وأما القيد الثالث فقد احترز به عن الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح آخر غير الاصطلاح الذى وقع به التخاطب « كالصلاة » اذا استعملها المتكلم بعرف الشرع فى الأركان الخاصة ، فليست بمجاز لعدم استعمالها فى غير ما وضعت له فى اصطلاح التخاطب وهو « الشرع » ، وان كانت مستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح آخر وهو « اللغة » — « وكالصلاة » أيضا اذا استعملها المتكلم بعرف اللغة فى الدعاء ، فليست بمجاز كذلك لعدم استعمالها فى غير ما وضعت له فى اصطلاح التخاطب وهو اللغة ، وان استعملت فى غير ما وضعت له فى اصطلاح آخر هو « الشرع » — فالمدار فى المجاز حينئذ على أن تكون الكلمة مستعملة فى غير ما وضعت له عند أهل الاصطلاح الذى وقع به التخاطب بالكلمة المنطوق بها .

وأما القيد الرابع فقد احترز به عن الغلط اللسانى (١) ، وهو

(١) أما الغلط فى الاعتقاد فان استعمل اللفظ فى معناه بحسب اعتقاد المتكلم كأن يقول : انظر الى هذا الأسد معتقدا أنه الحيوان المفترس فاذا هو فرس فهو حقيقة لاستعماله فى معناه الأصلى فى اعتقاده وان لم =

ما استعمل فى غير ما وضع له لا لعلاقة ، من غير تعمد لهذا الاستعمال كما اذا أشار متكلم الى حجر ، وأراد أن يقول : خذ هذا الحجر ، فسبق لسانه ، وقال : خذ هذا الفرس ، فمثل هذا ليس مجازا لأنه — وان استعمل فيه اللفظ فى غير ما وضع له — لا علاقة فيه بين المعنيين .

ومن هنا يعلم أنه لابد للمجاز من علاقة (١) ، وهى — كما قلنا — مناسبة خاصة بين المعنى الحقيقى ، والمعنى المجازى كالمشابهة فى مجاز الاستعارة فى نحو قولك : رأيت سحبان يخطب تريد رجلا فصيحا — وكالسببية والمسببية فى المجاز المرسل فى نحو قولك : رعت الماشية الغيث تريد النبات — غير أنه لا يكفى فى المجاز مجرد وجود العلاقة بين المعنيين ، بل لابد أيضا من اعتبارها (٢) وملاحظتها .

وانما اشترط فى المجاز ملاحظة العلاقة بين المعنيين ، ولم يكتف بالقرينة الدالة على المراد لأن اطلاق اللفظ على المعنى المجازى بعد اطلاقه على المعنى الحقيقى تشريك بين المعنيين فى اللفظ ، وتفريع لأحد الاطلاقين على الآخر ، وذلك يستدعى وجها لتخصيص المعنى الفرعى « وهو المجازى » بالتشريك والتفريع ، دون سائر المعانى ، وذلك الوجه هو العلاقة ، والا فلا حكمة فى تخصيص بعض المعانى ، دون غيره . فيكون تحكما .

يصب — وان استعمل اللفظ فى غير معناه الأصلى بحسب اعتقاد كأن يقول انظر الى هذا الأسد مشيرا الى حجر معتقدا أنه رجل شجاع كان مجازا لأنه مستعمل فى غير معناه لعلاقة وان لم يصب فى ثبوت العلاقة فى المشار اليه وهذا هو أصح الأقوال فى هذه المسألة اذ المعول عليه الاعتقاد

(١) سميت علاقة لأنه بسببها يتعلق المعنى الثانى بالأول ،ويرتبط به ، فينتقل الذهن حينئذ من المعنى الأول الى الثانى .

(٢) المعتبر فى العلاقة نوعها لاشخصها ولهذا جاز انشاء المجاز فى كلام المولدين فاذا استعمل العرب علاقة خاصة بين معنيين جاز لنا أن نستعمل للربط بينهما لفظا آخر غير ما استعملوه ولا نقتصر على خصوص اللفظ الذى اعتبروه ، ولو كان المعتبر شخص العلاقة لتوقف استعمال اللفظ فى معناه المجازى على النقل عن العرب وليس كذلك .

وأما القيد الخامس فقد احترز به عن الكناية (١) بناء على القول بأنها واسطة — لا هى حقيقة ولا مجاز (٢) فهى اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له ، مع قرينة ، غير مانعة من ارادة المعنى الحقيقى بحيث تجوز ارادته مع المعنى الكنائى (٣) — وسيأتى لها مبحث خاص .

هذا — وقد علم مما تقدم فى بيان معنى الحقيقة والمجاز : أن الوضع مأخوذ جزءا فى تعريفهما ، فوجب التعرض حينئذ لبيان معنى .

الوضـــع :

وهو تعيين اللفظ (٤) ليدل على معناه بنفسه — بمعنى أن يكون العلم بتعيين اللفظ للمعنى كافيا فى فهمه منه عند الاطلاق — وبالقيد المذكور . وهو قوله : « بنفسه » يخرج شيئان .

١ — المجاز بالنسبة لمعناه المجـــازى .

٢ — الكناية على القول بأنها غير حقيقة .

وانما خرجا لأن كلا من لفظى المجاز والكناية انما يدل على المعنى المجازى ، أو الكنائى بالقرينة ، لا بنفسه كدلالة « الأسد » على الرجل الشجاع بقرينة الحمام مثلا فى قولك : « فى الحمام أسد » — وكدلالة

---

(١) أى عند من لا يجيز الجمع بين الحقيقة والمجاز وهم البيانيون أما من أجازه كالأصوليين فلا يشـــترط فى القرينة أن تكون مانعـة عن ارادة المعنى الحقيقى .

(٢) أما أنها ليست حقيقة فلأن الحقيقة — كما ســـبق — اللفظ المستعمل فيما وضع له ، والكناية ليست كذلك ، وأما أنها ليست مجازا فلأنه اشترط فيه القرينة المانعة عن ارادة الحقيقة والكناية أيضا ليست كذلك .

(٣) المراد بجواز ارادة المعنى الحقيقى الا ينصب المتكلم قرينة على انتفائه ، وليس المراد أن يوجد المعنى الحقيقى معها دائمـا فانك اذا قلت مثلا : فلان طويل النجاد كناية عن طول قامته صح ذلك ولو لم يكن له نجـاد اللهم الا اذا قصد جعـل علم المتكلم بأن لانجاد له قرينة على عدم ارادة المعنى الحقيقى فانه حينئذ يكون مجازا لا كناية .

(٤) أى ولو بالقوة لتدخل الضمائر المستترة .

« كثرة الرماد » على الكرم بقرينة المدح فى مثل قولك : « محمد كثير الرماد » — غير أن القرينة فى المجاز مانعة — على ما سيأتى — ولولا القرينة فيهما لكان المتبادر الى الفهم هو المعنى الحقيقى .

أما المشترك وهو ما وضع لمعنيين، أو أكثر وضعا متعددا فلا يخرج بالقيد المذكور اذ قد عين للدلالة على كل من معنييه ، أو معانيه بنفسه لفهم ذلك منه بدون قرينة كما فى لفظ « القرء » فقد عين « تارة » للدلالة على الطهر بنفسه ، وعين « أخرى » للدلالة على الحيض بنفسه كذلك ، فهو موضوع لكل منهما على استقلال — وعدم فهم أحد المعنيين منه على التعيين لعارض الاشتراك لا ينافى ذلك ، كما لا يضيره احتياجه الى القرينة — والحالة هذه — لأن القرينة انما هى لتعيين المراد من المعنيين المدلولين للفظ ، لا لوجود أصل الدلالة على المراد — ومثله لفظ « العين » الموضوع لجملة معان ا هـ .

القول بدلالة اللفظ لذاته :

لعلم أن ما ذكر من أن دلالة اللفظ على المعنى انما تكون بالوضع والتعيين هو ما عليه المحققون — وكون الواضع هو الله « سبحانه » بطريق الوحى ، أو الواضع هو البشر بحث ليس هنا محله .

وذهب بعضهم (١) الى أن دلالة اللفظ على معناه لا تحتاج الى وضع وتعيين ، بل هو أمر ذاتى — بمعنى أن بين اللفظ والمعنى علاقة ذاتية طبيعية ربطت بينهما ، واقتضت دلالة اللفظ على معناه فكل من سمع اللفظ فهم المعنى بهذه العلاقة الذاتية — وحجة صاحب هذا الرأى أمران :

(١) — وجود العلاقة الذاتية بين كثير من الألفاظ ومعانيها — فلفظ «العواء» بالضم انما دل على صوت الذئب لما بين الدال والمدلول

(١) هو عباد بن سليمان الصيمرى من المعتزلة .

من علاقة ذاتية هي التوافق في الصوت والحروف — ومثله « المواء » بضم الميم لصوت القط ، والقهقهة لصوت الضاحك — الى غير ذلك مما بين الدال والمدلول توافق .

(٢) — أنه لولا وجود هذه العلاقة بينهما لكان اختيار لفظ دون آخر ترجيحا بلا مرجح — وقد رد هذا القول من وجوه :

الأول — لو أن اللفظ يطلب المعنى لعلاقة ذاتية بينهما لزم أن يفهم الانسان معنى اللفظ في أية لغة من اللغات ، بدون حاجة الى تعلم متى رجع الى ما بينهما من عـــلاقة — والواقع ليس كذلك — بل لما اختلفت اللغات في معنى اللفظ الواحد باختلاف الأمم لأن اللفظ دال بذاته ، وما بالذات لا يختلف باختلاف الغير واللازم باطل .

الثاني — لو أن اللفظ دال بذاته على المعنى لامتنع أن يدل بواسطة القرينة على المعنى المجازي ، دون الحقيقي كما في « الأسد » المستعمل في الرجل الشجاع بقرينة الحمام مثلا — ولامتنع أيضا أن ينقل اللفظ من معنى الى آخر بحيث لايفهم منه الا المعنى الثـــانى « كالصلاة » المنقولة من معنى الدعاء الى الأركان الخاصة ، وكالدابة المنقولة من كل ما يدب على الأرض الى ذوات الأربع لأن اللفظ فيما ذكرنا دال بذاته على المعنى الأول ، وما بالذات لايزول بالغير واللازم باطل .

الثالث — لو كانت المناسبة الذاتية دليلا على المعنى فيما بينهما ذلك التوافق في الصوت والحرف كالذى مثل به هذا القائل من العواء والمواء ، والقهقهة فكيف تنهض دليلا فيما لاتوافق بينهما ، مع ما نعلمه من خلو غالب الألفاظ من هذا التوافق ؟

الرابع — ماذا يقول صاحب هذا الرأى فيما هو مشاهد من دلالة كثير من الألفاظ على معانيها ، وعلى أضداد هذه المعانى فأى أثر للمناسبة الذاتية هنا بين اللفظ ، وضد معناه ؟

الخامس — هلا كفى أن يكون مجرد عروض اللفظ ، دون غيره للخاطر مرجحا ، ودافعا الى اختياره ؟

وقيل [1] فى معنى «دلالة اللفظ» لذاته : ان للحروف فى أنفسها خواص ، وصفات ، وان لهيئات تركيبها أيضا خواص وصفات تقتضى ألا يهمل أمرها عند وضع اللفظ للمعنى — بأن يراعى التناسب بينهما أداء لحكمة اتصاف الحروف ، أو هيئاتها بتلك الخواص .

فالأول «كالفصم» بالفاء التى هى حرف رخو فانه وضع لكسر الشىء من غير أن يبين ، و « كالقصم » بالقاف التى هى حرف شديد فانه وضع لكسر الشىء حتى يبين — ولا شك أن كسر الشىء مع البينونة أشد وأقوى من الكسر بلا بينونة .

والثانى « كالفعلان » و « الفعلى » بالتحريك فيهما فانهما وضعا لما فيه حركة واضطراب كالجولان والغليان ، وكالحيدى والجمزى وصفين للحمار السريع هكذا قيل .

غير أن اعتبار التناسب بين اللفظ والمعنى بحسب خواص الحروف أو هيئات تركيبها — كما قيل — انما يظهر فى بعض الكلمات كالمذكورة سابقا — أما اعتباره فى جميع الكلمات من لغة واحدة — فضلا عن جميع اللغات — فمتعذر أيما تعذر فلعل تلك الألفاظ المذكورة ، وما شاكلها وضعت لمعانيها اتفاقا ، بدون مراعاة التناسب بينهما .

تنبيـه :

يتسمى كل من الحقيقة والمجاز بأسماء تختلف باختلاف الواضع « بالنسبة للحقيقة » ، وباختلاف الاصطلاح « بالنظر الى المجاز » .

ففى الحقيقة — ان كان الواضع لها من أرباب اللغة الفصحاء سميت « حقيقة لغوية » كلفظ « الأسد » المستعمل فى المعنى الذى وضعه له أهل اللغة ، وهو الحيوان المفترس .

---

(١) أريد بهذا القول تأويل قولهم « ان دلالة اللفظ بذاته » بحمله على غير ظاهره ولكنه مع ذلك لا يستقيم لعدم اطراده كما هو ظاهر .

وان كان الواضع لها من أهل الشرع سميت « حقيقة شرعية » كلفظ الصلاة المستعمل فى المعنى الذى وضعه له أهل اللغة الشرعيون وهو الأفعال والأقوال الخاصة .

وان كان الواضع لها طائفة خاصة كالنحاة مثلا سميت « حقيقة اصطلاحية » ، « أو عرفية خاصة » كالفاعل المستعمل فى المعنى الذى وضعه له علماء النحو ، واصطلحوا عليه ، وهو : الاسم المرفوع بعد فعل مبنى للمعلوم أو شبهه .

وان كان الواضع لها غير طائفة بعينها سميت « حقيقة عرفية عامة » كلفظ « الدابة » المستعمل فى المعنى الذى تواضع عليه النـاس ، وتعارفوه ، وهو ذات الأربع من الدواب كالفرس والحمار .

وفى المجاز ــ ان كان المستعمل له من أهل اصطلاح اللغة سمى « مجازا لغويا » « كالأسد » المستعمل فى الرجل الشجاع .

وان كان المستعمل له من أهل الشرع سمى « مجازا شرعيا » كالصلاة اذا استعملها الشرعيون فى معنى الدعاء .

وان كان المستعمل له طائفة خاصة سمى « مجازا اصطلاحيا » ، أو عرفيا خاصـا ، « كالفاعل » اذا اسـتعمله النحـاة فيمن وقع منه الفعل .

وان كان المستعمل له غير طائفة بعينها سمى « مجازا عرفيا عاما » كلفظ « دابة » اذا استعمله العرف العام فى الانسان المتبذل الحقير .

تقسيم المجاز المفرد

قلنا فيما سبق ان المجاز لا بد له من علاقة ، وهى ــ كمـا قلنا غير مرة ــ المناسبة الخاصة بين المعنيين ــ الحقيقى والمجازى ــ ، وهو باعتبار هذه العلاقة ينقسم الى قسمين ــ اسـتعارة ، ومجاز مرسل .

فان كانت العلاقة بين المعنيين المشـابهة سمى «استعارة» كلفظ

«الأسد» المستعار للرجل الجرىء كقولنا فيما تقدم : «فى الحمام أسد» فان العلاقة بين الأسد والجرىء مشابهة الرجل للأسد فى الاقدام .

وان كانت العلاقة بين المعنيين غير المشابهة سمى اللفظ « مجازا مرسلا » كلفظ « الغيث » المستعمل فى النبات كقولنا فيما سبق : « رعت الماشية الغيث » فان العلاقة بين الغيث والنبات السببية اذ أن الغيث سبب فى النبات ـ واليك بيان كل :

الاستعارة[1]

هى الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة ، مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الموضوعة له [2] كما فى قول زهير :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف
له لبد أظفاره لم تقلم [3]

يريد : أنا عند أسد أى رجل مقدام بطل .

وطريقة اجرائها : ـ أن يقال فى هذا المثال وأشباهه : شبه الرجل الجرىء بالأسد فى الجرأة والاقدام ، ثم تنوسى التشبيه ، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، وداخل فى جنسه ، ثم استعير لفظ المشبه به ، وهو « الأسد » للمشبه ، وأطلق عليه باعتباره أحد أفراد

(١) المراد الاستعارة التصريحية وهى ـ على ما سيأتى ـ ما صرح فيها بذكر المشبه به ، دون المشبه .

(٢) هذا التعريف بالمعنى الاسمى وهو المشهور وقد تطلق الاستعارة بالمعنى المصدرى وهو فعل المتكلم ، فيقال : هى استعمال الكلمة فى غير ما وضعت له الخ ومن هنا صح الاشتقاق فيقال : اللفظ مستعار ، والمشبه به مستعار منه ، والمشبه مستعار له ، والمتكلم مستعير .

(٣) شاكى السلاح تامه ومقذف بصيغة اسم المفعول أى المقذوف باللحم أو المقذوف به فى المعارك ، واللبد على زنة عنب الشعر الكثيف المجتمع على نصفه الأعلى .

الأسد (١) : وهكذا يقال فى كل استعارة ــ وكالمثال المذكور قوله تعالى : « اهـدنا الصراط المسـتقيم » أى الدين الحق ــ استعير الصراط المستقيم للدين الحق ، بعد اجراء التشبيه فيهما على نحـو ما تقدم فى المثال الذى قبله ووجه الشبه أن كلا وسيلة الى المطلوب ــ والاستعارة فى المثالين تحقيقية ، وهى ما كان المستعار له فيها محققا حسا كما فى المثال الأول ، أو عقلا كما فى المثال الثانى .

أركان الاستعارة :

هى ــ كما يؤخذ من التعريف ثلاثة ــ « المستعار منه » ، وهو ذات المشبه به « كالحيوان المفترس » فى المثال المتقدم لأن اللفظ الموضوع له هو « أسد » أخذ منه ، وأعطى لغيره ، فهو كالانسان يستعار ثوبه ، ويعطى لغيره ــ « والمستعار له » ، وهو ذات المشبه كالرجل الجرىء لأن اللفظ الذى لغيره أعطى له ، فهو كالانسـان يستعار له الثوب من صاحبه ، ويلبس اياه ــ « والمستعار » وهو لفظ « أسد » لأنه أتى به من صاحبه ، واستعير لغيره كاللباس المستعار من صاحبه للابسه ــ وثلاثتها هى أركان الاستعارة(٢) .

مالا بد منه لتحقيقها :

يتبين مما تقدم فى طريقة اجرائها أن لابد لتحقيقهـا من أمور أربعـة :

(١) ــ أن يتناسى التشبيه ، ويجعل كأن لم يكن ، ويدعى حينئذ أن المشبه فرد من أفراد المشبه به مبالغة فى اتصاف المشبه بوجه الشبه ــ غير أن التشبيه الذى يجب تناسيه فيها هو الذى بنيت عليه الاستعارة

(١) ويقدر أن الأسد موضوع لفردين احدهما متعارف وهو الحيوان المعروف والآخر غير متعارف وهو الرجل الجرىء .

(٢) من هـذا البيان يعلم أن التشـبيه انما يكون فى المعانى ، واما الاستعارة ففى الألفاظ .

واذا فلا مانع من أن تقول : « رأيت أسـدا يتكلم مثل الفيـل فى الضخامة » ــ فالذى بنيت عليه الاستعارة هو تشبيه الرجل الجرىء بالأسد فى الجرأة ، وهذا هو الذى يجب تناسـيه فيها ، فتشبيهه بعد ذلك بالفيل لا يضر بالاستعارة لعدم بنائها عليه .

(٢) ــ ألا يجمع فيها بين الطرفين أصلا ، أو يجمع بينهما على وجه لا يدل على التشبيه ، فى غير صور التجريد .

فمثال الأول قولك : « لقيت بحرا يعظ الناس » ، وقولك : « أظفار المنية نشبت بفلان » ــ ففى الأول : شبه الواعظ بالبحر فى الافاضة ــ على ما تقدم فى طريقة اجرائها ، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه ــ فالمذكور هو المشبه به فقط وهو « البحر » ــ وفى الثانى : شبهت المنية بالأسد فى الاغتيال ، ثم استعير تقديرا لفظ الأسد للمنية ، ثم حذف ورمز له بشىء من خواصه، وهو « الأظفار » ــ على ما سيأتى بيانه بعد ــ فالمذكور هو المشبه لا غير .

ومثال الثانى : وهو ما جمع فيه بين الطرفين على وجه لا ينبىء عن التشبيه قول الشاعر :

لا تعجبـوا من بلى غـلالته
قـد زر أزراره على القمـر (١)

فلفظ « القمر » فى الشطر الثانى من البيت استعارة لأنه مستعار من معناه الحقيقى للانسان الجميل ، بعد اجراء التشبيه بينهما ــ وقد جمع فيها بين الطرفين ــ المشبه ، وهو الضمير فى « غلالته » ، أو فى « أزراره » والمشبه به وهو « القمر » ، ولكن على وجه لايدل على التشبيه لأن سياق الكلام انما هو لاثبات شىء واقع على القمر وهو زر الأزرار ، لا لاثبات التشبيه اذ هو مكنون فى الضمير ، لا يدرك

(١) البلى من بلى الثوب اذا فسد والغلالة ثوب قصير ضيق الكمين كالقميص يلبس تحت الثوب وزر القميص عليه شد أزراره وبهذا يعلم أن تعدية «زر» الى الازرار فى البيت فيه ضرب من التسامح ٠

الا بشيء من التأمل — ومثله قولهم : « سيف على فى يد أسد » فقد جمع فيه بين الطرفين على وجه لا ينبيء عن التشبيه للسبب المتقدم وهو أن الكلام مسوق لاثبات شيء واقع على الأسد وهو كون السيف فى يده ، لا لاثبات التشبيه .

فاذا جمع بين الطرفين على وجه ينبيء عن التشبيه ، ويدل عليه — بألا يصح المعنى الا بمراعاة التشبيه كان الكلام تشبيها لا استعارة — وذلك اذا كان الكلام مسوقا لاثبات التشبيه ، لا لاثبات شيء آخر كما تقدم — ويكون ذلك اذا كان المشبه به جاريا على المشبه كأن يكون المشبه به خبرا (1) عن المشبه ، أو فى حكم الخبر عنه بأن يقع حالا منه ، أو صفة له — فمثال وقوعه خبرا عن المشبه قولك : « خالد ابن الوليد أسد » ، ومثال ما فى حكمه قولك : « كر خالد أسدا » ، « ولجأت الى رجل أسد » — ففى هذه المثل جمع بين الطرفين على وجه ينبيء عن التشبيه لأن المعنى لا يصح الا بمراعاة التشبيه اذ أن سياق الكلام ظاهرا انما هو لاثبات معنى الأسدية لخالد ، وهو ممتنع على الحقيقة ، فيحمل على أنه لاثبات شبه من الأسد لخالد ، ويكون الاتيان « بالأسد » لاثبات هذا الشبه — ومعنى هذا التعليل واضحا : أن جريان لفظ « أسد » على « خالد » يقتضى اتحادهما فى المعنى ليصح الحمل فى المثال الأول ، وليصح الاتصاف فى المثالين الآخرين ، واتحادهما ممتنع لتباين المفهومين ، فتعين الحمل على التشبيه بتقدير أداته ، وكأنك قلت : خالد بن الوليد كأسد ، وكر خالد كأسد ، ولجأت الى رجل كأسد .

(٣) — ألا يذكر وجه الشبه ، ولا أداته لا لفظا ، ولا تقديرا ، فان ذكرا كما تقول : رأيت كأبى العلاء فى شعره أو ذكر أحدهما

(١) أى أصلا أو حالا فالأول كما فى لجين الماء فان أصله « لجين » فقدم المشبه به على المشبه ثم أضيف اليه والثانى كما فى قولهم : محمد أسد .

كما تقول : رأيت كأبى العلاء ، أو رأيت أبا العلاء فى شعره ، كان الكلام تشبيها لا استعارة .

(٤) ـ أن يكون المشبه به كليا ـ حقيقة أو تأويلا حتى يتأتى ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به ، واعتباره فردا من أفراده .

فالكلى الحقيقى كاسم الجنس فى مثل « الأسد » فان معناه كلى يصـدق على كثيرين ، فيصبح حينئـذ جعله استعارة للرجل الجرىء باعتباره أحد أفراد الأسد ادعاء كما مثلنا .

والكلى التأويلى كعلم الشخص الذى اشتهر بوصف بحيث اذا أطلق ذلك العلم فهم منه ذلك الوصف ، وصار العلم كأنه موضوع للذات الموصوفة بذلك الوصف (كحاتم) علما على الطائى المعروف[1] فانه اشتهر بالجود ، وذاع صيته فيه حتى صار اذا أطلق لفظ « حاتم » فهم منه معنى الجود فاذا شبه شخص بحاتم فى الجود وجب أن يتأول فى حاتم ، فيجعل كأنه موضوع لذى الجود مطلقا ، وهو ـ كما ترى ـ معنى كلى يشمل حاتما الطائى ، وغيره من أجاويد الناس ، فيصبح حينئذ أن يجعل لفظ « حاتم » استعارة لأية ذات كريمة باعتبارها فردا من أفراد حاتم[2] ادعاء ، فيقال مثـلا : « رأيت اليوم حاتما يعطف على البائسين » ، ويراد « محمد الكريم » مثلا ـ والقرينة هنا حالية هى استحالة وجود شخص حاتم الطائى لانقراضه ـ وهكذا كل علم شخص اشتهر بنوع من الوصف صح جعله « استعارة » بهذا التأويل المتقدم كمادر[3] « المشتهر بالبخل » ، وقس[4] المشتهر بالفصاحة ،

---

(١) هو عبد الله بن سعد المضروب به المثل فى الجود والكرم .

(٢) هذا التأويل انما يكون بعد التشبيه ، فلا يقال اذا كان المشبه فردا من أفراد المشبه به فكيف يصح التشبيه حينئذ ؟

(٣) هو رجل من بنى هلال بن عامر بن صعصعة وهو المضروب به المثل فى البخل : قيل : سمى مادرا لأنه سقى ابلا له من حوض فلما رويت الابل بقى فى أسفل الحوض بقية ماء فسلح فيه ومدر الماء به أى خلطه به مخافة أن يستقى من حوضه أحد .

(٤) هو قس بن ساعدة الايادى أحد خطباء العرب الأعلام فى العصر الجاهلى .

وباقل (١) الذى اشتهر بالعى والفهاهة — ومن هنا يعلم أن :

الاستعارة لا تصح فى علم الشخص

ذلك : أن معناه جزئى لتشخصه ، وتعينه خارجا ، فتصوره يمنع من وقوع الاشتراك فيه — فلفظ « محمد » مثلا لا يصح جعله استعارة لشخص آخر بينه وبين محمد مشابهة فى شىء اذ هى تقتضى ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به باعتباره أحد أفراده — كما عرفت — وهذا يقتضى عموم المشبه به ، و « محمد » المذكور لا عموم فيه اذ لا يشمل غير مسماه الذى وضع له — اللهم الا اذا عرف بوصف ، واشتهر به كما سبق فى « حاتم » فانه حينئذ يصح جعله كليا بالتأويل المتقدم باعتبار هذا الوصف (٢) .

فصل فى نحو خالد أسد

اختلف الرأى فى نحو قولهم : « خالد أسد » ، « وكر خالد أسدا » ، « وأعجبت برجل أسد » من كل لفظ استعمل فيما وضع له .

فقال الخطيب : انه تشبيه بليغ ، لا استعارة لأن الاستعارة عنده: لفظ تضمن تشبيه معناه المراد بما وضع له كما فى نحو : « رأيت أسدا مدرعا أى لابسا درعا فان لفظ أسد » أفاد تشبيه معناه المراد منه ، وهو « الرجل الجرىء » بالمعنى الموضوع له اللفظ ، وهو « الحيوان

---

(١) هو رجل من اياد كان شديد العى فى النطق حتى كان مضرب المثل فيه روى أنه اشترى ظبيا باحد عشر درهما : فقيل له بكم اشتريته؟ ففتح كفيه ، وفرق بين أصابعه وأخرج لسانه ليشير بذلك الى العدد المذكور فانفلت الظبى منه فضرب به المثل فى الفهاهة .

(٢) تخصيصهم الاستعارة بالذكر فى عدم صلاحيتها فى علم الشخص يفهم منه أن المجاز المرسل يصح اجراؤه فى العلم المذكور ، وانه لا مانع من كون المجاز المرسل علما لجوازا أن يكون للعلم لازم ولو غير مشهور يستعمل فيه لفظ العلم كما اذا أطلق « قيار » علم فرس على « زيد » مثلا مرادا منه لازمه وهو شدة العدو .

المفترس » ــ فلو أن لفظ « أسد » من نحو قولهم : « خالد أسد » استعارة لتضمن تشبيه الشيء بنفسه لأن المعنى المستعمل فيه اللفظ عين المعنى الموضوع له (١) ــ وتشبيه الشيء بنفسه محال ــ ومما يدل على أنه تشبيه بليغ ، لا استعارة ايقاع لفظ « أسد » على « خالد » أي حمله عليه كما فى المثال الأول ، أو وصفه به كما فى المثالين الآخرين ، وهــذا يقتضى اتحاد المحمــول والمحمول عليــه ، أو اتحاد الصــفة والموصوف فى المعنى ، واتحادهما باطل لمــا ذكرنا ــ سابقا ــ اذ لا يمكن أن تنقلب حقيقة الانسان الى حيوان مفترس ، أو العكس ؛ فوجب المصير حينئذ الى التشبيه بحذف أداته قصدا الى المبالغة .

وقال السعد التفتازاني : ان نحو ما ذكر من الأمثلة من قبيل الاستعارة ، لا من قبيل التشبيه مدعيا أن لفظ « أسد » مستعمل فى معنى « الجرىء » ، بعد اجراء التشبيه بينه وبين الأسد ، لا كما قال الخطيب ــ ودليل استعماله فيه حمله على « خالد » الذى هو فرد من أفراد « الجرىء » ، أو وصفه به ، والحمل أو الوصف ، ــ كما قلنا ــ يقتضى اتحاد الحقيقتين ، ولا يتم هذا الاتحاد الا اذا كان لفظ « أســد » مستعملا فى معنى « الجرىء » ، وحينئذ يكون استعارة لاستعماله فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين الجرىء والأسد كما فى قولك : رأيت أسدا شاهرا سيفا (٢) ــ وليس فى هذا جمع بين طرفى التشبيه لأن « خالدا » فى نحو « خالد أسد » ليس هو المشبه ، بل المشبه المعنى الكلى لخالد ، وهو « الجرىء » ، ولم يذكر لفظه فى الكلام .

ومما يؤيد استعمال لفظ « أسد » فى معنى « الجرىء » ، لا فى المعنى الحقيقى ما ورد من تعلق الجار والمجرور بالمشبه به فى مثل هذه

---

(١) من حيث ان الاستعارة تقتضى ادعاء دخول المشــبه فى جنس المشبه به .

(٢) يلاحظ أن هذا الاستلال هو عين ما استدلوا به على انه تشبيه بليغ ، ولكن لكل وجها فى تدليله كما تراه .

المواضع ـ قال عمران بن حطان يخاطب الحجاج بن يوسف الثقفى :

أسد على وفى الحـروب نعـــامة
فتحـاء تنفر من صــــفير الصافر (١)

أى أنت مجترىء على ، وفى الحروب جبـان رعديد ـ فقد استعمل لفظ « أسد » فى معنى المجترىء ـ كما استعمل لفظ «نعامة» فى معنى « الجبان » اذ النعامة من أجبن الحيوانات ـ وقال أبو العلاء المعرى فى مرثية له :

والطيـــر أغـربة عليه بأسرها
فتح السراة وســاكنات لصاف (٢)

فليس المراد « بالأغربة » الطيور المعروفة اذ لا معنى له ، بل المراد : والطير باكية عليه ـ فاستعمل لفظ « أغربة » فى معنى «باكية» اذ يزعمون أن الغراب يعلم بالموت ، ومن لازم ذلك التحزن والبكاء ـ فالجار مع مجروره فى كل ما ذكرنا انما تعلق بهذه الألفاظ بعد تأولها بالمشتق ـ كما رأيت ـ ولو كانت مستعملة فى معناها الحقيقى ـ كما ذهب اليه الخطيب ـ ما صح تعلقه بها لامتناع تعلقه بالجوامد ـ لهذا كانت هذه الألفاظ الواردة مستعملة فى هذه المعانى المذكورة ، لا فى المعنى الموضوع له ، فهى اذا من أنواع المجاز بالاستعارة .

---

(١) « الفتحاء » بالحاء المهملة المسترخية الجناحين عند النزول والمراد بقوله تنفر من صفير الصافر انها تنزعج من مجرد الصدا ـ وبعد هذا البيت :

هلا برزت الى غزالة فى الوغى   بل كان قلبك فى جناحى طائر

وغزالة اسم امرأة كان يضرب بها المثل فى الشجاعة ، وقد حدث أنها هجمت على الكوفة ليلا فى ثلاثين فارسا وكان الحجاج بالكوفة على رأس ثلاثين ألف مقاتل فخرج موليا ، فصلت المرأة صلاة الصبح فيهـا وقرأت ـ على ما قيل ـ فى تلك الصلاة سورة البقرة .

(٢) الفتح بضم الفاء وسكون التاء جمع فتحاء من الفتح وهو اللين ، والسراة بفتح السين جبال باليمن ، ولصاف بفتح اللام اسم جبل لطىء وكلاهما مأوى للطير .

والاستدلال بأن لفظ « أسد » محمول على « خالد » ، ووصف له ، وهذا يقتضى اتحاد الحقيقتين ، ومعلوم أن الانســان لا ينقلب أسدا وأن الأسد لا ينقلب انسانا ، فوجب المصير الى التشبيه — انما يتم لو كان لفظ « أسد » مستعملا فى معناه الحقيقى ، وليس كذلك ؛ بل مستعمل فى معنى « الجرىء » للأدلة التى أوردناها — فحمله حينئذ على « خالد » ، أو وصفه به ، باعتباره أحد أفراد « الجرىء » صحيح لا ضير فيه لاتحاد الحقيقتين .

وقد يجاب ردا على السعد : بأن الاستعارة لا يجمع فيها بين طرفى التشبيه ، وواضح أن فى مثل قولنا « خالد أسد » جمعا بين الطرفين — وقولهم — : ان « خالد » فى المثال المذكور ليس مشبها ، وانما المشبه الرجل الجرىء — تمحل لا معنى له اذ أن « خالد » لم يلاحظ باعتبار ذاته ، بل باعتبار اتصافه بالجرأة ، وهو بهذا الاعتبار — مشبه قطعا — ولا دليل لهم فيما أوردوه من نحو : « أسد على » فان تعلق الجار « بالأسد » لا باعتبار ذاته ، بل باعتبار ما لزمه من وصف الجرأة ويكفى هذا فى صحة التعلق — ويحتمل أن يكون الجار متعلقا بأداة التشبيه المفهومة من التركيب فى كل من البيتين ، لما فيها من معنى الفعل ، والمعنى : أنت تشبه الأسد بالنسبة الى ، وحذف ما تعلق به الجار شائع .

وهناك رأى قد يكون قاطعا فى المسألة — هو أن الغرض من قولنا « خالد أسد » ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به — بخلاف نحو قولنا : «رأيت أسدا فى حمام» فان الغرض منه اثبات حكم للمشبه به هو كونه مرئيا فى حمام ، وكأن ادعاء دخول المشبه فى جنسه أمر مقطوع به ، مفروغ منه بدليل . حذف المشبه من التركيب — كذلك المشبه به فى الصورة الأولى ذكر على وجه يصح فيه تقدير أداة التشبيه لفظا — بخلاف المشبه به فى الصورة الثانية فانه ذكر على وجه لا يفهم منه المشبه الا بعد التأمل فى القرائن — ولا شك أن الخصم لا يسعه

انكار أبلغية الثانية فهى اذا أولى أن تسمى «استعارة» ، وأن تسمى الأولى تشبيها بليغا .

الاستعارة مجاز لغوى لا عقلى :

اختلف رأى علماء البيان فى الاستعارة — هل هى من قبيل المجاز اللغوى أو من قبيل المجاز العقلى ؟

فجمهور البيانيين — ومنهم الخطيب — على أنها مجاز لغوى أى أنها لفظ استعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة . فالتصرف فيها انما هو فى نقل اللفظ من معناه الموضوع له فى اللغة الى معنى آخر — والدليل على ذلك : أن اللفظ المستعار موضوع — فى اللغة — للمشبه به ، لا للمشبه ، ولا للأعم من المشبه والمشبه به — فلفظ « أسد » من قولنا : « رأيت أسدا يقود الجيش » موضوع — فى اللغة — للحيوان المعروف ، لا للرجل الجرىء ، وهو ظاهر ، ولا لمعنى أعم منه ، ومن الحيوان المعروف كالحيوان الجرىء مطلقا — رجلا كان أو أسدا — اذ لو كان موضوعا لمطلق حيوان جرىء لكان اطلاقه على كل منهما حقيقة باعتبارهما من أفراد هذا المطلق ، وليس الواقع كذلك ، واذا لم يوضع لواحد منهما نقلا عن أئمة اللغة كان استعماله فى المشبه اطلاقا للفظ على غير ما وضع له ، — وهذا هو معنى المجاز اللغوى .

وقيل : انها من قبيل المجاز العقلى بمعنى : أنها تصرف فى أمر عقلى لا لغوى — ودليل هذا القائل : أن من يقول : « رأيت أسدا معتقلا رمحا » انما يريد أن يثبت معنى الأسدية لرجل جرىء مقدام ، وأن ينقل هذا الرجل الجرىء من نوع الانسانية الى جنس الأسد مدعيا أنه فرد من أفراده حقيقة (١) اذ لو لم يكن هذا مراده لزم عليه امور ثلاثة :

---

(١) من هذا يعلم أن المجاز العقلى يطلق على أمرين — اسناد الشىء الى غير ما هو له — التصرف فى المعانى العقلية على خلاف ما فى الواقع =

(١) ــ ألا يكون القول المذكور ، وأشباهه استعارة لأن حقيقة الاستعارة أن ينقل اللفظ بمعناه بدعوى دخول المشبه فى جنس المشبه به ، لا أن ينقل اللفظ مجردا عن المعنى ، وعن هذه الدعوى ــ والا كانت الأعلام المنقولة « كيزيد ويشكر » استعارة ، ولا قائل به .

(٢) ــ ألا تكون الاستعارة أبلغ من الحقيقة اذ لا مبالغة فى نقل اللفظ مجردا عن المعنى ، وخاليا عن دعوى الاتحاد ــ وهذا خلاف الواقع .

(٣) ــ أن من قال : « رأيت شمسا تتحدث » ، وأراد « ليلى » مثلا لا يقال فيه : انه جعلها شمسا أى أثبت لها معناها ــ كما لا يقال فيمن سمى بنته شمسا : انه أثبت لها هذا المعنى لاستواء الأمرين فى عدم ادعاء دخول ما أطلق عليه الاسم المستعار فى جنس صاحب الاسم، مع أنه من المقطوع به أن من قال : « رأيت شمسا تتحدث » ، وأراد « ليلى » مثلا انما يريد ــ فى العرف ــ : أن يجعل ليلى شمسا أى أن يثبت لها معنى الشمس ، ولا يكون هذا الا باعتبار ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به .

واذ ثبت أن اللفظ المستعار انما نقل الى المستعار له بعد نقل معناه اليه ، بمعنى اثبات معناه له كاثبات معنى الشمس الحقيقية للمرأة الجميلة ادعاء كان استعمال اسم « الشمس » فى المرأة الجميلة استعمالا للفظ فيما وضع له (١) ، فلا يكون مجازا لغويا ، بل عقليا ــ بمعنى أن العقل اعتبر المرأة الجميلة داخلة فى جنس الشمس الحقيقية ، وفردا من أفرادها ــ واعتبار ما ليس فى الواقع واقعا مجاز عقلى ــ يؤيد هذا صحة التعجب فى قول ابن العميد (٢) :

= والمراد هنا الثانى وهو ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به ، وانه فرد من أفراده وان لم يكن كذلك فى الواقع .

(١) ظهر من هذا أن المستعار فى الحقيقة على هذا الرأى هو معنى المشبه به ولما تبع ذلك اطلاق اللفظ سمى استعارة تبعا لاستعارة المعنى .

(٢) هو ذلك الكاتب المعروف وقد قاله فى غلام جميل قام على رأسه يظلله من حر الشمس .

قامت تظللنى من الشمس

نفس أعز على من نفسى

قامت تظللنى ومن عجب

شمس تظللنى من الشمس (١)

أى غلام جميل كالشمس فى الحسن والبهاء ــ كما يؤيده صحة النهى عن التعجب فى قول أبى الحسن (٢) :

يا من حكى الماء فرط رقته

وقلبه فى قساوة الحجر

يا ليت حظى كحظ ثوبك من

جسمك يا واحدا من البشر

لا تعجبوا من بلى غلالته

قد زر أزراره على القمر (٣)

أى على جسم مشرق كالقمر ــ فلولا أن ابن العميد ادعى لغلامه معنى الشمس الحقيقى لما كان لهذا التعجب معنى اذ ليس ببدع أن يظلل انسان حسن الوجه انسانا آخر ، ويقيه بشخصه وهج الشمس ــ كذلك لولا أن أبا الحسن جعل صاحبه قمرا حقيقة لما كان هناك وجه للنهى عن التعجب لأن الكتان انما يسرع اليه البلى حين يلابس القمر الحقيقى كما يقولون ، لا حين يلابس انسانا بلغ الغاية فى الحسن ــ ومثله قول الشاعر :

ترى الثياب من الكتان يلمحها

نور من البدر أحيانا فيبليها

---

(١) ضمن التظليل معنى المنع فعداه بمن أى تمنعنى من حر الشمس والمراد بالنفس غلام جميل وأنث الفعل مراعاة لتأنيث اللفظ .

(٢) هو الشريف أبو الحسن يتصل نسبه بعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو شاعر مفلق .

(٣) الشاهد فى البيت الأخير وقد سبق شرح مفرداته فى موضع آخر

فكيف تنكر أن تبـلى معـاجرها (١)
والبـدر فى كل يوم طـالع فيهـا

فلولا أن الشاعر جعل صاحبه قمرا حقيقيا لما كان هناك وجه للتعجب من هذا الانكار لأن الكتان ــ كما قلنا ــ انما يبليه ملابسته للقمر الحقيقى .

ورد هذا الدليـل بأن ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به لا يقتضى أن يكون لفظ المشبه به مستعملا فيما وضع له لأن هذا الادعاء مبنى على جعل أفراد الأسـد بطريق التـأويل قسـمين ــ « متعارف » ، وهو الذى له غاية الجرأة فى الهيكل المعروف ــ « وغير متعارف » ، وهو الذى له تلك الجرأة لا فى ذلك الهيكل ، ولفظ « الأسد » انما هو موضوع للقسم المتعارف ، فاستعماله فى غير المتعارف استعمال للفظ فى غير ما وضع له ــ والقرينة مانعة من ارادة المعنى المتعارف ليتعين غير المتعارف .

وأما التعجب ، أو النهى عنه ، وما اليهما مما ورد فى الأمثـلة السابقة فمبنى على تنزيل الاستعارة منزلة الحقيقة بتناسى التشبيه الذى بنيت عليه قضاء لحـق المبالغة حتى ان كل ما يترتب على المشبه به يترتب على المشـبه .

ويعلم مما تقدم أن الخلاف بين الرأيين لفظى ــ ذلك أن ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به مسلم عند القائل : بأن الاسـتعارة مجاز لغوى ، وكون اللفظ المستعار مستعملا فى غير معناه الأصلى مسلم عند القائل : بأنها مجاز عقلى ، فلم يبق الا النزاع فى التسمية ، فمن نظر الى حقيقة الأمر سماها مجازا لغويا ، ومن نظر الى الادعاء والمبالغة سماها مجازا عقليا .

---

(١) جمـع معجر على زنة منبر وهـو ثوب تعتجـر به المـرأة أى تلتف به .

الاستعارة تفارق الكذب

تفارق الاستعارة الكذب من جهتين :

الأولى — أن الاستعارة مبنية على التأويل ، وهو دعوى دخول المشبه في جنس المشبه به : بأن يجعل أفراد المشبه به قسمين — متعارفاء وغير متعارف كما مر بيانه — أما الكذب فلا تأويل فيه .

الثانية — أن الاستعارة لابد فيها من نصب قرينة على ارادة خلاف الظاهر من اللفظ أى مانعة من ارادة المعنى الحقيقى للفظ — أما الكذب فلا تنصب فيه قرينة على ارادة خلاف الظاهر ، بل ان قائله ليبذل كل جهده لترويج ظاهره (١) ، واظهار صحة باطله — واذ لا بد للاستعارة من قرينة تميزها عن الكذب فهاك بيانها .

قرينة الاستعارة

الاستعارة نوع من المجاز . وقد تقدم أن المجاز لا بد له من قرينة تفصح عن الغرض ، وترشد الى المقصود ، ويمتنع معها اجراء الكلام على حقيقته — وهى — كما قدمنا — الأمر الذى ينصبه المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير معناه الأصلى .

وهى نوعان — لفظية ، وغير لفظية :

فاللفظية — هى لفظ يلائم المشبه يذكر فى الكلام ليصرفه عن ارادة معناه الأصلى — مثال ذلك قولك : « حدثنى بدر » أى غلام جميل « فبدر » مستعار لهذا الغلام ، وقرينة الاستعارة لفظ «حدثنى» — وكقولك قتل محمد خصمه بحاد لسانه — استعار القتل للايذاء الشديد بجامع الألم الأليم ، ثم اشتق من القتل بمعنى الايذاء الشديد « قتل » بمعنى آذى ايذاء شديدا على سبيل الاستعارة التبعية على

(١) محل ذلك اذا كان الكاذب يعرف عدم مطابقة كلامه للواقع وقصد اظهار صحته ، وانه مطابق ، لا أنه لم يقصد ذلك واعتقد صحته .

ما سيجيء — والقرينة قولك : « بحاد لسـانه » اذ ليس اللسان أداة قتـل .

وغير اللفظية — هى الأمر الخارج عن اللفظ بصرف الكلام عن ارادة معناه الحقيقى — كدلالة الحال ، أو استحالة المعنى — فمثال ما قرينته حالية قولك : « أشرق القمر » والسامع يرى فتاة حسناء مقبلة فالقمر مستعار للفتاة الجميلة وقرينة الاستعارة دلالة الحال — ومثـال ما قرينته الاستحالة قوله تعالى . « انا لمـا طغى المـاء حملناكم فى الجارية » شبه كثرة المـاء بالطغيان بجامع مجاوزة الحد فى كل ، ثم استعير الطغيان للكثرة ، واشتق منه « طغى » بمعنى كثر على سبيل الاستعارة التبعية والقرينة استحالة صدور الطغيان بمعناه الحقيقى من المـاء اذ هو من شأن الانسان .

وهى كذلك تتنوع الى أمرين :

الأول — أن تكون أمرا واحدا لا تعدد فيه — وهو الشائع الكثير كما فى الأمثلة السابقة .

الثانى — أن تكون القرينة أكثر من أمر واحد : يكون كل منها كافيا فى الدلالة على الاستعارة كقول الشاعر

فان تعـافوا العـدل والايمانا
فان فى ايماننـا نيـرانا[1]

يقول : ان كرهتم الانصاف ، وأبيتم اقرار الأمور فى نصابهـا ، وامتنعتم عن التصديق بما جاء به النبى صـلى الله عليه وسـلم قهرناكم عليها بما فى أيدينا من سيوف تلمع كشعل النيران — استعير لفظ « النيران » للسيوف — والقرينة على أن المراد بالنيران السيوف

(١) تعـافوا من عاف الشيء يعافه اذا كرهه ومجه « والايمان » الأول بكسر الهمزة التصديق ، والايمان الثانى بفتح الهمزة جمع يمين وهى الجارحة المعروفة .

هى كل من العدل والايمان (١) باعتبار تعلق العيافة بهما ــ ووجه كون ذلك قرينة هو أن الذى يدعو الى العدل والايمان آخذ بالشريعة ، وهى انما تحمل من يخالف على الطاعة بحد السيف ، لا بالاحراق .

وقد تكون القرينة معـاني ملتئمة ارتبط بعضها ببعض بحيث تتكون القرينة من مجموعها كما فى قول البحترى :

وصـاعقة من نصـله تنكفى بهـا
على أرؤس الأقران خمس سحائب (٢)

شبه أنامل الممدوح بالسحائب فى عموم النفع ، ثم استعار لفظ « السحائب » لأنامل يده ؛ وجعل القرينة على الاستعارة مجموع أشياء، فذكر أن هناك صاعقة ، وأنها ساقطة من حد سيفه ، وأنها منقلبة على أرؤس الأقران تفتك بهم ، وأنها خمس بقدر أصابع اليد ، فاتضح من مجموع ذلك كله غرضه من « السحاب » ، وأن المراد بها أنامل الممدوح لمـا بينها وبين السحائب من جامع النفع ، وعموم العطاء .

قد يقال ــ ان واحدا من هذه الأمور التى ذكرها كاف فى الدلالة على الاستعارة فالقرينة اذا متعددة ، وليست معانى ملتئمة متضامة كما قيـل .

ويجاب ــ بأن الاستعارة لا يكتمل وضوحها الا بهذه الأمور مجتمعة ، وهذا لا ينافى كفاية بعضها فى أصل الدلالة على المراد .

أو يجاب ــ بأن المراد بالتئام المعـانى ارتباطها ، لا على وجه العطف المؤذن بالاستقلال كما تراه فى البيت المذكور .

---

(١) انما جعل كل واحد قرينة ولم يجعل أحدهما قرينة والآخر تجريدا وهو ذكر ما يلائم المشبه لأن مجموع الأمرين بمنزلة الشرط فهما بمثابة الشىء الواحد لكن لو انفرد كل منهما لصح أن يكون قرينة .

(٢) «الصاعقة» فى الأصل نار سماوية تهلك من تصيبه « والنصل حد السيف « وتنكفى » تنقلب و « الأقران » جمع قرن بكسر القاف وهو المماثل والنظير ــ والمعنى : ورب نار من حد سيفه تهوى بها على رءوس الانداد أنامله الخمس التى هى فى الجود ، وعموم العطايا كالسحائب فهو يصفه بالشجاعة والكرم .

تنبيهـان

الأول ــ ما تقدم من أن القرينة قد تكون أكثر من أمر واحد كما فى قول الشاعر المتقدم : « وان تعافوا العدل والايمانا » ــ مبنى على جواز تعدد القرينة وهذا هو الرأى الغالب اذ لا مانع من اعتبار كل واحد قرينة على حدة ــ ورأى بعضهم عدم جواز تعددها لأن الصرف عن ارادة المعنى الحقيقى ان كان بمجموع الأمور المتعـددة فالقرينة هى تلك الأمور مجتمعة ، لا كل واحد منها ، وان كان أحدها كافيا فى الصرف عن المعنى الأصلى فلا حاجة لمـا عداه ، فيعتبر تجريدا اذ هو فى الاستعارة التصريحية من ملائمات المشبه كما ستعرفه بعد ا هـ.

الثانى ــ مما تقدم يعلم أن أثر القرينة فى الاستعارة محصـور فى أمرين ــ تعيين المعنى المراد ، ومنع ارادة المعنى الأصلى ــ فقولك: « رأيت قمرا يتحدث » استعارة قرينتها لفظ « يتحدث » وبهذه القرينة تعين المعنى المراد من القمر ، وهو « الانسان الجميل » ، وامتنع أن يراد المعنى الحقيقى له ، وهو « الكوكب المعروف » اذ أن التحـدث من شأن الانسان ، لا من شأن القمر .

فاذا انتفت هذه القرينة من الكلام ، ولم تدل عليها حال انتفى أثرها المذكور ــ فلا تعين للمعنى المراد حينئذ ، ولا منع من ارادة المعنى الأصلى . وحينئذ صلح اللفظ لأن يراد به المعنى الأصلى ، وأن يراد به المعنى المراد .

أما ما قيل من أنه اذا انتفت القرينة تعينت ارادة المعنى الأصـلى باعتبار أن اللفظ موضوع له فغير سديد لأن كون اللفظ موضـوعا للمعنى لا يوجب استعماله فيه فقصارى أمره الجواز ، لا الوجوب .

اختبار

(١) عرف الحقيقة فى اللغة ، وفى الاصطلاح مبينا المناسبة بين المعنيين ، ثم بين القيود التى فى التعريف الاصطلاحى ، ومحترز كل قيد ، مع التمثيل لكل ما تذكر .

(٢) عرف المجاز لغة واصطلاحا مبينا كذلك المناسبة بين المعنيين، والقيود التى فى التعريف الاصطلاحى ، ومحترز كل قيد ، مع التمثيل لكل ما تقول .

(٣) عرف معنى الوضـــع ، وبين ما يخرج بالتعريف ، مثل لمـا تقول ، مع التوجيه ، وهل المشترك داخل فى التعريف ، أم خارج ؟ ولمـــاذا ؟

(٤) بين حجة القائل بدلالة اللفظ لذاته ، ثم انقض هذه الحجة بما تراه من الأدلة .

(٥) بأى اعتبار ينقسم المجاز المفرد الى استعارة ، ومجاز مرسل ، وضح ذلك بالأمثلة .

(٦) عرف الاستعارة ، واذكر لها مثالا من عندك ، وبين فيه طريقة اجرائها تفصيلا .

(٧) بين فى مثال من انشائك أركان الاستعارة ، مع التوجيه .

(٨) بين وجه كون قول الشاعر .

لا تعجبـــوا من بـــلى غـــلالته
قد زر أزراره على القمـــــــر

من قبيل الاستعارة ، مع ذكر الطرفين ، والاستعارة ــ كما عرفت سابقا ــ لا يجمع فيها بين الطرفين أصلا .

(٩) لم شرطوا فى الاستعارة أن يكون المشبه به كليا ؟و كيف صح اجراء الاستعارة فى نحو « حاتم » ، مع أن مدلوله جزئى ! بين ذلك بوضوح تام .

(١٠) اختلف الخطيب والســعد فى نحو « محمـــد أسد » فقال الخطيب هو تشبيه بليغ ، وقال السعد : هو استعارة فما دليل كل ؟ اشرح ذلك شرحا وافيا .

(١١) بم تفارق الاستعارة الكذب ؟ ــ مثل لما تقول .

(١٢) بين أنواع قرينة الاســتعارة ، ومثل لكل نوع ، واذكر ما وقع من الخلاف فى جواز تعددها .

تقسيم الاستعارة :

للاستعارة تقسيمات شتى تختلف باختلاف الاعتبارات .

تقسيمها باعتبار الطرفين :

تنقسم الاستعارة باعتبار طرفيها الى قسمين ــ وفاقية ، وعنادية .

فالوفاقية ــ ما يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد لما بين الطرفين من الوفاق ــ كما تقول « فلان أحيته الموعظة » أى هدته ــ شبهت « الهداية » بمعنى الدلالة على الطريق القويم « بالاحياء » بمعنى جعل الشىء حيا بجامع ما يترتب على كل من المنافع ، وبعد تناسى التشبيه ، وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به استعير لفظ الاحياء للهداية ، ثم استعير « أحيا لهدى » تبعا لاستعارة المصدر للمصدر ــ على ما سيأتى فى الاستعارة التبعية . والحياة والهداية مما يتأتى اجتماعهما فى شىء واحد واذا فاستعارة الاحياء للهداية وفاقية .

والعنادية ــ مالا يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد لما بين الطرفين من التعاند كاستعارة « اسم المعدوم للموجود عديم الجدوى » فى قولك : « رأيت ميتا يتحدث » أى جاهلا ــ شبه الجهل بالموت بجامع عدم النفع فى كل ، وبعد تناسى التشبيه ، والادعاء المعروفين استعير الموت للجهل ، ثم استعير « لفظ ميت » للجاهل تبعا لاستعارة المصدر للمصدر ــ والجهل والموت مما لايجتمعان فى شىء واحد لأن الميت لا يوصف بالجهل ــ فهى اذا استعارة عنادية ــ ومثله استعارة « اسم الموجود للمعدوم ذى الآثار الخالدة » اذ يمتنع بداهة اجتماع الوجود والعدم فى شىء .

وقد اجتمعت الوفاقية والعنادية فى قول الله تعالى : « أومن كان ميتا فأحييناه » أى أومن كان ضالا فهديناه ــ فقد استعير فى الأول الميت للضال ، وهما لا يجتمعان فى شىء واحد اذ لا يوصف

الميت بالضلال ، فالاستعارة عنادية ــ واستعير ثانيا الاحياء للهداية « كما سبق » والحياة والهداية مما يجتمعان ، فالاستعارة وفاقية ــ ومن العنادية تتفرع .

الاستعارتان ــ التهكمية ، والتمليحية

وهما ما نزل فيهما التضاد ، أو التناقض (1) منزلة التناسب . وأستعمل اللفظ فى ضد معناه ، أو فى نقيضه ابرازا للخسيس فى صورة الشريف لقصد الهزء والسخرية ، أو التمليح والتظرف وذلك كأن يطلق لفظ « الكريم » ، على البخيل ، « والأسد » على الجبان ــ فى نحو قولك : « زارنى اليوم كريم » تريد رجلا بخيلا ، « ورأيت على الفرس أسدا» تريد جبانا رعديدا فقد نزل أولا ــ البخل منزلة الكرم ، ونزل ــ ثانيا ــ الجبن منزلة الشجاعة ــ على ما تقدم فى مبحث التشبيه ، ثم شبه البخيل بالكريم ، والجبان بالأسد ، ووجه الشبه « الجود » فى الأول ، « والشجاعة » فى الثانى ، وان كان كل من الجود فى البخيل ، والشجاعة فى الجبان تنزيليا ، ثم استعير اسم الكريم للبخيل ، واسم الأسد للجبان ــ فان كان الغرض الحامل على استعمال اللفظ فى ضد معناه التهكم والاستخفاف بالمقول فيه كانت الاستعارة تهكمية ، وان كان الغرض الحامل هو بسط السامعين ، وازالة السآمة عنهم بتصوير القبيح فى صورة مستحسنة كانت الاستعارة تمليحية ــ ولا يخفى امتناع اجتماع البخل والكرم ، أو الجبن والشجاعة فى شىء واحد فكلتاهما اذا استعارة عنادية أيضا ــ ومن هذا القبيل قوله تعالى : « فبشرهم بعذاب أليم » ــ نزل التضاد بين التبشير والانذار منزلة التناسب بينهما ، ثم شبه الانذار بالتبشير ووجه الشبه ادخال السرور الى النفس فى كل وان كان تنزيليا فى

---

(1) الضدان هما الأمران الوجوديان اللذان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالسواد والبياض ، والنقيضان هما الأمران اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان ــ وأحدهما وجودى ، والآخر عدمى كالوجود وعدمه .

المشبه ، ثم استعير اسم البشارة للانذار ، بعد تناسى التشبيه والادعاء، ثم اشتق من البشارة بشر بمعنى « أنذر » على سبيل الاستعارة التهكمية ، وهى أيضا عنادية لأن التبشير والانذار مما لا يجتمعان فى شيء واحد ــ ومثله قوله تعالى « فاهدوهم الى صراط الجحيم » (١) أى فجروهم جرا عنيفا .

تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع :

الجامع ــ هو ما قصد اجتماع الطرفين فيه ؛ وهو ما يسمى فى التشبيه « وجه الشبه » ، وسمى هنا « جامعا » لأنه جمع المشبه مع أفراد المشبه به تحت مفهومه وأدخله فى جنسه ادعاء ــ وهو لا بد أن يكون فى المستعار منه أقوى لأن الاستعارة مبنية على المبالغة فى التشبيه ، والمبالغة فيه توجب الحاق المشبه بما هو أكمل فى وجه الشبه ، ولا كذلك التشبيه اذ يكفى فيه أحيانا أن يكون المشبه به مساويا للمشبه فى وجه الشبه وقد تقدم ذلك فى مبحث أغراض التشبيه ــ وللاستعارة باعتبار هذا الجامع تقسيمان .

التقسيم الأول :

تنقسم الاستعارة بهذا الاعتبار الى قسمين ــ داخلية ، وغير داخلية .

---

(١) نزل التضاد بين الهداية التى هى الدلالة بلطف ، وبين الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وعنف منزلة التناسب ، ثم شبه الأخذ بالعنف بالهداية بجامع الخير والنفع فى كل ، وان كان تنزيليا فى المشبه ، ثم استعير بعد تناسى التشبيه والادعاء لفظ الهداية للأخذ بالعنف ، واشتق منه « اهدوهم » بمعنى : جروهم بشدة وقهر على سبيل الاستعارة التهكمية ، وهى عنادية لعدم تأتى اجتماع اللطف والعنف فى شيء واحد .

فالداخلية — أن يكون الجامع داخلا فى مفهومى الطرفين (١) — المستعار منه ، والمستعار له بأن يكون جـزءا من مفهوميهما كما فى استعارة التقطيع للتفريق فى قوله تعالى : « وقطعناهم فى الأرض أمما » أى فرقناهم — شبه تفريق الجماعة بالتقطيع بجامع ازالة الاجتماع فى كل ، ثم استعير — بعـد اجراء التشبيه بينهما — لفظ التقطيع للتفريق، ثم اشتق منه « قطع » بمعنى « فرق » والجامع — وهو ازالة الاجتماع — داخل فى مفهوم التقطيع اذ أن التقطيع موضوع لازالة الاجتماع فى الأشياء المتماسكة ، وداخل أيضا فى مفهـوم تفريق الجماعة لأنه موضوع لازالة الاجتماع فى الأشياء غير المتماسكة — وبديهى أن ازالة الاجتماع فى التقطيع أشد وأقوى كما هو الشرط فى الجامع اذ يصعب أن تعود الأشياء المتماسكة بعد التقطيع إلى الاجتماع بخلاف التفريق — ومثل الآية الكريمة قوله صلى الله عليه وسلم « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه ، كلما سمع هيعة طار اليها (٢) » — شـبه العدو الذى هو قطع المسافة بسرعة فى الأرض بالطيران الذى هو قطع المسافة بسرعة فى الهواء ، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه ، واشتق

---

(١) قيل : ان الحكم بدخول الجامع فى مفهومى الطرفين يتنافى مع ما هو مقرر من أن جزء الماهية لا يختلف شدة وضعفا ذلك أن دخول الجامع فى مفهومى الطرفين يقتضى عدم التفاوت لأن الجزء لا يختلف وكونه جامعا يقتضى التفاوت لوجوب كونه أقوى فى المستعار منه تحقيقا للمبالغة وهذا جمع بين متنافيين — ويجاب بأن امتناع الاختلاف بالشدة والضعف فى أجزاء الماهية انما هو فى الماهية الحقيقية كماهية الانسان المركبة من الحيوانية والناطقية وأما الماهية المركبة من أمور اعتبارية فانه يصـح فيها أن يكون الجـامع داخـلا فى مفهـومى الطرفين ، مع كونه فى أحدهما أشد كما فى « الأسود » فان السواد جزء مفهومه المركب من السواد والذات .

(٢) العنان بكسر العين اللجـام ، والهيعة الصيحة يفزع منهـا من هاع يهيع اذا جبن — يقول : خير الناس رجل مستعد للجهاد كلما سمع صيحة الحرب أسرع اليها .

من الطيران « طار » بمعنى « عدا » والجامع بينهما قطع المسافة بسرعة ، وهو جنس داخل فى مفهوميهما الا أنه فى الطيران أقوى منه فى العدو كما هو الشأن فى الجامع — غير أنه قيل ان الطيران قطع المسافة فى الهواء أو بالجناح فحسب . وأما السرعة فلازمة له فى الأكثر (1) ، لا داخلة فى مفهومه — بخلاف العدو فان السرعة جزء مفهومه واذا فلا يكون الجامع داخلا فى مفهومى الطرفين ، فلا تكون الاستعارة فى الحديث الشريف من القسم الأول .

وغير الداخلية — أن يكون الجامع غير داخل فى مفهومى الطرفين بأن كان خارجا عن مفهوم كل منهما ، أو كان داخلا فى مفهوم المستعار له دون المستعار منه ، أو العكس .

فالأول — كما فى استعارة « الدرر » للكواكب ، و « الشمس » للوجه المتهلل و « البحر » للجواد فى قولك : « رأيت دررا فى السماء تضىء » ، و « أبصرت شمسا داخل غرفة » ، و « وردت بحرا يعطى » فالجامع فى الأول « التألق واللمعان » ، وفى الثانى «التهلل والاشراق»، وفى الثالث « الافاضة » وكلها عوارض غير داخلة فى مفهومى الطرفين .

والثانى — كاستعارة « الطيران » للعدو فى المثال السابق — على القول بأن السرعة داخلة فى مفهوم العدو ، لا فى مفهوم الطيران .

والثالث — كاستعارة « العدو » للطيران على القول المذكور .

التقسيم الثانى

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع أيضا قسمين — عامية ، وخاصة

فالعامية — وهى المبتذلة — ما ظهر فيها الجامع بحيث يدركه

(1) أى بالنظر للغالب وقد يكون الطيران قطع المسافة فى الهواء أو بالجناح من غير سرعة .

العامة ، كاطلاق الأسد على الرجل الجرىء — فان الجامع — وهو الجرأة — أمر واضح ؛ فى متناول عامة الناس لاشتهار الأسد بها — وسميت « مبتذلة » لابتذالها بكونها فى طوق كل أحد .

والخاصية — وهى الغريبة — هى التى لايدرك الجامع فيها الا من ارتفع عن طبقة العامة كما فى قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ، يصف فرسا له بأنه مؤدب اذا نزل عنه ، وألقى عنانه فى قربوس سرجه لايبرح مكانه حتى يعود اليه :

عودته فيما أزور حبائبى
اهماله وكذاك كل مخاطر

واذا احتبى قربوسه بعنانه
علك الشكيم الى انصراف الزائر (١)

شبه جمع القربوس مضموما الى جانبى فم الفرس بالعنان (٢) ممتدا من القربوس الى جانبى الفم — شبه ذلك بالاحتباء ، وهو جمع

---

(١) « الاحتباء » أن يشد الرجل ركبتيه الى بطنه بنحو ثوب يمتد من جانبيه الى ظهره ، و « القربوس » بفتح القاف والراء مقدم السرج وهو المراد وقيل : هو السرج نفسه ، ثم هو يحتمل أن يكون فاعل « احتبى » بتنزيله منزلة الرجل المحتبى فكان القربوس ضم الفرس وراسه اليه بالعنان كما يضم المحتبى ركبتيه اليه بنحو ثوب ويحتمل أن يكون قربوسه مفعول « احتبى » مضمنا معنى « جمع » ويكون الفاعل ضميرا عائدا على الفرس — والمعنى : جمع هذا الفرس قربوسه اليه بعنانه كما يضم المحتبى ركبتيه اليه بثوب ونحوه والتشبيه على الاحتمال الثانى أتم وأدخل فى تحقيق التشابه لأن القربوس فى الهيئة اعلى من فم الفرس وهذه الحالة هى التى تنطبق على حالة الاحتباء اذ أن ركبتى المحتبى تكونان فى الهيئة اعلى من ظهره ؛ والعنان اللجام . والشكيم والشكيمة هى الحديدة المعترضة فى فم الفرس ، ومعنى علكها : لاكها ومضغها وقد أراد بالزائر نفسه وانما عبر عن نفسه بالزائر لدلالته على كمال تادب فرسه ، وأنه لا يبرح مكانه ان طال مكثه عند حبيبه كما يدل عليه البيت قبله .

(٢) متعلق بجمع .

ركبتى المحتبى منضمتين الى بطنه بنحو (١) ثوب ممتد من الركبتين الى الظهر ، ثم استعير لفظ الاحتباء لجمع القربوس منضما الى جانبى فم الفرس بالعنان ، واشتق منه « احتبى » بمعنى جمع — فهذه الاستعارة غريبة لكونها على نمط غير مألوف فى تشبيهات الاستعارة ؛ لا يقع فى كلامهم الا نادرا — ذلك أن الانتقال الى معنى الاحتباء المذكور عند استحضار القاء العنان على القربوس فى غاية الندور لما بين المعنيين من البعد (٢) ، مع ما فى الوجه من دقة التركيب ، وكثرة الاعتبارات الموجبة لصعوبة ادراكه ، وبعده عن الأذهان .

غير أنه قيل : ان التشبيه فى هذه الاستعارة بين مفردين — الاحتباء ، وجمع القربوس الى جانبى فم الفرس ، وان تضمنا تشبيه هيئة القاء العنان على القربوس بهيئة الاحتباء اذ أن هذا التضمين لايخرجهما عن افرادهما — هكذا قيل ، وفى النفس منه شىء اذ لا ضرورة الى اعتبار التشبيه بين مفردين مع وضوح كون الطرفين هيئتين مركبتين .

تنبيـــه :

قد يتصرف فى الاستعارة العامية بما يخرجها من الابتذال الى الغرابة بأن يضم اليها تجوز لطيف اقتضته الحال كما فى قــول كثير عــزة :

ولما قضـــينا من منى كل حـــاجة
ومسح بالأركان من هـــو ماســح

وشـــدت على دهم المهارى رحالنا
ولم ينظـــر الغـــادى الذى هو رائح

(١) متعلق بجمع .
(٢) اذ أن أحدهما من وادى الركوب والآخر من وادى القعود .

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
« وسالت بأعناق المطى الأباطح (١) »

يقول : لما فرغنا من أداء النسك ، وقضينا أيام منى ، واستلمنا الاركان وشددنا الرحال ، ومضى الناس ؛ لا ينتظر الغادى منهم الرائح شوقا للعودةالى أوطانهم ابتدأنا فى الحديث آخذين بأطرافه وفنونه شأن الرفاق فى السفر قد شملتهم الغبطة لما وفقوا اليه من آداء الفريضة ، فى حين أن المطى سارت فى الأباطح سيرا حثيثا ، فى لين وسلاسة كسيلان الماء .

وهذه الأبيات الثلاثة ؛ مع ما فيها من روعة المطلع ؛ وعذوبة الجرس لا ترى فيها معنى دقيقا ، ولا تصويرا شائقا ، سوى ما نراه فى الشطر الثانى من البيت الأخير ، وهو محل الشاهد حيث شبه سير المطى فى الأباطح سيرا حثيثا ، فى لين وسلاسة بسيلان الماء فى هذه الأباطح ، ثم استعار سيلان الماء للسير الموصوف بما ذكرنا ، واشتق منه سالت بمعنى سارت حثيثا ، فى لين وسلاسة ــ ووجه الشبه أو الجامع بين الطرفين هو قطع المسافة بسرعة ــ فهذه ــ كما ترى ــ استعارة عامية ؛ يعرفها الخاصة والعامة ــ غير أنه تصرف فيها بما جعلها غريبة ، لا يدركها الا الخواص ــ ذلك أنه ــ بعد أن استعار فعل « السيلان » لسير الابل الحثيث السلس حتى أفاد كأن سيولا جرت

(١) أراد بالأركان أركان الكعبة ، وبالمسح بها طواف الوداع ، والدهم بالضم جمع دهماء وهى السوداء من الخيل ، والمهارى بفتح الراء وكسرها جمع مهرية وهى فى الأصل الناقة منسوبة الى مهرة بن حيدان بطن من قضاعة ، ثم صار هذا اللفظ يطلق على كل نجيبة من الابل ومعنى ينظر ينتظر والغادى السائر فى الغداة والرائح السائر من الظهر الى الغروب ، والأطراف جمع طرف بكسر الطاء بمعنى الكريم والمراد كرائم الأحاديث أو جمع طرف بالتحريك بمعنى الناحية والمراد فنون الأحاديث والأباطح جمع أبطح وهو مسيل الماء فيه دقاق الحصى وشد الرحال وضع الامتعة من أخبية وغيرها على متون الابل مشدودة بنحو حبل حتى لا تميل أو تسقط .

فى تلك الأباطح ــ أسند الفعل المستعار وهو « سالت » الى الأباطح، دون « المطى » الذى حقه أن يسند اليه ؛ فأفاد هذا الاسـناد : أن الأباطح امتلأت بالابل الى حد يخيل للناظر أن الأباطح هى التى تسيل اذ أن نسبة فعل الحال الى المحل تشعر بشيوع الحال فى المحل ؛ وكأن كل محل من هذه الأباطح سائر ــ يماثل ذلك اسناد الجـرى الى النهر فى قولهم . جرى النهر ــ فهذا الاسناد يشعر بامتلاء النهر بالماء حتى كأن النهر هو الذى يجرى ــ ومن هذا القبيل قوله تعـالى : « واشتعل الرأس شيبا » أسند الاشتعال الذى هو وصف الشـعر الى محله ؛ وهو الرأس اشعارا بأن الاشتعال قد عمه ، ولم يبق فيه جـزء غير مشتعل على قاعدة : أن نسبة الحال الى المحل تشعر بشيوع الحال فيـه .

وانما أدخل الأعناق فى السير اذ جرها بباء الملابسة المقتضية لملابسة الفعل لها لأن السرعة والبطء فى سـير الابل يظهران ــ غالبـا ــ فى أعناقها واذا فقد أضيف الى الاستعارة المذكورة مجـازان عقليان ــ أحدهما مصرح به ، وهو اسناد الفعل الى الأباطح ، والآخر مقدر ؛ وهو اسناده الى الأعناق لان مقتضى كون الاباطح فى سيرها ملابسة لأعناق المطى أن تكون الأعناق أيضا سائرة ــ وباضافة هذين المجازين اليها صارت غريبة طريفة ــ ومثله قول ابن المعتز :

سالت عليه شعاب (١) الحى حين دعا   أنصـاره بوجـوه كالدنانير

فقد استعار السيلان للسير الحثيث السلس ؛ ثم أسند فعله الى الشعاب اسنادا عقليا صريحا ، وأسنده الى الوجوه اسنادا عقليا مقدرا كما فى البيت قبله ــ وبهذين التصرفين امتنعت الاستعارة بعد ابتذال، واعتزت بعد ضعة .

تقسيم الاستعارة باعتبار الطرفين والجـامع :

تنقسم الاستعارة بهذا الاعتبار ستة أقسام ــ ذلك أن المستعار

(١) شعاب جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق فى الجبل .

منه ، والمستعار له — اما حسيان ، واما عقليان ، أو المستعار منه حسى والمستعار عقلى ، أو العكس — والجامع فى الثلاثة الأخيرة عقلى لا غير لما سبق فى مبحث التشبيه من أن وجه الشبه — وهو المسمى هنا بالجامع — لابد أن يقوم بالطرفين فاذا كان كلاهما ، أو أحدهما عقليا وجب أن يكون الجامع عقليا لأن الحسى لا يقوم بغير حسى . — كما علمت —

أما القسم الأول — وهو ما اذا كان الطرفان فيه حسيين — فصوره ثلاث لأن الجامع حينئذ اما حسى ، أو عقلى ، أو مختلف — وهاك أمثلتها على التوالى :

(١) — استعارة محسوس لمحسوس والجامع حسى كما فى قوله تعالى : « فأخرج لهم « عجلا » جسدا له خوار (١) » — فالمستعار منه ولد البقرة ، والمستعار له الحيوان المخلوق من حلى القبط التى سبكتها نار السامرى (٢) عندما ألقى فيها التربة التى أخذها من موطىء فرس جبريل عليه السلام — ولهذا الحادث قصة ليس هنا محلها والطرفان حسيان — كما ترى ، والجامع حسى كذلك ، وهو الشكل والخوار ، فان ذلك الحيوان كان على شكل ولد البقرة ، وله صوت كصوته — ومثله قوله تعالى : « وتركنا بعضهم يومئذ «يموج» فى بعض » — فالمستعار منه حركة الماء على الوجه الخاص ، والمستعار له الحركة ، والاختلاط الناشئان عن الحيرة والارتباك ، والجامع بينهما ما يشاهد فى كل من الحركة الشديدة ، والاضطراب ، والجميع

---

(١) جسدا أى بدنا بلحم ودم وهو بدل من عجل وله خوار أى له صوت البقر — شبه الصورة التى سبكتها نار السامرى بابن البقرة بجامع الشكل والصوت فى كل ثم استعير لفظ المشبه به وهو العجل المشبه الذى هو الصورة المسبوكة من النار .

(٢) هو موسى السامرى وكان رجلا حدادا فى زمن موسى عليه السلام منسوبا لسامرة قبيلة من بنى اسرائيل .

حسى (١) — كما ترى — ومثله قولك : (رأيت «قينة» ذات جناحين على شجرة) — فالمستعار منه الجارية المغنية ، والمستعار له «البلبل» وهو الطائر المعروف ، والجامع الصوت الحسن ، والجميع حسى كذلك .

(٢) — استعارة محسوس لمحسوس ، والجامع عقلى كقوله تعالى: « وآية لهم الليل « نسلخ منه » النهار فاذا هم مظلمون » فالمستعار منه كشط الجلد ، وسلخه عن الشاة ونحوها ، والمستعار له ازالة ضوء النهار ، وانتزاعه عن مكان الليل ، وكلاهما حسى (٢) ، والجامع بينهما عقلى اذ هو ترتب أمر على آخر فى كل — ففى المستعار منه ترتب ظهور اللحم على كشط الجلد وسلخه ، وفى المستعار له ترتب ظهور ظلمة الليل على محو ضوء النهار وازالته — ولهذا صح قوله : « فاذا هم مظلمون » لأن الواقع عقيب ازالة الضوء هو « الاظلام » — وما قيل من أن المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل فلا يتفق مع القول المذكور لأن الواقع بعد ظهور النهار من ظلمة الليل انما هو الابصار ، لا الاظلام ، وقد وفق بعضهم بين القولين بما لا يخلو عن تكلف .

(٣) — استعارة محسوس لمحسوس والجامع مختلف — بعضه حسى ، وبعضه عقلى كقولك : « رأيت بدرا يتحدث » وأنت تريد انسانا كالبدر فى حسن الطلعة ، ونباهة الشأن — والأول حسى ، والآخر عقلى .

---

(١) شبه تزاحمهم وتدافعهم بتلاطم الموج بجامع ما يشاهد فى كل من الاضطراب ثم استعير لفظ المشبه به وهو تلاطم الموج للمشبه الذى هو التزاحم والتدافع ثم اشتق منه يموج بمعنى يتزاحم ويتدافع .

(٢) اى باعتبار متعلقهما — الجلد والضوء والا فان كلا من كشط الجلد وازالة الضوء أمر عقلى لأنهما معنيان مصدريان والمعنى المصدرى لا وجود له خارجا فلا يكون محسوسا — ويقال فى اجرائها : شبه ازالة ضوء النهار عن موضع الظلمة بسلخ الجلد عن لحم الشاة بجامع ترتب أمر على أمر ، ثم استعير لفظ المشبه به وهو السلخ للمشبه الذى هو ازالة الضوء ثم اشتق منه نسلخ بمعنى نزيل .

(٤) ــ استعارة معقول لمعقول كقوله تعالى حكاية عن قول الكفار يوم القيامة : «يا ويلنا من بعثنا من «مرقدنا» ــ فالمستعار منه «الرقاد» أى النوم على اعتبار أن « المرقد » مصدر ميمى ، والمستعار له «الموت» ، وكلاهما عقلى اذ هو فقد الاحساس ، والجامع بينهما عدم ظهور الأفعال الاختيارية فى كل (١) ، وهو عقلى كذلك ــ ويحتمل أن يكون «المرقد» اسم مكان ، فيكون المستعار منه على هذا الاحتمال محل الرقاد ، والمستعار له محل المــوت أى القبر ، وهما ــ حينئذ جسيان ، وبهذا يخرج المثال عما نحن فيه من استعارة معقول لمعقول ــ الا أنهم قالوا : ان المنظور اليه فى مثل هذا التشبيه انما هو «الرقاد» والموت» لأن المقصود بالنظر فى اسم المكان ، وفى سائر المشتقات انما هو المعنى القائم بالذات ــ وهو المصدر ، واعتبار التشبيه فى المقصود الأهم أولى واذا فالمستعار منه « الرقاد » ، والمستعار له « الموت » على كلا الاحتمالين (٢) ولهذه الاستعارة قرينتان ــ معنوية ولفظية ، فالأولى هى كون هذا الكلام كلام الموتى بعد أن يبعثوا ، وليس من شــك أن الموتى لايريدون الرقاد بمعنى النوم اذ لم يكن حاصــلا لهم ــ والثانية هى قوله بعد : « هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » لأن

---

(١) قيل ان الجامع فى الاستعارة يجب ان يكون فى المستعار منه أقوى منه فى المستعار له ، والأمر هنا بالعكس فان عدم ظهور الأفعال الاختيارية فى الموت أقوى منه فى النوم لفقدان الروح فى الموت لا فى النوم فالأولى حينئذ ان يكون الجامع « البعث » الذى هو رد الاحساس السابق والبعث بهذا المعنى أقوى ظهورا واشتهارا فى النوم اذ لا شبهة فيه لأحد بخلافه فى الموت فقد أنكره قوم .

(٢) واجراء الاستعارة على الاحتمال الأول أن يقال : شبه الموت بالنوم بجامع عدم ظهور الأفعال الاختيارية فى كل ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو « الرقاد » للمشبه الذى هو « الموت » واجراؤها على الاعتبار الثانى هو ما تقدم فى الاحتمال الأول غير أنه يشتق من الرقاد بعد استعارته للموت مرقد اسم مكان بمعنى القبر وتكون الاستعارة تبعية على ما سيأتى .

الذى وعد به الرحمن ، وصدق فيه المرسلون ، وأنكره الكافرون انما هو البعث من الموت .

ولايصح أن يكون « البعث » قرينة الاستعارة لاشتراكه بين الطرفين اذ يقال أيضا : بعثه من نومه اذا أيقظه — والقرينة يجب أن يكون لها اختصاص بالمستعار له لتكون مانعة من ارادة المعنى الحقيقى .

(٥) — استعارة محسوس لمعقول كقوله تعالى : « فاصدع [1] بما تؤمر » أى بلغ الأمة الأحكام التى أمرت بتبليغها لهم تبليغا واضحا لا لبس فيه ، ولا غموض — فالمستعار منه كسر الزجاجة ونحوها مما لا يلتئم بعد الكسر ، وهو حسى [2] ، والمستعار له تبليغ الرسالة للمرسل اليهم ، وهو أمر عقلى ، والجامع بينهما التأثير فى الشىء بحيث لا يعود الى ما كان عليه ، وهو عقلى — والمعنى : أبن الأمر ابانة لا يعود معها الى الخفاء — كما أن كسر الزجاجة لا تعود معه الى الالتئام — ومثله قوله تعالى : «كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من «الظلمات الى النور » فالمستعار منه « الظلمات والنور » وهما حسيان، والمستعار له « الضلال والهدى » وهما عقليان ، والجامع فى الأول عدم الاهتداء وفى الثانى الاهتداء ، وهما عقليان أيضا ، والاستعارة فيهما لا تحتاج الى بيان .

(٦) — استعارة معقول لمحسوس كقوله تعالى : « انا لما «طغى» الماء حملناكم فى الجارية » أى لما كثر الماء فالمستعار منه التكبر أو

---

(١) الصدع والكسر تفريق أجزاء الأجسام المتماسكة .

(٢) أى باعتبار متعلقه لا باعتبار ذاته اذ هو معنى مصدرى ، والمعانى المصدرية — كما قلنا — لا وجود لها خارجا واجراء الاستعارة فيه ان يقال : شبه تبليغ الأحكام للناس تبليغا واضحا بالصدع بجامع التأثير فى كل ثم استعير لفظ المشبه به وهو الصدع للمشبه الذى هو تبليغ الأحكام ثم اشتق منه « اصدع » فعل أمر بمعنى بلغ الأحكام تبليغا واضحا .

التعالى ، وهو عقلى والمستعار له كثرة الماء ، وهو حسى ، والجامع بينهما الخروج عن حد الاعتدال (1) ، وهو عقلى كذلك — ومثله قوله تعالى (فأهلكوا بريح صرصر « عاتية ») استعار العتو ، وهو عقلى لشدة الريح المفسدة ، وهى حسية باعتبار متعلقها ، والجامع عقلى ، وهو مجاوزة الحد .

تقسيم الاستعارة باعتبار ذكر أحد طرفيها :

اعلم أن الاستعارة انما تكون حيث يطوى أحد طرفيها دون الآخر ، وهى — بهذا الاعتبار — تنقسم قسمين — تصريحية ، ومكنية.

فان كان المذكور لفظ المشبه به دون المشبه فالاستعارة تصريحية ، وان كان العكس فالاستعارة مكنية واذا تكون .

الاستعارة التصريحية :

هى لفظ المشبه به المستعار للمشبه المحذوف كما تقول : «رأيت قسورا يمتشق حساما » تريد رجلا مقداما — « فقسور » هو لفظ المشبه به ، المستعار للمشبه ، وكما تقول : «هطل الدمع من «نرجسها» أى من عينها — فلفظ « نرجس » هو اسم المشبه به ، المستعار للمشبه الذى هو العين — ومن هنا سميت « استعارة تصريحية » للتصريح فيها بلفظ المشبه به كما فى المثالين المذكورين وأشباههما من كل ما صرح فيه باسم المشبه به ، دون المشبه — ولهذه الاستعارة تقسيمان باعتبارين :

---

(1) شبه كثرة الماء كثرة جاوزت الحد بالتكبر المعبر عنه بالطغيان ثم استعير اسم المشبه به وهو الطغيان للمشبه الذى هو كثرة الماء ثم اشتق من الطغيان « طغى » بمعنى كثر وهكذا يقال فى أشباه ذلك من كل ما كان لفظ المشبه به مشتقا كما سيأتى البحث فيه .

تنقسم ــ باعتبار لفظ المشبه به المستعار قسمان ــ أصلية ، وتبعيــة :

فالأصلية ــ ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس غير مشتق ــ والمراد به الماهية الصالحة لأن تصدق على كثيرين (١) ، من غير اعتبار وصف من الأوصاف فى الدلالة (٢) سواء كان صدقها على الكثيرين حقيقة ، أو تأويلا ، وسواء كانت اسم عين « كالأسد » ، أو اسم معنى « كالضرب والقتل » .

فمثال اسم الجنس الحقيقى لفظ « أســد » من نحو قولك : « رأيت أسدا يداعب أقرانه » أى رجلا باســلا ــ واجراء الاستعارة فيه ــ على ما سبق ــ أن يقال : شبه الرجل الباسل المقدام بالأســد بجامع الجراءة فى كل ، ثم ادعى أن الرجل المقدام فرد من أفراد الأسد وداخل فى جنسه ، ثم استعير اسم المشبه به للمشبه استعارة أصــلية لأن اللفظ المستعار ، وهو « أسد » اسم جنس حقيقة اذ يصدق على كل فرد من أفراد هذا الحيوان المفترس .

ومثال اسم الجنس التأويلى لفظ «حاتم» ونحوه من كل عــلم اشتهر مدلوله بنوع من الوصف كما فى قولك : « رأيت اليوم حاتما » تريد رجلا مسماحا ــ فلفظ حاتم علم على الذات المعروفة ، ولكن تؤول

(١) احترز به عن الأعلام ، والمضمرات ، وأسماء الاشارة ، والأسماء الموصولة فانها كلها جزئيات لا تجرى فيها الاستعارة لعدم صدقها على غير مدلولها الجزئى .

(٢) خرج به المشتقات كضارب وقاتل لأنها وان صدقت على كثيرين لكن باعتبار ما تدل عليه من الوصف فالاستعارة فيها تبعية لا أصلية بخلاف لفظ نحو اسد فانه دال على الماهية من غير اعتبار وصف فيه لأنه موضوع للحيوان المفترس من حيث ذاته لا باعتباره ذا جراة واقدام حتى لو وجد اسد لا جراة فيه صدق عليه اسم الأسد .

فيه، فجعل اسم جنس موضوعا لمطلق ذات متصفة بالجود ، ومن هنا صح جعله استعارة لكل جواد بادعاء دخوله فى جنس حاتم ، واعتباره فردا من أفراده ، وقد سبق لهذا الموضوع بحث — واجراء الاستعارة فيه ، وفى أمثاله أن يقال : شبه فلان الكريم بحاتم بجامع السماحة فى كل ، ثم ادعى أن هذا الكريم أحد أفراد حاتم باعتبار مفهومه الكلى التأويلى ، ثم استعير اسم المشبه به ، للمشبه استعارة أصلية لأن اللفظ المستعار ، وهو « حاتم » اسم جنس تأويلا اذ يصدق بهذا التأويل على كل فرد من أفراد الكريم — والمستعار فى كلا المثالين اسم عين لدلالته على ذات .

وانما اعتبرت الأعلام التى تضمنت معنى الوصف اسم جنس تأويلا . ولم تعتبر من فصيلة المشتق الآتى بعد لأن الوصف ليس جزء معناها وضعا ، بل هو لازم لها ، غير داخل فى مفهومها — فحاتم مثلا انما وضع للرجل المعروف باعتبار ذاته ، لا باعتبار وصف الجود اذ أن الجود عرض له ، ولزمه فيما بعد — بخلاف المشتق « كالكريم » مثلا فانه موضوع للذات باعتبار ما تضمنته من وصف الكرم ، فهو داخل فى مفهومها وضعا .

ومثال اسم الجنس — وهو اسم معنى — قولك : آلمنى قتل زيد أخاه ، تريد : اذلاله اياه — ويقال فى اجرائها : شبه الاذلال بالقتل بجامع شدة الألم فى كل ، ثم ادعى أن الاذلال داخل فى جنس القتل، وفرد من أفراده ، ثم استعير لفظ المشبه به وهو « القتل » للمشبه الذى هو « الاذلال استعارة أصلية لأن اللفظ المستعار ، وهو «القتل» اسم جنس معنى .

وسمى هذا القسم من الاستعارة التصريحية ، «استعارة أصلية» نسبة الى الأصل بمعنى الكثير الغالب ، ولاشك أنها أكثر وجودا فى الكلام من التبعية الآتية بعد — أو نسبة الى الأصل بمعنى ما انبنى عليه غيره ، ولا ريب أنها أصل للتبعية لبنائها عليها — على ما سيأتى بيانه قريبا .

والتبعية ــ ما كان اللفظ المستعار فيها فعلا ، أو اسما مشتقا ، أو حرفا ، والأسماء المشتقة ــ كما علمت فى غير هذا الفن ــ هى : اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، وأفعل التفضيل ، واسما الزمان والمكان ، واسم الآلة وما الى ذلك ، وهاك أمثلتها على التوالى :

الاستعارة فى الفعل :

الفعل له « مادة » هى حروفه الدالة على الحدث ، وله «صيغة» وهى الهيئة الدالة على الزمان كما فى صيغتى الماضى والمضارع ــ والاستعارة فى الفعل ، باعتبار مادته غيرها ، باعتبار صيغته .

فمثالها فى الفعل باعتبار مادته قولك : (من «غرس» الجميل محبوب) ففى غرس استعارة تصريحية تبعية ــ اجراؤها : شبه الفعل الجميل بالغرس بجامع انتظار الثمرة فى كل ، ثم استعير الغرس للفعل الجميل ، فصار الغرس بمعنى الفعل الجميل ، ثم اشتق من الغرس بهذا المعنى «غرس» بمعنى فعل الجميل على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ــ وكقولك : «نطقت» حالك بكذا ــ فالنطق كما هو معلوم ــ وصف للانسان ، لا للحال ، وانما توصف الحال بالدلالة ــ وتقرير الاستعارة فيها أن يقال : شبهت الدلالة الواضحة بالنطق فى ايضاح المعنى ، ثم استعير النطق للدلالة الواضحة ، فصار النطق بمعنى الدلالة الواضحة ، ثم اشتق من النطق بهذا المعنى «نطقت» بمعنى دلت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ــ ومنه قوله تعالى: («يحيى» الأرض بعد موتها) ــ فالاحياء ــ وهو ايجاد الروح ــ انما يناسب الحيوان ، لا الأرض ، والذى يناسب الأرض انما هو « التزيين » ــ فيشبه حينئذ تزينها بالنبات ذى الخضرة والنضارة بالاحياء فى الحسن، والنفع ، ثم يستعار الاحياء للتزيين ، فيصير الاحياء بمعنى التزيين . ثم يشتق من الاحياء بهذا المعنى « يحيى » بمعنى يزين على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

ومثالها فى الفعل باعتبار صيغته قوله تعـالى : («أتى» أمر الله فلا تستعجلوه) فمن المعلوم أن أمر الله لم يأت بعد ، وانما سيأتى بدليل قوله : «فلا تستعجلوه» فكان سياق الكلام أن يقول : يأتى أمر الله بصيغة المضارع لكنه عبر بصيغة الماضى تجوزا ــ واجراء الاسـتعارة فيه أن يقال : شبه الاتيان فى المستقبل بالاتيان فى الماضى فى تحقـق الوقوع ، ثم استعير لفظ « الاتيان فى الماضى » للاتيان فى المستقبل، فصار الاتيان فى الماضى بمعنى الاتيان فى المستقبل، ثم اشتق من الاتيان بهذا المعنى ««أتى» بمعنى يأتى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ــ ومثله قوله تعالى : («ونادى» أصحاب الجنة) فمما لا شـك فيه أن النداء المذكور يكون فى الدار الأخرى، فكان سياق الكلام أن يقال: وينادى أصحاب الجنة لكنه عبر بصيغة الماضى تجوزا ــ وتقـرير الاستعارة فيه على نحو ما سبق فى أتى أمر الله ، فيقال : شبه النـداء فى المستقبل بالنداء فى الماضى فى تحقق الوقوع ، ثم استعير لفظ النداء فى المستقبل ، فصار النداء فى الماضى بمعنى النـداء فى المستقبل ، ثم اشتق من النداء بهذا المعنى «نادى» بمعنى ينادى على سـبيل الاستعارة التصريحية التبعية ــ وأمثال هذا كثير . قال تعالى : «وقالوا لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟ » . « ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا » الآية ، « اذا وقعت الواقعة » على تقدير المضارع فى جميعها تشبيها للمستقبل المتحقق بالماضى .

وكما تستعمل صيغة الماضى فى المستقبل ــ كما مثلنا ــ تستعمل صيغة المضارع فى الماضى كما فى قوله تعالى حكاية لقول ابراهيم عليه السلام لابنه اسماعيل (انى «أرى» فى المنام أنى أذبحك) ــ فالرؤية المذكورة وقعت لا محالة ، فكان سياق الكلام أن يقول : أنى رأيت فى المنام لكنه عبر بصيغة المضارع تجوزا ــ واجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبهت الرؤية الماضية بالرؤية الحاضرة فى استحضار الصورة العجيبة هى صورة ذبح ابراهيم عليه السلام لابنه ، ثم استعير لفظ الرؤية فى الحاضر للرؤية الماضية ، فصارت الرؤية الحـاضرة بمعنى الرؤية

الماضية ، ثم اشتق من الرؤية بهذا المعنى «أرى» بمعنى «رأيت» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية — ومثله قوله تعالى : (ففريقا كذبتم ، وفريقا « تقتلون ») أى قتلتم — وقس على هذا .

الاستعارة فى المشتقات

ومثالها فى اسمى الفاعل المفعول قولك : « جليل أعمالك «ناطق» بكمالك » أى دال عليه ففى ناطق استعارة تبعية — واجراؤها: أن يقال فيها على غرار ما قيل فى نطقت الحال بكذا غير أن المشتق من النطق هنا «ناطق» بمعنى دال — وكقولك : « حكم «على قاتلك» بالسجن» أى ضاربك ضربا مبرحا ،وقولك (رفع « مقتولك » أمره الى الحاكم) أى مضروبك ضربا شديدا — واجراء الاستعارة فيهما أن يقال : شبه الضرب الأليم بالقتل فى قسوة الألم ، ثم استعير لفظ «القتل» للضرب الشديد ، فصار القتل بمعنى الضرب الشديد ، ثم اشتق من القتل بهذا المعنى « قاتل أو مقتول » بمعنى ضارب أو مضروب ضربا شديدا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

ومثالها فى الصفة المشبهة قولك : انما أصادق «الأصم» عن العوراء ، وأجاور «الأعمى» عن الفحشاء — فقد شبه أولا التصامم بالصمم فى عدم السماع ، ثم استعير لفظ « الصمم » للتصامم ، فصار الصمم بمعنى التصامم ، ثم اشتق من الصمم بهذا المعنى « أصم » صفة مشبهة بمعنى متصامم — وشبه ثانيا غض البصر بالعمى فى عدم الرؤية ، ثم استعير لفظ « العمى » لغض البصر ، فصار العمى بمعنى غض البصر ، ثم اشتق من العمى بهذا المعنى «أعمى» صفة مشبهة بمعنى غاض البصر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية فى المثالين .

ومثالها فى اسمى الفاعل المفعول قولك : « جليل أعمالك

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا   فلسان حالى بالشكاية أنطق

شبهت الدلالة بالنطق على نحو ما سبق فى نطقت الحال بكذا،

ثم اشتق من النطق بمعنى الدلالة « أنطق » بمعنى أدل على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

ومثالها فى اسمى الزمان والمكان قولك : « هذا مقتل فلان » مشيرا الى زمان ضربه ضربا قاسيا ، أو الى مكانه ــ فيشبه الضرب الشديد بالقتل على قياس ما سبق فى استعارة اسمى الفاعل والمفعول، ثم يشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد «مقتل» اسم زمان أو مكان على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ــ ومنه الآية السابقة « ياويلنا من بعثنا من مرقدنا » ــ فمما لاريب فيه أن هذا السؤال منهم انما يكون بعد البعث من القبور فالمراد بالمرقد حينئذ موضع الموت أى القبر ، لا موضع الرقاد بمعنى النوم ــ فقد شبه الموت بالرقاد فى عدم ظهور الأفعال الاختيارية ، ثم استعير لفظ الرقاد للموت ، فصار الرقاد بمعنى الموت ، ثم اشتق من الرقاد بهذا المعنى «مرقد» بمعنى مكان الموت وهو القبر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ــ وان قدر «المرقد» مصدرا ميميا بمعنى الرقاد ، واستعير للموت كانت الاستعارة أصلية لأن اللفظ المستعار حينئذ اسم جنس غير مشتق (١) .. وهكذا سائر المشتقات .

هذا ويعلم مما تقدم فى استعارة الفعل ، والأسماء المشتقة : أن التشبيه فيها أجرى أولا فى مصادرها ، لا فى ذواتها ــ ففى قولهم : «نطقت» الحال بكذا أى دلت يقدر تشبيه الدلالة بالنطق ، وفى قولهم: رفع «مقتولك» أمره الى الحاكم يقدر تشبيه الضرب الشديد بالقتل وهكذا فى سائر المشتقات .

دليل التبعية :

وانما كانت الاستعارة فى الفعل ، وسائر المشتقات تبعية لجريانها

---

(١) وقيل ان « مرقد » فى الآية حقيقة لا استعارة وان القوم لاختلاط عقولهم ظنوا انهم كانوا نياما فسألوا عمن أيقظهم وهذا رأى لبعض المفسرين .

فيهما تبعا لجريانها فى المصادر — كما رأيت — فتشبيه الدلالة بالنطق فى المثال السابق يتبعه تشبيه « دل بنطق » ، واستعارة النطق للدلالة يتبعه كذلك استعارة « نطق لدل » لأن الفعل مشتق من المصدر — فكل تصرف يجرى فى المصدر يجرى نظيره فى الفعل تبعا له ، وكذلك سائر المشتقات .

وانما اعتبر التشبيه والاستعارة فى المصدر قبل اعتبارهما فى الفعل وسائر المشتقات لأن المصدر هو المعنى القائم بالذات ؛ فهو المقصود الجدير بأن يعتبر فيه التشبيه والاستعارة أولا ، والشىء اذا اشتمل على قيد كان الغرض هو ذلك القيد — هذا هو التحقيق .

وقالوا فى تعليل كون الاستعارة فى الأمرين المذكورين تبعية : أن الاستعارة تعتمد التشبيه ، وتبنى عليه ، والتشبيه يقتضى اتصاف طرفيه بوجه الشبه — كما علمت — وانما يصلح للموصوفية الحقائق الثابتة كالأجسام وأشباهها — أما ما كان مدلوله متجددا أى غير متقرر ثابت كمعانى الأفعال ، والصفات المشتقة فلا يصلح للموصوفية ، فلا يصح فيه التشبيه ، فلا تجرى فيه الاستعارة الأصلية وانما كانت مدلولاتها غير متقررة لدخول الزمان — وهو غير قار الذات — فى مفهوم الأفعال ، ولزومه للصفات .

ورد هذا الدليل بألا يسلم لهم قولهم : لا يصلح للموصوفية غير الحقائق الثابتة اذ قد صح أن يوصف كل من الحركة ، والزمان ، فيقال : حركة بطيئة ، وزمان عصيب ، مع القطع بعدم تقررهما وثباتهما — على أن عروض الزمان للصفات لو كان مانعا من جريان التشبيه فيها لما صح جريانه فى المصادر أيضا لعروض الزمان لمفهومها كذلك لأنها دالة على الأحداث ، ولابد لها من زمان تقع فيه ، مع أن الاستعارة فى المصادر أصلية — وعلى تقدير تسليم ما ذكروا لايتناول دليلهم اسمى الزمان والمكان والآلة لأنها تصلح للموصوفية ، فيقال : هذا مقام واسع

ومجلس فسيح، ومنبت طيب، ومفتاح كبير ، ومنشـــار ماض ــ سيما اذا علمنا أنهم صرحوا بأن المراد بالمشتقات ماعدا هذه الثلاثة ــ ومقتضى عدم شمول الدليل لها ، أو تصريحهم باستثنائها أن تكون الاستعارة فيها أصلية بأن يقدر التشبيه فيها ذاتها ، لا فى مصادرها ــ وليس الواقع كذلك للقطع بأنااذا قلنا : « هذا مقتل فلان » للموضع الذى ضرب فيه ضربا شديدا ، « وهذا مرقد فلان » لقبره فان المعنى على تشبيه الضرب بالقتل ، والموت بالرقاد ، وأن الاستعارة فى المصـــدر نفسه ، لا فى ذات المكان .

فالتعليل الصحيح اذا فى كونها «تبعية» هو ما ذكرنا من جريان الاستعارة فى المشتقات تبعا لجريانها فى المصادر لأن المصدر هو المعنى القائم بالذات » فهو أسبق فى الاعتبار وأولى .

الاســتعارة فى الحــرف :

مثالها قوله تعالى : « فالتقطه آل فرعون «ليكون» لهم عـدوا وحزنا » .

أعلم : أن لام العلة موضوعة لترتب ما بعدها على ما قبلها ترتب العلة على المعلول كما فى قولك : « جئت الى المعهد لأرتشف العلم من مناهله » ــ فان ارتشاف العلم مترتب على المجيء ، وعلة باعثة عليه .

اذا علمت هــذا فاعلم : أن «اللام» المذكورة مستعملة فى غير ما وضعت له لأن ما بعدها ــ وان كان مترتبا على ما قبلها ــ ليس علة باعثة عليه ــ ذلك أن آل فرعون لم يلتقطوا موسى عليه السلام ليكون لهم عدوا وحزنا ، وانما التقطوه ليكون حبيبا لهم وسرورا لــكن لما كانت النتيجة المترتبة على التقاطهم هى العداوة والحزن ، لا المحبــة والسرور شبه العداوة والحزن المترتبان على الالتقاط فى الواقع بالمحبة والسرور اللذين كان ينبغى أن يترتبا عليه ، ثم اســتعملت فيه اللام تجـــوزا .

وتقرير الاستعارة فيه أن يقال : شبه العداوة والحزن المترتبان على الالتقاط بالعلة الحقيقية التى هى المحبة والسرور بجامع الترتب على الالتقاط فى كل ، فسرى هذا التشبيه الى تشبيه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب العلة الحقيقية عليه بجامع مطلق ترتب شىء على شىء ، ثم استعيرت اللام الموضوعة لترتب العلة الحقيقية على الالتقاط لترتب غير العلة الحقيقية عليه على سبيل الاستعارةالتصريحية التبعيـــة .

ومثله قوله تعالى : « لأصلبنكم «فى» جذوع النخل » — فلفظ «فى» موضوع لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين كما تقول : الماء فى الكوز — واذا فكلمة «فى» فى الآية مستعملة فى غير ما وضعت له لأن ما بعدها لا يصلح ظرفا لما قبلها على الحقيقة لكن لما كانت الجذوع متمكنة من المصلوبين تمكن الظرف من المظروف شبهت الجذوع بالظرف الحقيقى فى هذا التمكن ، ثم استعير لها لفظ «فى» تجوزا .

واجراء الاستعارة فيه أن يقال : شبهت الجذوع المستعلى عليها بالظروف الحقيقية بجامع التمكن فى كل، فسرى هذا التشبيه الى تشبيه تلبس الجذوع بالمصلوبين بتلبس الظروف بالمظروف الحقيقيين بجامع مطلق تلبس شىء بشىء ، ثم استعيرت «فى» الموضوعة لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين لتلبس الجذوع المستعلى عليها بالمستعلى ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

ومثله قولهم : « محمود فى غبطة » فلفظ «فى» — كما علمت — موضوع لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين — كما فى المثال السابق — واذا فلفظ «فى» فى المثال المذكور مستعمل فى غير ما وضع له لأن ما بعده لا يصلح للظرفية الحقيقية — كما ترى — لكن لما كانت الغبطة متمكنة من محمود تمكن الظرف من المظروف الحقيقيين شبهت الغبطة بالظرف الحقيقى فى هـــذا التمكن ، واستعمل فيها لفظ « فى » تجـــوزا .

وتقرير الاستعارة فيه على نحو ما سبق ، فتشبه الغبطة بالظرف الحقيقى بجامع التمكن فى كل ، فيسرى هذا التشبيه الى تشبيه تلبس الغبطة بمحمود بتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين بجامع مطلق تلبس شىء بشىء . ثم تستعار «فى» الموضوعة لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقين لتلبس الغبطة بمحمود على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ــ وهكذا يقال فى أمثال ما ذكر .

ومن هذا البيان يعلم أن الاستعارة فى الحرف لابد فيها من تشبيهين يسبقانها ــ أحدهما فى مدخول الحرف ، والثانى فى معناه ــ فالتشبيه فى آية « فالتقطه آل فرعون » جرى ــ أولا ــ فى مدخول لام العلة ، وهو « العداوة والحزن » فى جانب المشبه ، « والمحبة والسرور » فى جانب المشبه به ، ثم جرى ــ ثانيا ــ فى معنى اللام ، وهو ترتب العلة على المعلول ــ والتشبيه فى آية «لأصلبنكم» جرى ــ أولا ــ فى مدخول الحرف ، وهو « الجذوع » فى جانب المشبه ، والظروف الحقيقية فى جانب المشبه به ، ثم جرى ــ ثانيا ــ فى معنى الحرف ، وهو « تلبس الظرف بالمظروف » ــ والتشبيه فى المثال الأخير جرى ــ أولا ــ فى مجرور الحرف ، وهو « الغبطة » فى جانب المشبه ، والظرف الحقيقى فى جانب المشبه به ، ثم جرى ــ ثانيا ــ فى معنى الحرف ، وهو « تلبس الظرف بالمظروف » ــ وعلى هذا فقس .

هذا هو مذهب الخطيب فى استعارة الحرف ــ على ما يفهم من كلامه فى كتابه الايضاح ، فهو ــ كما رأيت ــ لا يجرى استعارة فى مجرور الحرف ، ويعقد التشبيه فيه ، لا فى معنى كلى كما ذهب اليه الجمهور ــ على ما سيأتى ــ قالوا : وهذا هو الأولى لأن الحرف فى حاجة الى ذكر المجرور فاللائق أن يكون التشبيه فيه ، لا فى غيره ، وأن تكون الاستعارة فى الحرف تبعا للتشبيه فى مجروره ــ كما مثلنا ــ .

أما مذهب الجمهور في استعارة الحرف فهو أنهم يعقدون التشبيه في متعلق معنى الحرف (١) ، فيقولون في آية الالتقاط : شبه مطلق ترتب علة واقعية « كالعداوة والحزن » على الالتقاط بمطلق ترتب علة غائية « كالمحبة والسرور » عليه بجامع مطلق ترتب شيء على شيء، فسرى التشبيه من هذين الكليين الى جزئياتهما ، ثم استعير — بناء على هذا التشبيه الحاصل بالسراية — اللام الموضوعة لجزئي من جزئيات المشبه به (٢) لجزئي من جزئيات المشبه (٣) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

ويقال في آية «لأصلبنكم» : شبه مطلق تلبس مستعلى عليه بمستعلي بمطلق تلبس ظرف بمظروف بجامع مطلق تلبس شيء بشيء . فسرى التشبيه من الكليين الى الجزئيات ، ثم استعير — بناء على هذا التشبيه — لفظ «في» الموضوع لجزئي من جزئيات المشبه به (٤) لجزئي من جزئيات المشبه (٥) استعارة تصريحية تبعية .

ويقال في المثال الأخير : شبه مطلق تلبس شيء لا يصلح للظرفية — كالغبطة في المثال المذكور — بشيء آخر بمطلق تلبس ظرف بمظروف بجامع مطلق تلبس شيء بشيء ، فسرى التشبيه من الكليين الى الجزئيات

---

(١) المراد بمتعلق معنى الحرف المعنى الكلي الذي يستلزمه المعنى الجزئي للحرف فلفظ « في » مثلا موضوع لمعنى جزئي هو الظرفية الخاصة في نحو قولك . الماء في الكوز وهذا المعنى الجزئي يتعلق بمعنى كلي هو مطلق ظرفية شيء في شيء ومعنى تعلقه به استلزامه له ، اذ الخاص يستلزم العام ، ولام العلة موضوعة لمعنى جزئي هو ترتب علة خاصة على معلول خاص كما في نحو جئت لتلقى العلم وهذا المعنى الجزئي يتعلق بمعنى كلي هو مطلق ترتب شيء على شيء وهكذا .

(٢) هو ترتب المحبة والسرور المتعلقين بموسى عليه السلام .

(٣) هو ترتب العداوة والحزن المتعلقين بموسى عليه السلام .

(٤) أي في نحو الماء في الكوز .

(٥) أي كما في المثال المذكور .

ثم استعير لفظ «فى» من أحد جزئيات المشبه به (١) لأحد جزئيات المشبه (٢) استعارة تصريحية تبعية .. وهكذا .

وسميت الاستعارة فى الحرف تبعية «على المذهبين» لأنها تابعة لتشبيه – على ما بينا – لا لأنها تابعة لاستعارة أخرى فى المجرور – على رأى الخطيب – أو فى متعلق معنى الحرف – على رأى القوم – اذ لا استعارة فى الموضعين – كما رأيت – ، وليس فى اعتبارها فيهما سوى تكثير المؤنة والكلفة – بخلاف استعارة المصدر فى المشتقات فان فائدتها اشتقاق الفعل أو شبهه منه .

غير أنه نقل عن القوم استعارة متعلق معنى الحرف بأن يقال – بعد اجراء التشبيه فى الكليين فى مثل آية الالتقاط – : ثم استعير اسم المشبه به للمشبه ، فتكون الاستعارة فى الحرف حينئذ تابعة لاستعارة أصلية ، وقد علمت أن لا فائدة مترتبة على اعتبار ذلك .

وكما تسمى تبعية لما ذكرنا تسمى تصريحية للتصريح فيها بالحرف المنقول من المشبه به الى المشبه «كاللام» فى آية «الالتقاط» ، وكلفظ «فى» فى آية «لأصلبنكم» فكلاهما بمثابة لفظ « الأسد » المنقول من الحيوان المفترس الى الرجل الباسل .

وصفوة القول فى الاستعارة التبعية أن يقال :

ان كانت الاستعارة فى الفعل أو شبهه يقدر التشبيه فى معنى المصدر ، ثم ينقل المصدر الى غير معناه الأصلى ، ثم يشتق منه ماوقعت الاستعارة فيه من فعل ، أو وصف ، فتكون الاستعارة فيهما حينئذ تابعة للاستعارة فى المصدر بلا خلاف فى المسألة .

وان كانت الاستعارة فى الحرف فعلى مذهب الخطيب : يقدر التشبيه فى المجرور بالحرف – أولا – ثم فى معنى الحرف – ثانيا –

(١) فى نحو محمد فى بيته .
(٢) كالمثال المذكور .

من طريق السراية ، ثم ينقل الحرف الى المعنى المراد ، فتكون الاستعارة حينئذ تابعة لتشبيه — أما على مذهب القوم ففى قول يقدر التشبيه — أولا — فى متعلق معنى الحرف ، ثم يقدر — ثانيا — من طريق السراية — فى جزئيه ، ثم يستعار الحرف للمعنى المراد ، فتكون الاستعارة حينئذ تابعة لتشبيه — وفى قول آخر عنهم يقدر التشبيه فى متعلق معنى الحرف كسابقه ، ثم يستعار اسم المشبه به الكلى للمشبه الكلى ، ثم يقدر التشبيه «ثانيا» فى الجزئيات من طريق السراية ، ثم ينقل الحرف الى المعنى المراد ، فتكون الاستعارة فى الحرف حينئذ تابعة لاستعارة اصلية — ولا يعوزك تطبيق هـــذا الكلام على ما يعرض لك من الأمثلة :

قرينـــة التبعيـــة

قرينة التبعية فى الفعل ، والمشتق (١) مرجعها غالبا الى :

(١) — « الفاعل » بأن يكون اسناد الفعل اليه غير صحيح ، فيدل ذلك على أن المراد بالفعل معنى يناســب الفاعل كما فى قوله تعالى : « انا لما طغى « الماء » حملناكم فى الجارية » ونحـــو قولنا : نطقت « حاله » بكذا — فالطغيان بمعناه الحقيقى يستحيل صدوره من المـــاء — كما أن النطق بالمعنى المعروف يستحيل صدوره من الحال اذ هما من شئون الانسان ، فدل ذلك على أن المراد بالطغيان فى الأول ما يصح اسناده الى المـــاء وهو الكثرة التى جاوزت الحد وأن المراد بالنطق ما يصح اسناده الى الحال ، وهو الدلالة الواضحة .

(٢) — نائب الفاعل بأن يكون اسناد الفعـــل اليه غير صحيح ، فيدل ذلك على أن المراد بالفعل معنى يناسب نائب الفاعل كما فى

---

(١) انما قلنا فى الفعل والمشتق لأن قرينة التبعية فى الحروف غير مضبوطة .

قوله تعالى : (ضربت عليهم « الذلة والمسكنة ») ــ فالضرب ــ وهو نصب الشيء ــ من شأن الخيام ، لا من شأن الذلة والمسكنة اذ هما أمران معنويان فدل ذلك على أن المراد بالضرب معنى يناسبهما ، وهو «الحكم» ويكون المعنى حينئذ : حكم عليهم بالذلة والمسكنة (١) .

(٣) ــ المفعول بأن يكون تسلط الفعل أو ما يشتق منه على المفعول غير صحيح فيدل ذلك على أن المراد بهما معنى يناسب المفعول ــ من ذلك قول ابن المعتز الخليفة العباسي :

جمع الحــق لنـــا فى امــام
قتل « البخل » وأحيا « السماحا »

فالقتل والاحياء الحقيقيان لا يقعان الا على ذى روح ، والبخل والسماح ليسا من ذوات الأرواح فعدم صحة ايقاع القتل على البخل، والاحياء على السماح دليل على أن المراد بالقتل معنى يناسب البخل ، وهو « الازالة » ، وأن المراد بالاحياء معنى يناسب الجود ، وهــو « الاكثار » وكأنه قال : أزال البخل وأكثر السماح (٢) ــ فالقــرينة اذا هى « البخل » فى الأول ، « والسماح » فى الثانى ــ وقد تكون القرينة المفعول الثانى كما فى قول القطامى من قصيدة :

لم تلق قــــوما هم شر لاخــوتهم
منـــا عشية يجرى بالدم الوادى

---

(١) شبه الحكم على الشيء بنصب الخيام عليه بجامع الاشتمال فى كل ؛ ثم استعير ضرب الخيام للحكم واشتق منه ضرب بمعنى حكم على طريق الاستعارة التبعية .

(٢) شــبه أولا ازالة البخل بالقتل بجــامع ما يترتب على كل من العدم . ثم استعير القتل للازالة ، واشتق منه قتل بمعنى أزال ، وشبه ثانيا الاكثار من الشيء باحيائه بجامع شيوع المنفعة فى كل ، ثم استعير الاحياء للاكثار ، واشتق من الاحياء أحيا بمعنى اكثر على سبيل الاستعارة التبعية فى المثالين .

نقريهمو لهذميات نقــد بهـــا
مــا كان خــاط عليهم كل زراد (١)

يقول : لم تجـد أقوى منا فى ايقاع الشر بأعدائنا ، والتنكيل بهم عند النزال ، وتفاقم القتال اذ نطعنهم طعنات نافذات تقد الدروع ، وتشق الضلوع ــ والشاهد فى قوله : « نقريهمو لهذميات » فهــو استعارة تبعية قرينتها « لهذميات » ، وهو المفعول الثانى لنقرى ــ ذلك أن القرى تقديم الطعام للضيف ، فلا يصح ايقاعه على اللهذميات بمعنى الطعنات ، فعلم أن المراد «بالقرى» معنى يناسب هذه الطعنات ، وهو تقديمها الى الأعداء عند اللقاء ــ وقد تكون القرينة المفعولين معا كقول الحريرى :

وأقــرى المســامع ــ اما نطقت
بيانا يقــود الحرون الشموسا (٢)

يقول : وأقدم الى المسامع بيانا يكبح بسحره وعذوبته جمــاح النفوس الصوادف ــ يصف نفسه بسحر البيان ، وعذوبة القــول ــ والشاهد فى قوله : « وأقرى المسامع بيانا » فان « أقرى » استعارة تبعية قرينتها تعلق القرى بكل من المسامع والبيان ــ ذلك أن القرى ــ كما قدمنا ــ تقديم الطعام الى الضيف ، فلا يصح ايقاعه ، وتعلقه

---

(١) القرى على « الى » الاحســان الى الضــيف والهذميــات جمع لهذمية وهى الطعنة الواسعة منسوبة الى اللهذم بفتح اللام والذال وهو السيف القاطع وقد يراد بها الأسنة القاطعة والنسبة المبالغة ، والقد القطع ، وضمن « خاط » معنى قدر فعداه بعلى ، والزراد صانع الزرد بفتح الراء وهو الدرع ، ومعنى زردها نسجها ــ شــبه تقديم الطعنات او الأسنة عند اللقاء بالقرى بجامع ان كلا تقديم ما يصل من خارج الى داخل ، ثم استعير القرى لتقديم الطعنات أو الأسنة ، واشتق من القرى نقريهمو بمعنى نقدم لهم الطعنات او الأســنة على سبيل الاستعارة البعية .

(٢) الحرون من الخيــل مالا ينقاد لصاحبه ومثــله الشموس يقال حرن الفرس وشمس على زنة دخل اذا منع ظهره .

بالمسامع والبيان ، فعلم من هذا أن المراد به معنى يناسبهما ، وهو « التقديم » كالمثال الذى قبله .

(٤) ــ المجرور بأن يكون تعلق الفعل بالمجرور غير مناسب ، فيدل ذلك على أن المراد به معنى يناسب ذلك المجرور كما فى قوله تعالى : « فبشرهم بعذاب أليم » فان التبشير اخبار بما يسر ، فلا يناسب تعلقه بالعذاب ، فعلم من هذا أن المراد بالتبشير معنى يناسب العذاب (١) ، وهو الانذار أى الاخبار بما يحزن ففى قوله تعالى: « بشرهم » استعارة تبعية قرينتها مجرور الحرف ــ ومثله قوله تعالى: (بل نقذف بالحق على الباطل) فقوله : « نقذف » استعارة تبعية بمعنى نرد . ولفظ « الحق » قرينتها اذ أن الحق أمر معنوى لا يناسبه القذف الخاص بالمحسوسات (٢) .

وقد تكون القرينة غير ما ذكرنا كما فى قوله تعالى : « ياويلنا من بعثنا من مرقدنا » ــ على أن يكون « مرقد » اسم مكان ــ والقرينة على الاستعارة كون هذا القول من كلام الموتى ، مع ضميمة قوله : « هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » .

واذ قد فرغنا من التقسيم الأول للاستعارة التصريحية فاليك

التقسيم الثانى باعتبار الملائم

تنقسم باعتبار ذكر الملائم لأحد الطرفين ، وعدم ذكره الى ثلاثة أقسام ــ مرشحة ، ومجردة ، ومطلقة .

---

(١) نزل التضاد بين التبشير والانذار منزلة التناسب بينهما ، ثم شبه الانذار بالتبشير فى ان كلا اخبار بما يسر ، ثم استعير التبشير للانذار واشتق منه بشر بمعنى انذر على طريق الاستعارة التصريحية التبعية التهكمية .

(٢) شبه الرد بالقذف بجامع الابعاد فى كل ، واستعير القذف للرد، ثم اشتق من القذف نقذف بمعنى نرد على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

فالمرشحة — ما قرنت بما يلائم المستعار منه أى المشبه به — سواء كان ذلك الملائم صفة نحوية ، أو معنوية ، أو كان تفريعا [1] — فمثال الأول من الاستعارة الأصلية قولك : « رأيت أسدا حاد الأنياب منتفش اللبدة ، وقولك « جاورت بحرا بعيد الغور » ، فقد استعير فى الأول « الأسد » للرجل الجرىء ، ثم وصف المستعار منه بما يلائمه من حدة الأنياب ، وانتفاش اللبدة ترشيحا للاستعارة واستعير فى الثانى « البحر » ، للعالم الجليل ، ثم وصف المستعار منه بما يلائمه من بعد الغور ترشيحا للاستعارة ، وكلا الترشيحين وصف نحوى — ومثال الترشيح بالصفة المعنوية من الاستعارة الأصلية أيضا قول الشاعر :

ينازعنى ردائى عبد عمرو
رويدك يا أخا عمر بن بكر

لى الشطر الذى ملكت يمينى
ودونك فاعتجر منه بشطر [2]

يقول : ينازعنى عبد عمرو سيفى الذى أقى به نفسى وعرضى ، ثم التفت وقال له : تمهل ، فسأقسم بينى وبينك ، فأحتفظ لنفسى بقائمة الذى بيدى ، وأعطيك أنت صدره — يريد : أنه سيضربه على رأسه بصدر سيفه ضربا يشق ذلك الرأس ، ويشطره ، فهو يهدده

---

(١) الفرق بين الصفة والتفريع أن الملائم ان كان من بقية الكلام الذى فيه الاستعارة فهو صفة وان كان كلاما مستقلا جىء به بعد ذلك الكلام الذى فيه الاستعارة مبنيا عليه كان تفريعا سواء كان بحرف التفريع أولا والعبرة بالاعتبار والقصد فنحو قولك : « رأيت أسدا يرمى » يصح ان يكون من قبيل الصفة ، ومن قبيل التفريع .

(٢) رويدك اسم فعل بمعنى امهل وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب ، ودونك اسم فعل بمعنى خذ ، والاعتجار لف الرأس بنحو ثوب ، واراد بالشطر الذى ملكت يمينه قائم سيفه ، وبالشطر الآخر صدر السيف .

بالقتل حسما للنزاع — والشاهد فيه : استعارة الرداء للسيف ، ثم وصف الرداء الذى هو المستعار منه بما يلائمه من الاعتجار — اذ هو لف الرأس بنحو ثوب — ترشيحا للاستعارة — ومثال الترشيح بالتفريع ، والاستعارة تبعية قوله تعالى : (أولئك الذين اشتروا [1] الضلالة بالهدى ، « فما ربحت تجارتهم ») — استعير الاشتراء للاختيار ، واشتق منه اشتروا بمعنى اختاروا ، ثم فرع عليه بما يلائم المستعار له من نفى الربح والتجارة ترشيحا للاستعارة .

وسمى هذا القسم استعارة « مرشحة » لأن الترشيح معناه التقوية ، وذكر ملائم المشبه به يبعدها عن الحقيقة ، ويقوى فيها دعوى الاتحاد التى هى مبنى الاستعارة .

والمجردة — ما قرنت بما يلائم المستعار له — سواء كان هذا الملائم صفة نحوية ، أو معنوية ، أو كان تفريعا — فمثال الصفة النحوية قول البحترى :

يؤدون التحيـــة من بعيـــد
الى قمـــر من الايـــوان باد [2]

فقد استعار القمر للانسان الجميل ، ثم وصف المستعار له بما يلائمه من كونه مطلا من الايوان تجريدا للاستعارة — وقرينتها قوله : يؤدون التحية من بعيد — ومثله قولك : « أبصرت رئبالا يقود جيشا ، ويخطب الجنود » — استعير الرئبال لقائد همام . ثم وصف المستعار له بما يلائمه من خطابه فى الجنود تجريدا للاستعارة — وقرينتها قوله:

---

(١) شبه ايثار الباطل على الحق واختياره دونه بالاشتراء بجامع استبدال شىء مرغوب عنه بشىء مرغوب فيه ، ثم استعير اسم المشبه به وهو الاشتراء للمشبه الذى هو الايثار والاختيار ثم اشتق من الاشتراء بمعنى الايثار والاختيار « اشتروا » بمعنى آثروا واختاروا على طريق الاستعارة التبعية .

(٢) الايوان اسم لبناء ضخم ومنه ايوان كسرى .

يقود جيشا ؛ ويصح العكس ، فيكون الأول تجريدا ، والثانى هو القرينة ــ ومثال الصفة المعنوية قول كثير عزة :

غمـــر الرداء اذا تبـــسم ضاحكا
غلقت لضحكته رقـــاب المـــال (١)

يقول : انه كثير العطاء ، واسع البذل اذا ابتسم لطالبى معروفه تمكنت رقاب أمواله من ايديهم ، وتعذر انفكاكها كالرهن الحبيس فى يد المرتهن ، وقد عجز الراهن عن استرداده ــ والشاهد فيه : استعارة الرداء للعطـاء بعد تشبيه العطاء به فى أن كلا وقاية حفظ وصيانة ، فالمـال يصون العرض ، والرداء يصون السوأة ، ثم وصف الرداء « بالغمر » الملائم للمستعار له (٢) وهو العطاء تجريدا للاستعارة ــ وقرينتها تتمة الكلام من تبسم الممدوح ، وحبس رقاب أمواله فى أيدى العفاة (٣) ــ ومثال التفريع قولهم : « رأيت غضنفرا فى حومة الوغى فلجأت الى ظل رمحه » ــ استعير الغضنفر للرجل المقـدام بقرينة قوله : فى حومة الوغى ؛ ثم فرع عليه بما يلائم المســتعار له من اللجـوء الى ظل رمحه تجريدا للاستعارة ــ ومثالها من التبعيـة قولك : طغى المـاء فأغرق الوادى . شبه كثرة المـاء بالطغيان على

---

(١) « الغمـر » فى الأصل الماء الـكثير واستعمل هنا بمعنى كثرة العطاء وفى قوله تبسم ضاحكا وصف الممدوح بالبشر والطلاقة مع الوقار وانه لا يقهقه كما يفعل المتبذلون ؛ وقوله « غلقت » من غلق الرهن فى يد المرتهن اذا لم يقدر الراهن على انفكاكه لعجزه عن أداء الدين ، والضحكة بفتح الضاد وسكون الحاء المرة من الضـحك ، ويريد برقاب المال اصوله .

(٢) هذا اذا كان من غمر الماء اذا كثر اما اذا كان من قولهم : ثوب غامر اى واسع فضفاض فهو ترشيح ــ على أن حقيقة الغمر الكثير من الماء ، فاطلاقه على الكثير من العطاء مجاز ، فالملائم فى الترشيح أو التجريد ما كان مناسبا سواء كان حقيقة أو مجازا

(٣) انما جعل تتمة الكلام قرينة الاســتعارة ، مع جـواز أن يكون الوصف بالغمر قرينتها ، بل هو أولى لتقدمه لأن المقصود بالاستعارة لا يتضح الا مع هذه الاضمامة .

ما سبق بيانه وقوله « فاغرق الوادى » تفريع أتى به تجريدا للاستعارة .

وسمى هذا القسم « استعارة مجردة » لتجردها عما يقوى فيها دعوى الاتحاد — ذلك أن ذكر ملائم المستعار له الذى هو المشبه يقربها من المعنى الحقيقى ، ويضعف فيها دعوى اتحاد الطرفين — وقد اجتمع الترشيح والتجريد فى قول « زهير بن أبى سلمى » .

لدى أسد شاكى السلاح مقذف

له لبـــد أظفـــاره لم تقلم (١)

استعار الأسد للرجل الجرىء ، ثم أتى بجملة ملائمات — بعضها للمستعار له ، وبعضها للمستعار منه ، وبعضها مشترك بينهما — فقوله : « شاكى السلاح » أى تامه تجريد لأنه من ملائمات المستعار له ، وقوله : « له لبد » ترشيح لأنه من ملائمات المستعار منه — أما قوله : « مقذف » فان أريد به المقذوف باللحم كناية عن ضخامته لم يكن تجريدا ، ولا ترشيحا لملاءمته لكل منهما ، وان أريد به الذى يقذف بنفسه فى المعارك — سواء كان بآلة حرب أو بغيرها فكذلك فان القذف بآلة حرب كان تجريدا لأنه يناسب الجرىء من الرجال اذ هو الذى يحمل السلاح — وأما قوله — أظفاره لم تقلم فان أريد به أن ذاك الأسد ليس من الجنس الذى تقلم أظفاره كان ترشيحا لأن الأسد الحقيقى ليس من شأنه ذلك ، وان أريد جعله كناية عن نفى الضعف لم يكن ترشيحا ولا تجريدا لأنه قدر مشترك بين الطرفين — وقرينة الاستعارة قوله : « لدى أسد » على تقدير : أنا لدى أسد فان كانت القرينة حالية اعتبر هذا تجريدا لملاءمته للمستعار له — ومما اجتمع فيه الأمران قول الشاعر :

رمتنى بسهم ريشه الكحل لم يضر

ظـواهر جلدى وهو للقلب جارح

---

(١) « شاكى » أصله شائك دخله القلب المكانى واللبد على زنة عنب جمع لبده وهى ما تلبد من شعر الأسد على منكبيه ؛ ولم تقلم اى لم تقطع مبالغة فى القلم وهو القطع .

شبه النظر بالسهم فى شدة التأثير ، واستعار السهم للنظر ، « وريشه » ترشيح لأنه من ملائمات المستعار منه من قولهم : راش السهم اذا ألصق عليه الريش ليكون أحكم فى الرماية ؛ « والكحل » تجريد لأنه من ملائمات المستعار ــ والقرينة حالية بهذا الاعتبار فان اعتبر « الكحل » قرينة كان « ريشه » ترشيحا ؛ واعتبرت الاستعارة مرشحة .

ومما ينبغى أن يعلم أن اعتبار الترشيح والتجريد انما يكون بعد استيفاء الاستعارة قرينتها ــ فقولك : « رأيت سحابا يعطى » استعارة لا ترشيح فيها ولا تجريد لعدم اقترانها بما يلائم أحد الطرفين ؛ وأما قولك : « يعطى » فهو قرينة الاستعارة ؛ فلا يعتبر تجريدا ؛ وان كان من ملائمات المستعار له ــ لأن الترشيح والتجريد ــ كما قلنا ــ انما يعتبران بعد تمام الاستعارة ؛ وهى انما تتم بالقرينة ــ ولو أن القرينة فى هذا المثال حالية لكان قولك « يعطى » تجريدا لملاءمته للمستعار له .

والمطلقة ــ ما لم تقترن بشىء من ملائمات أحد الطرفين كما تقول : « عطشى الى لقائك شديد » ــ شبه الشوق بالعطش بجامع ما يترتب على كل من التلهف ؛ ثم استعير العطش للشوق ــ والقرينة قولك : الى لقائك ــ ومثله قولك : « رأيت بحرا فى سوق عكاظ » أى شاعرا فحلا فالاستعارة فى المثالين مطلقة لعدم اقترانها بشىء يلائم أحد الطرفين . وسمى هذا القسم استعارة مطلقة لاطلاقها عن التقييد بما يلائم أحد الطرفين .

قالوا : ومن قبيل المطلقة ما اجتمع فيها ترشيح وتجريد كالبيتين السابقين لأنهما باجتماعهما تتعارضان فتتساقطان . فكأن لا ترشيح، ولا تجريد ؛ وكما فى قولك : « زارنى غيث غزير يعطى باليمين واليسار » ففى هذا المثال ذكر ما يلائم الطرفين ، فالغيث ، وهو المشبه به يلائمه غزير ، والرجل الجواد ، وهو المشبه يلائمه يعطى باليمين

واليسار فالاستعارة مطلقة ــ اللهم الا اذا زاد أحدهما على الاخر ، فانه حينئذ يرجح جانبه ــ وبناء عليه يكون قول زهير : «لدى أسد شاكى السلاح » « البيت » من قبيل الاستعارة المجردة ان جعلت القـرينة حالية لأن ملائمات المستعار له حينئذ أكثر من ملائمات المستعار منه ــ كما أن قولك « رأيت أسدا على فرس منتفش اللبدة رهيب الزئير » من قبيل الاستعارة المرشحة على تقدير أن القرينة حالية لأن ملائمات المستعار منـه حينئذ أكثر فهى بهذا الاسم أجدر ، ورجح بعضهم جانب السابق لسبقه .

موازنة بين هذه الثـلاثة

الاستعارة المرشحة ــ كما قلنا ــ ما ذكر فيها ملائم المستعار منه أى المشبه به ــ وهذا مما يزيد الاستعارة قوة مبالغة ــ ذلك أن مبنى الاستعارة ــ كما علمت ــ على تناسى التشبيه ، وادعاء أن المشبه هـو المشبه به ، لاشىء سواه ــ والترشيح الذى هو ذكر ملائم المشـبه به امعان فى هذا التناسى ، وغلو فى دعوى الاتحاد ، وكأن ليس هناك استعارة بل ولا تشبيه حتى انك لتجد الشـاعر ، أو الناثر يمعن فى انكارها ، ويخيل للسامع أن الأمر محمول على حقيقته ، لا تجوز فيه ــ ألا ترى الى قول أبى تمـام :

ويصـعد حتى يظن الجهـول بأن له حـاجة فى السماء

فقد استعار لفظ «الصعود » ، وهو العلو الحسى المكانى لعلو المرتبة ، ثم بنى كلامه على أنه صعود حسى حقيقة امعانا فى تنـاسى التشبيه ، وفى انكار أن هناك استعارة ، فذكر ما يلائم هذا الصعود الحسى من ظن الجهول أن للصاعد حاجة فى السماء ، ولولا أنه تناسى، أو أنكر أن هناك تشبيها ، واستعارة ، وأنه جعل الممدوح صاعدا فى السـماء صـعودا حسيا مشاهدا ما كان لهذا الكلام وجه ــ يؤيد ذلك ما تقـدم من قول الشاعر :

قامت تظللنى من الشمس
نفس أعز على من نفسى
قامت تظللنى ومن عجب
شمس تظللنى من الشمس

وقول الآخر :

لا تعجبوا من بلى غلالته
قد زر أزراره على القمر

ففى الأول شبه انسانا جميلا بالشمس ، ثم استعار الشمس له . وفى الثانى شبه انسانا جميلا بالقمر ، ثم استعار القمر له ، ثم تناسى التشبيه ، وتناسى الاستعارة ، وبنى الكلام على أن الشمس والقمر حقيقتان ولولا ذلك ما كان للتعجب « فى الأول » ولا للنهى عنه « فى الثانى » معنى — على ماسبق من أنه لا معنى للتعجب من أن ذاتا جميله تظلل انسانا من الشمس ، ولا معنى للنهى عن التعجب من أن ذاتا جميلة تبلى غلالة .

واذا كان هذا شأن المرشحة كانت جديرة أن تحل المكان الأول بين أختيها ويلى المرشحة فى القوة الاستعارة المطلقة اذ هى — كما عرفت — ما لم يذكر معها شىء يلائم أحد الطرفين ، فهى — وان خلت مما يقوى تناسى التشبيه ، ويدعم دعوى الاتحاد من ذكر ما يلائم المشبه به — ليس فيها ما ينافيهما من ذكر ما يلائم المشبه واذا كان هذا حالها كانت خليقة أن تحتل مكانا وسطا بين أختيها — المرشحة ، والمجردة .

ومن هنا يبدو لك واضحا أن الاستعارة المجردة فى المرتبة الدنيا لاشتمالها على ما يلائم المشبه اذ هو يتعارض مع ما تقتضيه الاستعارة من تناسى التشبيه ودعوى الاتحاد قضاء لحق المبالغة .

تنبيه

تقريرا لما سبق من جواز البناء على المشبه به فى الاستعارة بذكر أوصاف تلائمه نقول : ان البناء على المشبه به ليس خاصا بالاستعارة،

بل ورد البناء عليه فى التشبيه أيضا كما فى قول العباس بن الأحنف :

هى الشمس مسكنها فى السماء
فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود
ولن تستطيع اليك النزولا

فهو يشبه انسانة جميلة بالشمس ، ثم يتناسى التشبيه ، فيذكر أحوالا تخص الشمس من أن السماء مسكنها ، وأنها لا تستطيع النزول كما لا يستطاع اليها الصعود وكقول أبى العلاء المعرى .

هى قالت لما رأت شيب رأسى
وأرادت تنكرا وازورارا (١)
أنا بدر وقد بدا الصبح فى رأسـ
ـك والصبح يطرد الأقمارا
لست بدرا وانما أنت شمس
لا ترى فى الدجى وتبدو نهارا

فقد شبهت نفسها بالبدر ، ثم تناست التشبيه ، فذكرت ما يخص المشبه به من كون الصبح لا يجامع البدر ، وشبهها هو بالشمس ، ثم تناسى التشبيه ، فذكر ما يلائم الشمس من أنها لا ترى الا نهارا (٢) .

واذا جاز البناء على المشبه به أى ذكر ما يلائمه من الصفات ، مع الاعتراف بالمشبه فى التشبيه كان البناء عليه ، مع جحد المشبه فى

---

(١) الازورار العدول والانحراف .

(٢) بل لقد ورد ما هو ابعد من هذا ــ فقد وقع فى بعض أشعار العجم النهى عن التعجب ، مع الاعتراف بالمشبه ، ومع التصريح بأداة التشبيه ــ وحاصل كلامهم فى ذلك قولهم : لا تعجبوا من قصر ذوائبه فانها كالليل ووجهه كالربيع ــ فمن المعلوم ان المائل الى القصر فى الربيع هو الليل الحقيقى ولما تنوسى التشبيه ، وادعى أن الذوائب هى الليل الحقيقى وان وجه المحبوب هو الربيع نفسه نهى عن التعجب من قصر الذوائب ، فقد بنى على المشبه به مع الاعتراف بالمشبه ، ومع التصريح بالأداة .

الاستعارة أولى اذ قد طوى فيها ما يتعارض مع هذا البناء ، وهـو ذكر المشـبه (١) .

الاستعارة المكنية :

سبق أن قسمنا الاستعارة باعتبار ذكر أحد طرفيها الى تصريحية ، ومكنية وقد فرغنا من الكلام فى التصريحية ، وهاك البحث فى الاستعارة المكنية .

تعريفها ــ اختلفت الآراء فيه :

فمذهب السلف ، وجمهور علماء البيان ــ وهو المشهور : أنها لفظ المشبه به المستعار فى النفس للمشبه ، والمحذوف المدلول عليه بذكر شيء من لوازمه وخواصه كما فى قول أبى ذئيب الهـذلى (٢) من قصيدة :

واذا المنيـة أنشبت أظفـارها   ألفيت كل تميمـة لا تنفـع (٣)

يقول : اذا حان الأجل عجزت عنده الحيل ، ولا مرد لقضاء الله ــ شبه الهذلى المنية بالسبع فى اغتيال النفوس ، من غير تمييز بين نافع

---

(١) قيل : اذا كان البناء على المشـبه به موقوفا على تناسى التشبيه ــ كما تقدم والتناسى ينافيه الاعتراف بالمشبه كان البناء على المشبه به عند ذكر المشبه ممتنعا فكيف يدعى جوازه ؟ اجيب : ان المنافى للبنـاء على المشبه به انما هو ذكر المشبه مع الاشعار بأنه باق على أصله من انه لم يبلغ مرتبة المشبه به ، ومجرد ذكر الطرفين لا يشعر بما ذكر ، فيتأتى معه تناسى التشبيه ، وادعاء اتحاد الطرفين فى الحقيقة بدليل حمل احدهما على الآخر والا ما صح الحمل ، وهذا انما يظهر فى التشبيه الخالى عن الأداة واما عند ذكرها ففيه بعد .

(٢) هـو خويلد بن خالد أحـد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام ولم يثبت أن اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم .

(٣) أنشبت أظفارها أى علقتها ومكنتها والفيت وجدت ، والتميمة خرزة تجعل معاذة وتعلق بأعناق الصبيان صونا لهم عن العين أو الجن فى زعمهم .

وضار ، ثم استعار فى نفسه لفظ السبع للمنية بعد تناسى التشبيه . وادعاء أن المشبه من جنس المشبه به ، ثم قدر حذفه دالا عليه بذكر بعض خواصه ، وهو « الأظفار » ، ثم أثبته للمشبه الذى هو المنية على سبيل الاستعارة المكنية ــ وكما فى قول الشاعر الآخر :

اذا هــزه فى عظم قــرن تهللت

نواجذ أفواه المنــايا الضــواحك (١)

شبه المنايا عند هزه السيف فى عظم قرنه بانسان يضحك لتوفر دواعى السرور ، ثم استعار فى نفسه لفظ المشبه به وهو « الانســان الضاحك » للمنايا بعد التناسى والادعاء ، ثم حذفه ، ودل عليه بذكر بعض لوازمه ، وهو « تهلل النواجذ » وأثبته للمنايا على ســبيل الاستعارة المكنية ــ وكقول الشاعر :

ولئن نطقت بشــكر برك مفصــحا

فلســـان حالى بالشــكاية أنطق

يقول : ان نطقت بلســانى مفصحا عن شكر يدك فلســان حالى أنطق بالشكاية منك لأن ضرك أكثر من نفعك ــ شبه الحال بانسان متكلم فى الدلالة على المقصود ، ثم استعير الانسان للحال ، ثم حذف ، ودل عليه بلازمه ، وهو « اللسان » ، وأثبت للحال ، على ســبيل الاستعارة المكنية .

وكقول زهير بن أبى سلمى :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله

وعرى أفراس الصــبا ورواحله (١)

---

(١) انقرن بكسر القاف الند والنظير ، وتهلل تلألأ وأشرق ، والنواجذ هى الأضراس جمع ناجذ والنجذ العض .

(٢) « صحا » من الصحو بمعنى زوال السكر والافاقة منه ، والمراد به السلو وهو زوال العشــق من القلب ، ففيه اســتعارة تبعية ــ شبه الســلو من العشــق بالصــحو بالمعنى المذكور بجامع انتفاء ما يحول دون الرشد ، ثم استعير اسم المشبه به واشتق منه صحا بمعنى سلاــ «واقصر باطله » يقال : أقصر عن الشىء اذا أقلع عنه وتركه ، مع القدرة عليه ، =

يقول الشاعر : انه ثاب الى رشده ، وسلا قلبه عن سلمى ، وأقلع عن تعاطى الهوى معها ، وجنب نفسه ما كان فيه من غواية وجهل ، وسلك مناهج الحق والرشاد .

والشاهد فيه الشطر الثانى من البيت حيث شبه الصبا ــ بمعنى الميــل الى الصبوة والجهل ــ باحدى جهات المسير الى غاية كتحصيل علم ، أو تجارة أو نحوهما بجامع ما يتطلبه كل من تجشم للمشاق ، واجتياز للمسالك الوعرة ، من غير مبالاة بما يستهدف من خطر ، ولا اكتراث لما يعرض من شدة ، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه ، ثم قدر حذفه مدلولا عليه بلازمه ، وهو الأفراس والرواحل ، ثم أثبت هــذا اللازم للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية (١) .

ففى هذه الأمثلة الأربعة حذف لفظ المشبه به ، وكنى عنه بذكر لازمه ، ثم أثبت هذا اللازم للمشبه المذكور ، وكل ما كان من هــذا القبيل ففيه استعارة مكنية :

ففى المثال الأول حذف لفظ المشبه به ،وهو « السبع » ، وبقى

= فاذا عجز عنه قيل : قصر عنه بلا ألف ، وباطل القلب ميله الى الهوى ـ وانما صح اسناد الاقصار الى الباطل ، وهو ليس بذى قدرة واختيار ـ أما لأن فى العبارة قلبا ، وأن الأصل : أقصر القلب عن باطله ، فقلب وأسند الفعل الى الباطل مجازا عقليا ـ واما لأن المراد بالاقصار معناه المجازى وهو مطلق الامتناع ، لا الامتناع مع القدرة الذى هو المعنى الحقيقى، فيكون معنى قوله أقصر باطل القلب : امتنع عنه وانتفى وزال ـ والرواحل جمــع راحله وهى البعير القوى على الأســفار ، ومعنى تعرية الأفراس والرواحل تجريدها من سروجها ورحالها للكف عن استخدامها فى هــذا السبيل كناية عن انصرافه عما كان فيه من لهو وعبث .

(١) ويحتمل أن الشاعر أراد بالأفراس والرواحل ماتركز فى النفوس من شهوات جامحة ، مع ما أودع فيها من قوى تعينها على استيفاء الملذات كالصحة والفراغ وما اليهما من جهد وتدبير ـ أو أراد بها الأسباب التى تتهيأ عادة ابان الصبا كالمال والأعوان ، فتكون الاستعارة حينئذ تحقيقية فى الأفراس والرواحل لتحقق معناها عقلا ان أريد بهــا شهوات النفوس وما اليهــا ، أو حسا ان أريد بهــا الأســباب ووجه الشبه بين الأفراس والرواحل ، وبين ما ذكر فى الوجهين ان كلا آلة لتحصيل ما لا يخلو عن مشقة وجهد .

المشبه وهو « المنية » ، وكنى عن المشبه به بذكر لازمه الذى هو « الأظفار » ، ثم أثبت هذا اللازم للمنية ، فقيل : « أظفارها » .

وفى المثال الثانى حذف لفظ المشبه به ، وهو «الانسان الضاحك» وبقى المشبه ، وهو « المنايا » ، وكنى عن المشبه به بذكر لازمه ، وهو « تهلل النواجذ » ، ثم أثبت هذا اللازم للمشبه ، فقيل : « تهللت نواجذ أفواه المنايا » .

وفى المثال الثالث حذف لفظ المشبه به ، وهو «الانسان الناطق» وبقى المشبه وهو « الحال » ، وكنى عن المشبه به بذكر لازمه ، وهو «اللسان» ثم أثبت هذا اللازم للمشبه فقيل : « فلسان حالى » .

وفى المثال الرابع حذف لفظ المشبه به ، وهو الجهة التى يقصد منها الى الغاية ، وبقى المشبه وهو الصبا ، وكنى عن المشبه به بذكر لازمه ، وهو الأفراس والرواحل ، ثم أثبت هذا اللازم للمشبه ، فقيل : أفراس الصبا ورواحله — وهكذا فالمذكور فى المكنية من الطرفين هو المشبه دائما عكس الاستعارة التصريحية — على ما عرفت .

والدليل على التشبيه حينئذ اثبات ذلك اللازم لأن اثبات لازم الشىء لغيره انما يدل على أن ذلك الغير مشبه بذلك الشىء ، ومنزل منزلته ، والا ما صح أن يثبت له لازمه

وسميت هذه الاستعارة مكنية لعدم التصريح فيها بذكر المشبه به والكناية عنه بذكر بعض خواصه — كما رأيت —

وذهب الخطيب القزوينى الى أن الاستعارة المكنية هى :

التشبيه المضمر فى النفس المدلول عليه باثبات لازم المشبه به للمشبه كما فى نحو قول الهذلى السابق — ويقال فى اجراء الاستعارة فيه على هذا المذهب : شبهت المنية بالسبع تشبيها مضمرا فى النفس بجامع الاغتيال ، ثم تنوسى التشبيه ، وادعى أن المشبه من أفراد المشبه به ، ثم اثبت لازم المشبه به ، وهو « الأظفار » للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية — وهكذا يقال فى أمثال ما ذكر .

وعلى هذا المذهب خرجت الاستعارة عن أن تكون من أفراد المجاز اللغوى لأنه اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له فهو من عوارض الألفاظ ، والاستعارة المكنية — على هـذا المذهب — هى التشـبيه المضمر فى النفس الخ ، وهو فعل من أفعال المتكلم — بخلافها « على مذهب الجمهور » فانها من قبيل المجاز اللغوى ، اذ هى لفظ المشبه به، المستعار للمشبه ، المرموز له بشىء من لوازمه — على ما سبق —

واذا فاطلاق لفظ « الاستعارة » على المكنية — على رأى الخطيب — مجرد تسمية خالية عن المناسبة (١) ، وأما اطلاق لفظ « المكنية » عليها فظاهر اذ لم يصرح فيها بالتشبيه ، وانما كنى عنه بذكر لازم المشبه به ، واثباته للمشبه .

قرينة المكنية :

هى اثبات لازم المشبه به المحـذوف للمشـبه المذكور كاثبات الأظفار للمنية فى بيت الهذلى ، وكاثبات تهلل النواجذ للمنايا فى البيت الثانى ، وكاثبات اللسان للحال « فى البيت الثالث » ، وكاثبات الأفراس والرواحل للصبا « فى بيت زهير » — فاثبات مثل هذه الأشياء قرينة على أن فى الكلام استعارة بالكناية .

وهذا الاثبات يسمى عندهم « استعارة تخييلية » — أما أنه استعارة فلأن اللازم المذكور — وهو الأمر المختص بالمشبه به — استعير للمشبه ، واستعمل معه — وأما أنه استعارة تخييلية فلأن ذلك اللازم لمـا نقل واستعمل مع المشبه خيل للسامع أن المشبه من جنس المشبه به — ومن هنا يتبين لك أمران :

---

(١) التمس بعضهم وجها لهذه التسمية هو ان هذا التشبيه المضمر أشبه الاسـتعارة من حيث ان فيه ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به ذلك أنه لما أثبت اللازم للمشبه دل ذلك على أن مريد التشبيه ادعى دخوله فى جنس المشـبه به حتى استحق خواصـه والادعاء المذكور من شـأن الاستعارة .

الأول — أن قرينة المكنية استعارة تخييلية دائما — عند القوم والخطيب اذ هى — عندهم — اثبات لازم المشبه به للمشبه — وأنهما متلازمان ، فلا توجد احداهما ، بدون الأخرى أى لا توجد التخييلية بدون المكنية ، والمكنية يجب أن تكون قرينتها تخييلية — أما فى الأول فلأن التخييلية لو وجدت مع التصريحية ، أو مع مجاز آخر كانت ترشيحا لا تخييلا (١) — وأما فى الثانى فلأن التخييلية — كما عرفت — اثبات ما للمشبه به للمشبه — على المذهبين — وهذا الاثبات عندهما يسمى تخييلا وقد علمت وجهه .

الثانى — أن طرفى الاستعارة التخييلية مستعملان فى معنييهما الحقيقيين ، فالأظفار والمنية مثلا كلاهما مستعمل فى المعنى الموضوع له ، والتجوز انما هو فى اثبات الأظفار للمنية اذ أن المنية لا أظفار لها ، فهو اثبات الشىء لغير ما هو له كالمجاز العقلى فى نحو : أنضر الربيع الشجر اذا صدر القول عن موحد فان كلا من الانضار والربيع مستعمل فى معناه الحقيقى ، والتجوز انما هو فى اثبات الانضار للربيع .

تنبيهان

الأول — اعلم أن ذلك اللازم المراد اثباته للمشبه يجب أن يكون به كمال وجه الشبه فى المشبه به ، أو أن يكون به قوامه ووجوده .

فالأول كما فى بيت الهذلى فان وجه الشبه فيه بين السبع والمنية هو « الاغتيال » ، والاغتيال فى السبع يحصل بشىء آخر غير الأظفار

(١) الفرق بين الترشيح والتخييل أن الترشيح يكون فى غير المكنى عنها والتخييل خاص بالمكنى عنها — فمثال الترشيح فى التشبيه قولهم : اظفار المنية الشبيهة بالسبع أودت بفلان — ومثاله فى المجاز المرسل قوله صلى الله عليه وسلم لأزواجه : أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا فان اليد مجاز مرسل عن النعمة لصدورها من اليد ، وقوله : أطولكن ترشيح لذلك المجاز اذ هو مأخوذ من الطول بالفتح وهو الانعام وذلك ملائم لليد الحقيقية ، فالترشيح اذا لا يختص بنوع خاص من أنواع المجاز وليس كذلك التخييل .

كالأنياب ، لكنه بالأظفار يكمل ويتم ــ وكما فى قول الشاعر الآخر فان وجه الشبه بين الانسان الضاحك والمنايا هو السرور وهو ــ ان أمكن أن يظهر فى غير تهلل النواجذ لكنه لا يكمل الا به .

والثانى كما فى قول الشاعر الثالث ، فان وجه الشبه بين الانسان والحال هو الدلالة الواضحة ــ على ما سبق ــ وهى لا تتحقق بدون اللسان ــ وكما فى قول زهير فان وجه الشبه بين الصبا والجهة الموصلة للمطلوب ما يتطلبه كل من تحمل مشاق الوصول الى الغرض وهو لا يتحقق بدون الأفراس والرواحل ــ وان جاز أن يتم الوجه بدون الأفراس والرواحل فانه بهما أتم وأكمل .

الثانى ــ علم مما سبق : أن الخطيب يخالف السلف فى تعريف المكنية ، ويتفق معهم فى قرينتها ــ وأن المكنية والتخييلية عند الخطيب فعلان من أفعال النفس ــ هما التشبيه ، والاثبات فليسا من المجاز اللغوى لأنه من عوارض الألفاظ ــ كما قلنا ــ وأن التخييلية عند الخطيب والقوم من قبيل المجاز العقلى لما فيها من اثبات الشىء لغير ما هو له [1] اهـ .

---

(١) تنقسم المكنية كالتصريحية الى اصلية وتبعية ــ والى مرشحة ، ومجردة ، ومطلقة ــ فالأصلية كاستعارة اسم الجنس فى نحو قول الشاعر :

واذا العناية لاحظتك عيونها   نم فالمخـــاوف كلهن أمان

فالمستعار هنا لفظ « انســان » المحذوف ، وهو اسم جنس ــ والمكنية التبعية كاستعارة اسم المشتق فى قولك : يعجبنى اراقة الضارب دم الباغى ــ واجراؤها أن يقال : شبه الضرب الأليم بالقتل بجامع الايذاء الشديد ، واستعير القتل للضرب الشديد ، واشتق من القتل « قاتل » بمعنى ضارب ضربا شديدا ثم حذف ودل عليه بلازمه وهو « الاراقة » والقرينة اثبات الاراقة للضارب ــ والمكنية المرشحة نحو : شم على رائحة العلم شبه العلم بالمسك وحذف المشبه به بعد استعارته ودل عليه بلازمه وهو الرائحة ، والقرينة اثبات الرائحة للعلم وقوله : « شم » ترشيح لأنه من ملائمات المسك الذى هو المشبه به ــ والمكنية المجردة كقول الشاعر : نقريهمو لهذميات نقد بها « البيت » شبه اللهذميات =

اختبـــار

(١) ــ عرف كلا من الاستعارة الوفاقية والعنادية ، ومثل لكل بمثــال ، مع اجراء الاستعارة فيه ، ومن أى قبيل قوله تعالى : « أو من كان ميتا فأحييناه » ؟

(٢) ــ أجر الاستعارة فى نحو قولك : راعنى الورد تريد الخد الأحمر ، وبم تسمى هذا النوع من الاستعارة ؟

(٣) ــ عرف الجامع بين طرفى الاستعارة ، وافرق بينه وبين وجه الشبه فى التشبيه ، ثم أجر الاستعارة فى قوله صلى الله عليه وسلم : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرمه كلما سمع هيعة طار اليهــا » واذكر ما ورد على هذا المثال .

(٤) ــ عرف الاستعارة الخاصة أى الغريبة ، وأجرها فى قول الشــاعر :

واذا احتبى قربوســـه بعنـــانه
علك الشـــكيم الى انصراف الزائر

وبين وجه الغرابة فيه ، وفى قول الشاعر : « وسالت بأعناق المطى الأباطح » مع وضوح وجه الشبه فى الأخير .

(٥) ــ قسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار ، وعرف كل قسم، ومثل له وكيف صحت الاستعارة فى نحو : « زارنى اليوم باقل » تريد رجلا عييا لا يكاد يبين ، مع اشتراط أن يكون المســتعار اسم

= بما يقدم للاضياف من طعام ، ثم استعير اسم المشبه به للمشبه ، ثم حذف ودل عليه بشىء من لوازمه وهو قوله : نقريهمو فان القرى تقديم الطعـــام وهو من خواص المشـــبه به والقرينة اثبــات القرى للهذميات وقوله : « نقد » تجريد للاستعارة لأنه من ملائمات المشبه ــ والمكنية المطلقة كما فى قولهم : نطقت الحال بكذا استعير الانسان للحال ، ثم حذف ودل عليه بنطق ــ والقرينة اثبات النطق لها .

جنس كلى ، ثم أجر الاستعارة فى نحو قولهم : « قتل على عدوه » أى أذله .

(٦) ــ بين وجه كون الاستعارة فى المشتقات تبعية بمثال من عندك ، ثم اذكر ما قالوه فى تعليل تبعيتها ، وبم رد هذا التعليل ؟

(٧) ــ أجر الاستعارة فى قوله تعالى : « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » على كل من مذهبى الخطيب والجمهور ، مع بيان علة تسمية الاستعارة فى الحرف تبعية .

(٨) ــ بين مدار قرينة التبعية فى المشتقات والحروف ، مع التمثيل ، ومع بيان قرينة الاستعارة فى قوله تعالى : « يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا » .

(٩) ــ عرف كلا من المرشحة ، والمجردة ، والمطلقة ، ومثل لكل بمثال ، مع بيان علة التسمية فى كل منها ، ومن أى قبيل قول الشاعر :

رمتنى بسهم ريشه الكحل لم يضر
ظواهر جلدى وهو للقلب جارح

وهل من قبيل التجريد لفظ « يتصدق » من قولك : رأيت بحرا يتصدق ؟

(١٠) ــ أى الاستعارات الثلاث أبلغ ــ المرشحة ، أو المجردة ، أو المطلقة ، وما وجه الأبلغية ، وهل الترشيح خاص بالاستعارة ؟ وضح كل ذلك بالمثال .

(١١) ــ عرف الاستعارة المكنية على رأى الخطيب والجمهور ، ومثل لها ، مع اجرائها فيما تمثل به على المذهبين ، ثم بين علة تسميتها مكنية فيهما .

(١٢) ــ يقولون ان قرينة المكنية استعارة تخييلية ، وانهما متلازمان ، بين علة هذه التسمية وسبب هذا التلازم .

تمرينات منوعة

(١) ـ أجر الاستعارة ، وبين نوعها ، وقرينتها فيما يأتى :

١ ـ قولك لرجل عيى : يا قس بن ساعدة .

٢ ـ قوله تعالى : فاهدوهم الى صراط الجحيم .

٣ ـ نثرتهم فوق الأحيدب نثرة
كما نثرت فوق العروس الدراهم(١)

٤ ـ وجعلت كورى فوق ناجية
يقتات شحم سنامها الرحل (٢)

٥ ـ « اشتعل الرأس شيبا » .

٦ ـ « بل نقذف بالحق على الباطل » .

٧ ـ « مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه »

٨ ـ « وأما ثمود فهديناهم ، فاستحبوا العمى على الهدى » .

٩ ـ تنام ولم تنم عنك المنايا
تنبه للمنية يا نئوم

١٠ ـ ومن لم يعشق الدنيا قليل
ولكن لا سبيل الى الوصال

١١ ـ أتته الخلافة منقادة
اليه تجرر ـ أذيالها

---

(١) الأحيدب على صورة التصغير اسم جبل بنى عليه سيف الدولة قلعة يقول : فرقتهم على هذا الجبل أشلاء متناثرة كما تنثر الدراهم على العروس .

(٢) الكور بضم الكاف الرجل والناحية الناقة السريعة والاقتيات اتخاذ القوت يقول : أذبت شحم سنامها وهزلتها بوضع الرحل عليها دائما . يصف نفسه بكثرة الاسفار .

١٢ ــ اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عــدو فى ثيــــاب صديق

١٣ ــ واذا تبـــاع كريمة أو تشترى
فســواك بائعهـــا وأنت المشترى

١٤ ــ من كان مرعى عزمه وهمــومه
روض الأمــانى لم يزل مهزولا

١٥ ــ عضـــنا الدهــر بنيـــابه
ليــت مــا حــل بنـــا به

١٦ ــ بكت لؤلؤا رطبا ففاضت مدامعى
عقيقا (١) فصار الكل فى نحرها عقــدا

١٧ ــ أنفقت عمرى فى رضاك وليتنى
أعطى وصــولا (٢) بالذى أنا منفق

(٢) بين فى الاستعارات الآتية الجامع بين الطرفين ، ثم حــول كلا منها الى تشبيه :

١ ــ « وهديناه النجدين » .

٢ ــ تلك آية بينة تخرج متدبرها من العمى الى الابصار .

٣ ــ ما أروع الخدود منثورة على الأغصان .

٤ ــ ما أجمل العيون تختال على سيقانها .

٥ ــ يا بن القمرين أقبل .

٦ــ تعلمت الكرم من سـحاب لا يكف .

٧ ــ بكت لؤلؤا رطبا ففاضت مدامعى
عقيقا فصــار الكل فى نحرها عقــدا

---

(١) معدن كريم احمر اللون .
(٢) جمع وصل وهو صك يؤخذ على المدين استيثاقا .

٨ ــ رمتني بسهم ريشه الكحل

٩ ــ نزلت على حاتم تريد رجلا بخيلا .

(٣) بين فى التشبيهات الآتية وجه الشبه ، ثم حول كلا منها الى استعارة مبينا نوعها وقرينتها :

١ ــ فى هذه الخميلة أزهار كأنها الكواكب ، وفوق الأغصان كروان كأنها القيان .

٢ ــ سكبت دمعا كحبات الجمان .

٣ ــ قوم اذا نهضوا لنجدة صارخ
ركبوا الجياد كأنهن رياح

٤ ــ وان صخرا لتأتم الهداة به
كأنه علم فى رأسه نار

٥ ــ وكأن أجرام النجوم لوامعا
درر نثرن على بساط أزرق

٦ ــ له خال على صفحات خد
كنقطة عنبر فى صحن مرمر

جواب التمرين الأول

(١) نزل التضاد بين العى والفصاحة منزلة التناسب ، ثم نزل العيى منزلة الفصيح تهكما أو تظرفا ، ثم شبه الرجل العيى بقس بن ساعدة بجامع الفصاحة فى كل ، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية التهكمية ــ والقرينة حالية لأن المنادى غير قس .

(٢) نزل التضاد بين الهداية ــ وهى الدلالة برفق ــ ، وبين الأخذ بعنف وقسوة منزلة التناسب ، ثم نزل السوق الى جهنم منزلة الهداية الى الخير تهكما ، ثم شبه السوق عنيفا بالهداية بجامع مايترتب

على كل من النفع ، وان كان ادعائيا فى المشبه ، ثم استعيرت الهداية للسوق ، واشتق منها « اهدوهم » بمعنى : سوقوهم بشدة وعنف على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية ، وقرينتها « المجرور بالى » .

(٣) شبه اسقاط المنهزمين صرعى بلا نظام فى جهات مختلفة بنثر الدراهم على العروس بجامع التفريق فى كل ، ثم استعير النثر للاسقاط بلا نظام ، واشتق منه نثر بمعنى أسقط بلا نظام على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية الداخلية [١] وقرينتها المفعول وهو ضمير الجمع فى « نثرتهم » .

(٤) شبه ازالة شحم السنام شيئا فشيئا بالاقتيات بجامع الافناء التدريجى فى كل ذلك أن اقتيات الشىء ينقصه شيئا فشيئا حتى يفنى ، وكثرة الرحلات والأسفار على الناقة ينقص شحم سنامها تدريجا حتى يزول ، ثم استعير الاقتيات للازالة واشتق منه « يقتات » بمعنى « يزيل » على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية الخاصية أى الغريبة لغرابة الجامع فيها — كما رأيت — وقد أسند هنا فعل « الاقتيات » بعد استعارته الى الرحل ، وهو تجوز لطيف زاد الاستعارة غرابة ولطفا اذ أفاد أن الرحل بحكم ملازمته للسنام طوال الرحلات كأنه هو الذى يقتات من شحم الدابة — وقرينة الاستعارة الفاعل وهو « الرحل » .

(٥) شبه ظهور الشيب وانتشاره باشتعال النار بجامع البياض والتألق فى كل ثم استعير الاشتعال للظهور الواضح ، واشتق منه « اشتعل » بمعنى ظهر ظهورا بينا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، وقرينتها الفاعل ، وهو « الرأس » [٢] .

(٦) شبه رد الباطل بالحجة الدامغة بالقذف بشىء صلب بجامع الابعاد فى كل ، ثم استعير القذف للرد ، واشتق منه « نقذف » بمعنى نرد على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، وقرينتها المجرور بالباء

---

(١) لان الجامع بين الطرفين وهو التفريق داخل فى مفهوميهما .

(٢) على حذف مضاف اى شعر الرأس ففيه مجاز بالحذف ويصح ان يكون مجازا مرسلا من اطلاق المحل وارادة الحال .

وهو « الحق » اذ ليس القذف من شئون « الحق » ، بل من شئون الأشياء الصلبة ــ ويصح أن تكون الاستعارة مكنية فى « الحق » . فيشبه الحق أى الحجج القوية بنحو قطعة من حديد بجامع قوة التأثير فى كل ، ثم استعير لفظ المشبه به ، وحذف ودل عليه بلازمه ، وهو القــذف على ســبيل الاستعارة المكنية ــ وقرينتها ــ كما علمت ــ اثبات القذف للحق .

(٧) فى « وزلزلوا » استعارة تصريحية تبعية ــ شــبه ما نالهم من فزع واضطراب بالزلزلة ، بجامع شدة الاضطراب فى كل ، ثم أستعير الزلزلة للانزعاج الشديد ، والاضطراب البــالغ ، ثم اشتق منه « زلزلوا » بمعنى اضطربوا وانزعجوا على ســبيل الاســتعارة التصريحية التبعية .

(٨) فى « العمى » استعارة تصريحية أصلية ــ شبه الضلال بالعمى بجامع عدم الاهتداء الى الصالح ، ثم استعير العمى للضلال وتصوير الضلال بصورة العمى البغيض للنفس تنفير من الضلال أشد النفور .

(٩) فى « تنام » استعارة تصريحية تبعية مرشحة ــ شبه التغافل بالنوم بجامع عدم النفع ، واستعير النوم للتغافل ، واشتق منه « تنام » بمعنى تتغافل وتتشاغل ــ ويصح أن يكون فى « المنايا » استعارة مكنية أصلية ــ شبهت المنايا بالعدو المترصد بجامع الكراهة والأذى ، ثم استعير العدو للمنايا ، ثم حذف ودل عليه بلازمه ، وهو نفى النوم عنه ، والقرينة فى التبعية حالية اذ المقــام مقام وعظ وارشاد ، والقرينة فى المكنية اثبات فعل النوم منفيا الى المنايا ، وقوله : « تنبه يا نئوم » ترشيح للاستعارة الأولى لأنه من ملائمات المشبه به .

(١٠) فى « يعشق » استعارة تصريحية تبعية مرشحة ــ شبه الاشتغال بالدنيا بالعشق ، والجامع التعلق والاهتمام ، ثم اســتعير العشق للاشتغال ، واشتق منه يعشق بمعنى يشتغل ــ ويصح أن يكون فى « الدنيا » استعارة مكنية أصلية مرشحة ــ شبهت الدنيا بامرأة

جميلة بجامع الأخذ بمجامع القلوب ، ثم استعيرت المرأة للدنيا ، وحذفت ودل عليها بلازمها وهو « يعشق » والقرينة اثبات العشق الذى هو من ملائمات المرأة للدنيا ــ وقوله : لا سبيل الى الوصال ترشيح للاستعارتين لأنه من ملائمات المشبه به فيهما .

(١١) فى « الخلافة » استعارة كنائية أصلية مرشحة . شبهت الخلافة بامرأة حسناء بجامع ميل النفس الى كل ، ثم استعيرت المرأة للخلافة ، وحذفت ودل عليها بلازمها وهو « أتته » ــ والقرينة اثبات الاتيان للخلافة ، وقوله : « منقادة » ، و « تجرر أذيالها » ترشيح .

(١٢) فى « امتحن » استعارة تصريحية تبعية ــ شبه الاشتغال بالدنيا بالامتحان بجامع حصول التعب فى كل ، ثم استعير «الامتحان» للاشتغال ، واشتق منه « امتحن » بمعنى اشتغل ــ والقرينة المفعول الذى هو « الدنيا » لاستحالة وقوع الامتحان بالمعنى المعروف على الدنيا ــ ويصح أن يكون فى « الدنيا » استعارة . مكنية أصلية مرشحة ــ شبهت الدنيا بانسان مخادع بجامع عدم الثبات على حال ، ثم استعير الانسان للدنيا ، وحذف ورمز له بلازمه ، وهو قوله « امتحن » ــ والقرينة اثبات الامتحان الذى هو من ملائمات المشبه به للدنيا . وقوله : تكشفت له عن عدو الخ ترشيح للمكنية .

(١٣) فى « تباع » أو « تشترى » استعارة تصريحية تبعية مرشحة ــ شبه الاستبدال بالبيع أو الاشتراء ، ثم استعير البيع أو الاشتراء للاستبدال ، ثم اشتق منهما تباع وتشترى بمعنى تستبدل ــ ويصح أن يكون فى « كريمة » استعارة مكنية أصلية مرشحة ــ شبهت الخلة الكريمة بجوهرة بجامع الحسن ، ثم استعيرت الجوهرة للخلة الكريمة، وحذفت ودل عليها بذكر لازمها وهو البيع والاشتراء ــ والقرينة اثبات البيع أو الاشتراء اللذين هما من ملائمات الجواهر للخلة الكريمة ــ وقوله : فسواك بائعها وأنت المشترى ترشيح للاستعارتين .

(١٤) فى « كل من العزم والهموم » استعارة مكنية أصلية

مرشحة — شبه كلا منهما بماشية بجامع قبول الانقياد ، ثم استعير لفظ الماشية لكل من العزم والهموم . ثم حذف ودل عليه بلازمه ، وهو « مرعى » — والقرينة اثبات المرعى للعزم والهموم . وقوله : « لم يزل مهزولا » ترشيح للاستعارة لملاءمته للمشبه به .

(١٥) فى « عضنا » استعارة تصريحية تبعية مرشحة — شبه ايلام الدهر بالعض بجامع شدة التأثير فى كل ، واستعير العض للايلام ، واشتق منه « عض » بمعنى « آلم » — والقرينة لفظ « الدهر » لاستحالة قيام العض بالزمان — ويصح أن يكون فى « الدهر » استعارة مكنية أصلية مرشحة — شبه الدهر بحيوان مفترس بجامع الأذى . واستعير الحيوان للدهر ، وحذف ودل عليه بلازمه ، وهو « العض » — والقرينة اثبات العض الذى هو من ملائمات الحيوان للدهر — ولفظ « الناب » ترشيح للاستعارتين .

(١٦) فى « لؤلؤ » استعارة تصريحية أصلية مرشحة — شبه الدمع باللؤلؤ بجامع البياض والتألق ، ثم استعير اللؤلؤ للدمع — والقرينة قوله : « بكت » ، وقوله : فى نحرها عقدا ، ترشيح للاستعارة .

(١٧) فى « انفق » استعارة تصريحية تبعية مرشحة — شبه افناء العمر بانفاق المال بجامع التصرف فى كل ، واستعير الانفاق للافناء ، واشتق منه « أنفق » بمعنى أفنى . والقرينة « المفعول » وهو «عمرى» لاستحالة وقوع الانفاق بمعناه الحقيقى على العمر — ويصح أن يكون فى « العمر » استعارة مكنية أصلية مرشحة — شبه « العمر » بالمال بجامع الانتفاع ، واستعير المال للعمر ، ثم حذف ودل عليه بلازمه ، وهو « انفق » — والقرينة اثبات الانفاق الذى هو من ملائمات المال للعمر وكل من « وصول ومنفق » ترشيح للاستعارتين .

جواب التمرين الثانى

(١) النجد فى الأصل الطريق الواضح المرتفع ، والمراد هنا طريقا الخير والشر والجامع بين الطرفين الوضوح والجلاء ، والتشبيه فيهما أن يقال : وهديناه طريقى الخير والشر اللذين هما كالنجدين أى كالطريقين المرتفعين الواضحين .

(٢) الجامع بين الطرفين فى الأول « عدم الاهتداء » ، والتشبيه فيهما أن يقال : تخرج متدبرها من الضلال الذى هو كالعمى — والجامع بينهما فى الثانى « الهداية » ، والتشبيه فيهما أن يقال : الى الايمان الذى هو كالابصار .

(٣) الجامع بين الطرفين « الحمرة والنضارة » ، والتشبيه فيهما أن يقال : ما أروع الورود منثورة على الأغصان كالخدود .

(٤) الجامع بين الطرفين « الشكل والصورة » ، والتشبيه فيهما أن يقال ما أجمل أزهار النرجس كالعيون تختال على سيقانها .

(٥) الجامع بين الطرفين « الرفعة والاشراق » ، والتشبيه فيهما أن يقال يابن الأبوين الشبيهين بالقمرين .

(٦) الجامع بين الطرفين « الفيض الدائم » ، والتشبيه فيهما أن يقال : تعلمت الكرم من رجل كريم شبه السحاب .

(٧) الجامع بين الطرفين « التألق والحسن » ، والتشبيه فيهما أن يقال : بكت دمعا مثل اللؤلؤ .

(٨) الجامع بين الطرفين « شدة التأثير » ، والتشبيه فيهما أن يقال : رمتنى بلحظ كالسهم .

(٩) الجامع بين الطرفين الكرم تهكما ، والتشبيه فيهما أن يقال : نزلت على رجل كريم كحاتم .

جواب التمرين الثالث

(١) وجه الشبه فى الأول « التألق » والاستعارة فيه أن يقال : فى هذه الخميلة « كواكب » ، وهى تصريحية أصلية ، وقرينتها قوله : « فى هذه الخميلة » — ووجه الشبه فى الثانى « حسن النغم » ، والاستعارة فيه أن يقال : وفوق الأغصان « قيان » ، وهى تصريحية أصلية ، وقرينتها « فوق الأغصان » .

(٢) وجه الشبه « التألق » ، والاستعارة فيه أن يقال . سكبت حبات الجمان وهى تصريحية أصلية ، وقرينتها قوله « سكبت » اذ أن السكب من شأن الدموع ، لا من شأن اللآلىء .

(٣) وجه الشبه « السرعة » ، والاستعارة فيه أن يقال : ركبوا الرياح وهى تصريحية أصلية ، والقرينة قوله « ركبوا » اذ أن الرياح كما تركب المطايا .

(٤) وجه الشبه الوضوح والهداية ، والاستعارة فيه أن يقال : راعنى « علم » فى رأسه نار ، وهى تصريحية أصـلية ، والقرينة حـالية .

(٥) وجه الشبه الهيئة المنتزعة من ظهور أجرام مشرقة ، منثورة على رقعة مبسوطة زرقاء ، والاستعارة فيه أن يقال : بهرنى « درر نثرن على بساط أزرق » وهى تصريحية أصلية ، والقرينة حالية .

(٦) وجه الشبه هيئة ظهور صورة مستديرة سوداء ، فى رقعة مبسوطة بيضاء ، والاستعارة فيه أن يقال : له نقطة عنبر فى صحن مرمر ، وهى استعارة تصريحية أصلية ، والقرينة حالية .

تمرين يطلب جوابه قياسا على ما سبق

بين نوع الاستعارة ، وقرينتها والجامع فيما يأتى :

أصــــون عرضى (١) بمــــالى لا أدنســـه
لا بارك الله بعــد العــــرض فى المــــال

ازرع جميــلا ولو فى غــير موضـــــعه
فــــلا يضــــيع جميــل أينمــــا زرعا

أضاءت لهم أحســابهم (٢) ووجـــوههم
دجى الليل حتى نظـم الجـــذع ثاقبــه

وما المـوت بين النـــاس الا مهنـــــد
بـــكف المنــايا والنفـــوس له غمــد

لقــد نبتت فى القــلب منـــك محبــــة
كمــــا نبتت فى الراحتين الأصـــــابع

ما مــات من كــرم الـزمان فـــانه
يحيــــا لــــدى يحيى بن عبــــد الله

واذا أراد الله نشر فضــــــــــيلة
طــويت أتاح لهــــا لســـــان حســـود

أعــلل (٣) النفس بالآمــــال أرقبهـــــا
ما أضـــيق العيش لولا فســحة الأمــل

قال تعــالى : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » « وقذف فى قلوبهم الرعب » حبك الشيء يعمى ويصم . نهلت الأدب من بحر لايسبر غوره (٤) . انا فى رغد من العيش . اذا غرست جميــــلا فاسقه غدقا (٥) « ينقضون عهــد الله من بعد ميثاقه » .

---

(١) ما يجب صيانته من نفس أو حسب .
(٢) ما تعده من مفاخر الآباء .
(٣) من علل الصبى أو غيره شغله والهاه .
(٤) الغور العمق . (٥) الماء الغدق الغزير .

المجـــار المرســـل :

سبق أن قسمنا المجاز المفرد باعتبار العـلاقة الى قســمين ـ أحدهما الاستعارة وقد انتهى البحث فيها ـ وثانيهما «المجاز المرسل» ؛ وهو ما نحن بصدد الكلام فيه .

تعريفه ـ هو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له لعـلاقة غير المشـــابهة ، مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقى كما فى قولنا : « أمطرت السماء نباتا » فلفظ النبات مجاز مرسل لأنه كلمة استعملت فى « الماء » ، وهو غير المعنى الموضوع له لفظ « النبات » ـ وقرينة استعماله فيه قولك : امطرت السماء اذ أن النبات لا يمطر ـ وليست العلاقة بين النبات والماء المشابهة لبعد التباين بين الحقيقتين ـ وانمـا العلاقة بينهما من حيث ان أحدهما مسبب عن الآخر ، وليس من شـك أن النبات مسبب عن الماء وحســبنا هذه علاقة تصحح استعمال النبات فى الماء كما فى المثـال .

علاقات المجـاز المرســل :

عرفت فيما سبق أن علاقة الاستعارة محصورة فى المشابهة بين المعنيين ـ أما علاقة المجاز المرسل فعلى أنواع شتى ، وهاك أشهرها وأكثرها استعمالا .

(١) ـ السببية ـ وهى أن يكون المعنى الحقيقى للفظ المذكور سببا فى المعنى المجازى ، فيطلق حينئذ اسم السبب ، ويراد المســبب كما تقدم فى قولنا : رعت الماشية الغيث أى النبات ، «فالغيث» مجاز مرسل علاقته السببية لأن المعنى الحقيقى للغيث سبب فى المعنى المجازى الذى هو النبات ـ وقرينة المجاز قولنا : رعت الماشية اذ أن الغيث لا يرعى ـ وكما فىقوله تعالى . «يد الله فوق أيديهم» ، وكقولك: «جلت يدك عندى ، وعمت أياديك الورى» ـ فاليد «فى الآية الكريمة» مجاز مرسل بمعنى القدرة أى ان قدرة الله لا تدانيها قدرة ـ والعلاقة بين

المعنيين كون اليد بمثابة العلة الصورية للقدرة (١) لأن أكثر ما يظهر سلطان القدرة في اليد اذ بها البطش ، والضرب ، والقطع ، والدفع، وغير ذلك مما يعتبر أثرا من آثار القدرة — وقرينة المجاز قوله : فوق أيديهم اذ لا معنى لكون اليد — بمعنى الجارحة — فوق أخرى — « واليد » في المثالين الآخرين مجاز مرسل بمعنى النعمة ، والعلاقة فيهما كون اليد بمنزلة العلة الفاعلية (٢) لأن الاعطاء صدر عنها — والقرينة فيهما قولك في أحد المثالين : « جلت » ، وقولك في الآخر: «عمت» اذ لا معنى لعظم اليد — بمعنى الجارحة — كما أنه لا معنى لعمومها .

(٢) — المسببية — هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور مسببا عن المعنى المراد ، فيطلق حينئذ اسم المسبب ، ويراد السبب كما في قولك : أمطرت السماء «نباتا» أي ماء فالنبات مجاز مرسل علاقته المسببية لأن المعنى الأصلي للنبات مسبب عن المعنى المجازي الذي هو الماء — وقرينة المجاز قوله : «أمطرت» اذ أن النبات لا يمطر — ومثله قوله تعالى : ينزل لكم من السماء «رزقا» أي ماء يتسبب عنه الرزق ، وكقوله تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم «نارا») أي ما لا تتسبب عنه النار — فالعلاقة في الآيتين المسببية ، والقرينة في الأولى قوله «ينزل من السماء» ، وفي الثانية قوله : يأكلون في بطونهم .

(٣) — اللازمية (٣) — أن يكون المعنى الحقيقي للفظ المذكور لازما للمعنى المجازي أي يجب وجوده عند وجود المعنى المجازي ، فيطلق حينئذ اسم اللازم ، ويراد الملزوم كما في قولك : بزغ الضوء

---

(١) بناء على ان المراد بالقدرة الصفة التي تؤثر في الشيء فان اريد بها أثرها فالعلاقة حينئذ السببية .

(٢) انما لم تكن علة فاعلية حقيقة لأن العلة الفاعلية في الحقيقة هي الانسان واليد آلة للاعطاء .

(٣) المعتبر هنا اللزوم الخاص وهو عدم الانفكاك لا مطلق ارتباط .

تريد « الشمس » ، فالضوء مجاز مرسل علاقته اللازمية لأن المعنى الحقيقى للضوء لازم للمعنى المراد الذى هو «الشمس» اذ يلزم من وجود الشمس وجود الضوء ــ والقرينة قوله «بزغ» لأن البزوغ وصف لجرم الشمس ، لا للضوء ــ ومثله قولك : نظرت الى الحرارة أى الى النار ففى الحرارة مجاز مرسل علاقته اللازمية لأن الحرارة توجد حتما عند وجود النار والقرينة قوله : «نظرت» لأن الحرارة لا ترى بالباصرة .

(٤) ــ الملزومية ــ هى أن يكون المعنى الأصلى للفظ المذكور ملزوما للمعنى المجازى أى يلزم من وجوده وجود المعنى المجازى فيطلق حينئذ اسم الملزوم ويراد اللازم كما تقول : «دخلت الشمس من الكوة » (١) تريد : دخل الضوء فالشمس مجاز مرسل علاقته الملزومية لأن المعنى الحقيقى للشمس ملزوم للمعنى المراد الذى هو الضوء ــ والقرينة قوله : «دخلت» فهو وصف للضوء ، لا للجرم المعروف ــ كما لا يخفى ــ ومثله : « ملأت الشمس الغرفة » يريد : ملأ الضوء الغرفة ففى الشمس مجاز مرسل علاقته الملزومية ، والقرينة «ملأت» .

(٥) ــ الكلية ــ هى أن يكون المعنى الأصلى المذكور كلا متضمنا للمعنى المجازى ، فيطلق اسم الكل ، ويراد الجزء كما فى قوله تعالى : « يجعلون أصابعهم فى آذانهم » أى يجعلون أناملهم ، ففى «أصابعهم» مجاز مرسل علاقته الكلية لأن المعنى الأصلى للأصابع كل للأنامل ، متضمن لها وقرينة المجاز استحالة وضع الاصبع كلها فى الأذن عادة ــ ومثله قولك : «أكلت نبات الأرض ، وشربت ماء النيل» ففى نبات الأرض ، وماء النيل مجاز مرسل علاقته الكلية اذ قد أطلق اسم الكل وهو النبات أو الماء ، وأريد الجزء أى بعضه ، والقرينة فى الأول «أكلت» ، وفى الثانى «شربت» لاستحالة أكل الكل أو شربه .

---

(١) الكوة بفتح الكاف وقد تضم الفتحة فى الحائط .

(٦) — الجزئية — هى أن يكون المعنى الحقيقى للفظ المـذكور جزءا من المعنى المجازى ، فيطلق حينئذ اسم الجزء ، ويراد الكل كما فى قوله تعالى : فتحرير «رقبة مؤمنة» أى عبد مؤمن — ففى «رقبة» مجاز مرسل علاقته الجزئية لأن المعنى الحقيقى للرقبة جزء من العبـد والقرينة قوله «فتحرير» لأن التحرير انما يكون للذات كلها ، لا لجزء منها اذ أن العتق لا يتجزأ — ومثله قولهم : «بث الملك «عيونه» فى المدينة » أى جواسيسه ففى «العيون» مجاز مرسل علاقته الجزئية لأن المعنى الأصلى للعين جزء من الجاسوس ، والقـرينة قوله : «بث» لاستحالة بث العيون وحدها — وكقول معبد بن أوس المزنى (١) فى ابن أخته :

أعلمه الرمـاية كل يـوم ... فلما اشـتد (٢) ساعده رمانى

وكم علمتـه نظم القوافى ... فلما قال قافيـــة هجـانى

الشاهد فى البيت الثانى اذ يريد : فلما قال قصيدة — ففى لفظ « قافية » مجاز مرسل علاقته الجزئية لأن المعنى الحقيقى للقافية جزء من القصيدة — وقرينة المجاز لفظ «قال» لأن معناه نظم ، والنظم انما يكون للقصائد — غير أنه يشترط لهذه العلاقة غالبا أحـد أمـور ثلاثة :

الأول — أن يكون انتفاء الجزء مستلزما لانتفاء الكل كمـا فى اطلاق الرقبة على الذات فى المثال الأول اذ ليس من شك أن اتلاف الرقبة اعدام للذات ، فلا يصح حينئذ اطلاق اليـد ، أو الرجل ، أو الأنف على الانسان مجازا مرسلا علاقته الجزئية لأنها أجزاء لا يستلزم انتفاؤها انتفاء الانسان عادة اذ لا تتوقف عليها حياته .

الثانى — أن يكون للجزء مزيد اختصاص بالمعنى المقصـود من

---

(١) هو شاعر مخضرم يحسـن القول فى باب الحكم وفى الشعر الخلقى .

(٢) يروى بالسين المهملة من التسديد فى الرمى اى الاصابة فيه .

الكل كما فى اطلاق العين على الرقيب فى المثال الثانى فان المعنى المقصود من الرقيب هو الاطلاق والتجسس ، ولاشك أن للعين مزيد اختصاص فى تحقق هذا المعنى اذ بانعدامها لايكمل معنى الرقابة، فاطلاق «الأذن» مثلا على الرقيب مجازا مرسلا لايجوز اذ ليس لها مزيد اختصاص بالمعنى الكامل المراد من الرقيب .

الثالث ـ أن يكون الجزء أشرف بقية الأجزاء كما فى اطلاق القافية على القصيدة فى المثال الثالث اذ لا ريب أن القافية هى الأساس الذى تنبنى عليه القصيدة فهى اذا أشرف التفاعيل ، وأولاها بالاعتبار، فلا يجوز اطلاق أى جزء آخر من أجزاء البيت على القصيدة مجازا مرسلا اذ ليس له من الاعتبار ما للقافية .

(٧) ـ الحالية ـ أن يكون المعنى الأصلى للفظ المذكور حالا فى المعنى المراد ، فيطلق حينئذ اسم الحال ، ويراد المحل كما فى قوله تعالى : « وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله ، هم فيها خالدون » أى ففى جنة الله (١) فقوله : فى رحمة الله مجاز مرسل علاقته الحالية اذ أن رحمة الله بمعنى نعمه وآلائه حالة فى جنته ، والقرينة قوله : « هم فيها خالدون » فان الخلود الذى هو الاقامة الدائمة انما يكون فى مكان . ويصح أن تكون قرينة المجاز معنوية ، وهى استحالة ظرفية الرحمة بمعناها الحقيقى ـ ونحو قوله تعالى : « خذوا «زينتكم» عند كل مسجد » أى خذوا لباسكم « فزينتكم » مجاز مرسل علاقته الحالية لحلول الزينة فى اللباس والقرينة قوله : « خذوا » ـ ومثله قولك : نزلت « بالقوم » أى بدارهم ففى القوم مجاز مرسل علاقته الحالية أطلق الحال وهو «القوم» ، وأريد المحل الذى هو الدار والقرينة قوله «نزلت» .

---

(١) الرحمة فى الأصل رقة فى القلب تقتضى الاشفاق والعطف والمراد بها فى جانب الله لازمها وهو الانعام وليس هو حالا فى الجنة لأنه أمر اعتبارى اذ هو تعلق القدرة بالمنعم به ايجادا واعطاء وانما الحال فيها متعلق هذا الانعام وهو الأمور المنعم بها ففيه بناء مجاز على مجاز .

(٨) ــ المحلية ــ هى أن يذكر اسم المحل ، ويراد الحال عكس السابق كما فى قوله تعالى : «فليدع « نّاديه (١) » أى أهل ناديه ــ ففى «ناديه» مجاز مرسل علاقته المحليه لان النادى محل لأهله والقرينة قوله: «فليدع» لاستحالة دعاء النادى بمعناه الحقيقى ــ ومثله قوله تعالى: (واسأل «القرية») أى أهل القرية ففى القرية مجاز مرسل علاقته المحلية لأن القرية بمعناها الحقيقى محــل لســاكنيها ــ وقرينة المجاز قوله « واسأل » لاستحالة ســؤال القرية بمعناها الأصلى ــ ومنه قولهم، أمليت القلم من « الدواة » أى من المداد ففى «الدواة » مجاز مرسل علاقته المحلية اذ أن الدواة محل للمداد فقد أطلق اسم المحل وأريد الحال وهو المداد ــ والقرينة قوله « أمليت » ــ وكما تقول : انصرف « المعهد » أى طلابه فقد ذكر اسم المحل وأريد الحال وكل هذه الأمثلة على أحد احتمالين (٢) .

(٩) ــ الآلية ــ هى أن يطلق اسم الآلة ، ويراد أثرها النــاتج عنها كما فى قوله تعالى : « واجعل لى « لسان صدق » فى الآخرين » أى ذكرا صادقا ، وثناء عطرا فيمن يأتى بعدى من الأمم ــ ففى لســان صدق مجاز مرسل علاقته الآلية لأن اللسان بمعنــاه الحقيقى آلة ، وواسطة للذكر الحسن الذى هـــو المعنى المراد والقــرينة قوله فى الآخرين لاستحالة بقاء هذه الجارحة بمعناها الأصلى فيمن يأتى من الأمم بعد ــ وكما فى قوله تعــالى : « فانما يسرناه بلســانك » أى بلغتك ــ ومثله قول الشاعر : « أتانى لسان منك لا أستسيغه » أى ذكر لا يسر أطلق عليه اللسان مجازا مرسلا لأنه آلة الذكر ، وقرينته قوله : « أتانى » لاستحالة اتيان اللســان بمعناه الحقيقى .

(١٠) ــ اعتبار ما كان ــ أى تسمية الشىء باسم ما كان عليه قبل

---

(١) نادى القوم مجتمعهم كالمنتدى .

(٢) والاحتمال الآخر ان تكون من قبيل المجاز بالحذف أى على تقدير مضاف فلا يكون فى الكلام تجوز فى المعنى .

كقوله تعالى : « وآتوا «اليتامى (١)» أموالهم» أى الذين كانوا يتامى اذ لا يتم بعد البلوغ ، وسماهم يتامى باعتبار ما كانوا عليه من وصف اليتم — ففى اطلاق اسم اليتامى على البالغين مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان والقرينة على أن المراد البالغون قوله : « وآتوا » فهو أمر بدفع الأموال لهم بتمكينهم منها بالتصرف فيهاولا يكون ذلك الا بعد البلوغ — ومنه قولهم : أكلنا «قمحا» أى خبزا — ففى لفظ «قمح» مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان اذ أن الخبز كان قمحا والقرينة قوله : « أكلنا » .

(١١) — اعتبار ما يكون — أى تسمية الشىء باسم ما يئول اليه فى الزمان المستقبل ظنا أو يقينا — فالأول كقوله تعالى : (انى أرانى أعصر «خمرا») يريد : عنبا يئول عصيره الى خمر — ففى قوله «خمرا» مجاز مرسل علاقته اعتبار مايكون أى مايئول اليه العنب من الاختمار، وانما كان هذا المآل مظنونا لاحتمال أن يقوم حائل دون الاختمار — وقرينة المجاز لفظ «أعصر» لأن الخمر عصير ، والعصير لا يعصر — ومثله قوله تعالى : « فبشرناه بغلام حليم » أى بطفل مآله أن يكون غلاما وهذا المآل مظنون أيضا ، لاحتمال قيام حائل دونه كالموت مثلا — والثانى كما فى قوله تعالى : (انك «ميت» وانهم «ميتون») يريد أنك ستموت ، وأنهم سيموتون — فالتعبير «بميت» مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون أى ما سيئول اليه حالهم من المصير المحتوم — والقرينة على التجوز مقام الخطاب لأن من مات فعلا لا يخاطب — ومثله قوله تعالى : « ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » أى وليدا يئول أمره الى هذه الحالة قطعا — والقرينة : « ولا يلدوا » اذ لايمكن أن يكون فاجرا فى فجر ولادته .

(١٢) — المجاورة — هى أن يسمى الشىء باسم ما يجاوره كما

---

(١) جمع يتيم وهو من الانسان صغير فقد اباه، ومن الحيوان رضيع فقد امه .

فى اطلاق لفظ «الراوية» على القربة فى قولك : « خلت « الراوية » من الماء » تريد خلت القربة ــ ومعنى الراوية فى الأصل الدابة يستقى عليها ــ «فالراوية» حينئذ مجاز مرسل علاقته المجاورة لمجاورة الدابة للقربة عند الحمل ــ والقرينة لفظ «خلت» لأن الذى يخلو من المـاء هو الوعاء لا الحيوان ــ ومنه قول الشاعر :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه   ليس الكريم على القنا بمحرم

أى شككت بالرمح جســمه ــ فلفظ « ثيابه » مجـاز مرسل علاقته ما بين الجسم والثياب من المجاورة التامة والقــرينة قوله : «فشككت» اذ المراد بالشك الطعن وهو انما يكون فى الأجسام، لا فى الثياب ــ ومما علاقته المجاورة اطلاق اللفظ على المعنى ، أو العكس ــ تقول : فهمت اللفظ ، وتريد معناه ، وقرأت المعنى ، وتريد اللفظ ــ وذلك لشدة ارتباط الدال بالمدلول ــ ومنه اطلاق الظن على العـلم ، أو العكس لتقاربهما فى المعنى ، فهما متجاوران .

(١٣) ــ البدلية ــ هى كون الشيء بدلا وعوضا عن شيء آخر ، فيطلق اسم البدل ، ويراد المبدل منه كاطلاق القضاء على الآداء فى قوله تعالى : (فاذا «قضيت» الصلاة فانتشروا) يريد : فاذا أديتم لأن الاتيان بالصلاة فى أوقاتها يسمى أداء ، لا قضاء فالتعبير بالقضاء بدلا من الأداء مجاز مرسل علاقته البدلية ــ والقرينة مقام الخطـاب اذ أن الخطـاب مع من يوفون الصلاة فى أوقاتها ومثله : «قضيت» الدين فى «ميعاده» أى أديته ففى «قضيت» مجاز مرسل علاقته البدلية كالذى قبله والقرينة قوله : «فى ميعاده» اذ أن الدفع فى الميعاد أداء ، لا قضاء ، ومنـه قولهم : فى ملك فلان « ألف دينار » أى متاع يعادل ألفا فقد أطـلق البدل ، وهو الألف دينار ، وأريد المبدل منه ، وهو المتـاع .

(١٤) ــ المبدلية ــ هى كون الشيء مبدلا منه شيء آخر فيطلق اسم المبدل منه ، ويراد البدل كاطلاق الدم على الدية فى قول الشاعر يتبرم بعشرة زوجه ، ويتوعدها بالزواج عليها :

أكلت «دما» ان لم أرعك بضرة   بعيدة مهوى القرط طيبة النشر(١)

يريد : أكلت دية ــ ففي قوله : « دما » مجاز مرسل علاقته المبدلية ذلك أن الدم مبدل منه الدية ، والدية يأخذها ولى الدم بدلا منه ــ والقرينة قوله : « أكلت » لأن الدم بمعناه الحقيقى لا يؤكل .

(١٥) ــ العموم أو الخصوص ــ ففى الأول : أن يكون مدلول اللفظ المذكور عاما ؛ ويراد منه معنى خاص كاطلاق لفظ الناس على محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم) «فالناس» مجاز مرسل علاقته العموم والقرينة حالية ــ وفى الثانى : أن يكون مدلول اللفظ المذكور خاصا ، ويراد منه العموم كاطلاق اسم أبى القبيلة «كتميم ، وتغلب » على القبيلة قبل أن يغلب عليها .

(١٦) ــ التعلق الاشتقاقى ــ وهو أن يذكر اللفظ ، ويراد ما اشتق منه كاطلاق المصدر على اسم المفعول فى قوله تعالى : (هذا «خلق» الله) أى مخلوقه ، وقوله : « ولا يحيطون بشىء من علمه » أى معلومه ــ فكل من «الخلق والعلم» مجاز مرسل علاقته ما بين المصدر، واسم المفعول من الربط الاشتقاقى .

(١٧) ــ التقييد والاطلاق ــ هو أن يكون الشىء مقيدا ، فيطلق عن قيده كما فى اطلاق «المشفر» على شفة الانسان فى قولك : «مشفر» زيد يسيل دما تريد شفته ــ فالمشفر ــ فى الأصل ــ للبعير خاصة ، ثم أطلق عن هذا القيد ، وأريد منه مطلق شفة ، فصح اطلاقه على شفة زيد باعتبارها أحد أفراد هذا المطلق ، فيكون مجازا مرسلا علاقته التقييد والاطلاق ــ ومثله اطلاق «المرسن» على أنف الانسان ــ فالمرسن فى الأصل ــ أنف الحيوان اذ هو موضع الرسن منه ، ثم أطلق

---

(١) راعه اخافه وافزعه والضرة بفتح الضاد احدى الزوجتين أو الزوجات والقرط بضم القاف ما يعلق فى شحمة الاذن ، وقوله بعيدة مهوى القرط كناية عن طول عنقها .

عن قيده ، وأريد منه مطلق أنف ، فصح اطلاقه على أنف الانسان باعتباره أحد أفراد هذا المطلق ، فهو كذلك – مجاز مرسل علاقته التقييد والاطلاق .

وان أطلق «المشفر أو المرسن» على شفة الانسان أو أنفه لا باعتباره أحد أفراد مطلق شفة ، أو مطلق أنف ، بل باعتبار خصوصه كان مجازا مرسلا بمرتبتين علاقة الأول التقييد ثم الاطلاق ، وعلاقة الثاني الاطلاق ثم التقييد (1) .

هذا – ويصح في مثل هذين المثالين أن تكون العلاقة المشابهة. وحينئذ يكون اللفظ «استعارة» – بأن تشبه شفة «زيد» مثلا بمشفر البعير في الغلظ والتدلي ثم يستعار لها لفظ «مشفر» – ومثل هذا يقال في « المرسن » – فاللفظ الواحد قد يكون مجازا مرسلا ، ويكون استعارة باعتبارين – فان اعتبرت العلاقة بين الطرفين غير المشابهة كان اللفظ « مجازا مرسلا » ، وان اعتبرت العلاقة المشابهة كان اللفظ « استعارة » ، والعبرة بقصد المتكلم وارادته ، فان لم يعلم قصده بأن لم تقم قرينة عليه احتمل اللفظ الأمرين .

الى غير ذلك من علاقات المجاز المرسل ، فهي لا تقف عند هذا العدد وانما أحصينا لك أشهرها استعمالا .

وسمي مجازا مرسلا لأنه أرسل أي أطلق عن التقييد بعلاقة واحدة بل له علاقات عدة – كما رأيت أو لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة اذ ليست العلاقة فيه بين المعنيين المشابهة حتى يدعى اتحادهما – وانما لم يسم استعارة ، مع أن اللفظ فيه منقول، ومستعار من معناه الأصلي الى المعنى المراد كما في الاستعارة لأن هذه

---

(1) بيان ذلك ان لفظ المشفر في الأصل مقيد بكونه مشفر بعير . ثم أطلق عن قيده وأريد منه مطلق شفة وهذه هي المرتبة الأولى وعلاقتها التقييد ثم الاطلاق فاذا أطلق بعد ذلك، على شفة انسان باعتبار كونها شفة انسان بخصوصه لا باعتبارها فردا من أفراد مطلق شفة فهذه هي المرتبة الثانية وعلاقتها الاطلاق ثم التقييد – وكذا يقال في المرسن .

التسمية مجرد اصطلاح ، قصد به التفرقة بين نوعين من المجاز مختلفي العلاقة .

تنبيهان :

الأول — اعلم أن القصد من العلاقة أن يتحقق ارتباط بين الشيئين على أى وجه فاطلاق الدال على المدلول مثلا فى قولنا فيما تقدم : « فهمت اللفظ » أى معناه مجاز مرسل علاقته يصح أن تكون «المجاورة» — على ما سبق — باعتبار أن الدال وهو اللفظ مجاور للمدلول الذى هو المعنى — ويجوز أن تكون العلاقة «المحلية» على اعتبار ان الدال محل للمدلول اذ الألفاظ — كما يقولون — قوالب للمعانى — واطلاق الثياب على الجسم فى قول الشاعر المتقدم : فشككت بالرمح الأصم « ثيابه » « البيت » مجاز مرسل ، يصح أن تكون علاقته المحلية كما تقدم ، باعتبار أن الثياب محل للابسها ويصح أن تكون العلاقة «المجاورة» على اعتبار أن الثياب لاصقة بلابسها ، فهى مجاورة له مجاورة تامة واذا فنوع العلاقة ليس وقفا على ما ذكرنا، وانما يرشدك اليها الذوق ويدلك عليها فهم الكلام .

الثانى — مما تقدم يعلم أن المراعى فى علاقات المجاز المرسل جانب المعنى المنقول عنه اللفظ . فان كان المنقول عنه سببا فى المنقول اليه كانت العلاقة «السببية» ، وان كان مسببا كانت العلاقة «المسببية» — وهكذا فالعلاقة فى نحو « رعينا الغيث » السببية لأن المعنى المنقول عنه لفظ « الغيث » سبب فى المعنى المنقول اليه ، وهو « النبات » ، والعلاقة فى نحو : أمطرت السماء « نباتا » لأن المعنى المنقول عنه لفظ « النبات » مسبب عن المعنى المنقول اليه ، وهو «الغيث » .

وانما روعى فى العلاقة جانب المعنى المنقول عنه اللفظ لأنه الأصل فهو أولى بالمراعاة — وقيل : يراعى فيها جانب المعنى المنقول اليه لأنه المراد — وبناء عليه تكون العلاقة فى المثال الأول «المسببية» ، وفى

المثال الثانى «السببية» ـ عكس القول الأول ـ وقيل : يراعى الجانبان معا ، فينص حينئذ على الأمرين فيقال : علاقة المجاز السببية والمسببية، والحالية والمحلية ـ وهكذا ففى المسألة أقوال ثلاثة أشهرها الأول .

تمرين على المجاز المرسل

(١) عرف المجار المرسل ، ومثل له من انشائك بما تكون العلاقة فيه المجاورة ، ثم عين المجاز المرسل . وبين علاقته فى قوله تعالى : يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم .

(٢) بين علة تسميته مرسلا ، ولم لم يسم استعارة ، مع أن اللفظ فيه ـ كما فى الاستعارة ـ مستعار من معناه الأصلى لمعنى آخر ؟

(٣) بين المجاز المرسل ، ووضح علاقته فى العبارات والآبيات الآتية بعد .

(١) وكنت اذا كف أتتك عديمة
ترجى نوالا من سحابك بلت

(٢) بلادى ـ وان جارت على ـ عزيزة
وقومى ـ وان ضنوا على ـ كرام

(٣) أنا الذى نظر الأعمى الى أدبى
وأسمعت كلماتى من به صمم

(٤) أقبل فى المستن من ربابه
أسنمة الآبال فى سحابه (١)

(٥) فهمت الكتاب أبر الكتب
فسمعا لأمر أمير العرب

---

(١) المستن المنصب يقال استنت العين انصب دمعها ، الرباب السحاب واحدته ربابة والضمير فى ربابه وسحابه للبرق ، واسنمة جمع سنام وهو ما ارتفع من ظهر البعير فاعل أقبل والآبال ابل .

(٦) يبيت بمنجـاة من اللـوم بيتهـا
اذا ما بيـوت بالمـلامة حلت

(٧) غرست الورد فى البستان . (٨) كذاك يعادى العلم من هو جاهل. (٩) قامت البلاد وقعدت لهذا النبأ (١٠) تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن (١١) فرجعوا الى أنفسهم أى آرائهم (١٢) حكمت المحكمة بكذا (١٣) شربنا الزبيب (١٤) وجـاء ربك (١٥) واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

جواب السؤال الثانى

(١) فى «كف» مجاز مرسل علاقته «الجزئية» اذ المراد بالكف الشخص نفسه ، وهى جزء منه ، والقرينة قوله : « أتتك » لاستحالة الاتيان من الكف وحدها .

(٢) فى « بلادى » مجاز مرسل علاقته « المحلية » اذ أن المراد سكان البلاد التى هى محل لهم ، والقرينة قوله : « وان جارت على » لاستحالة صدور الجور من البلاد بمعناها الحقيقى .

(٣) فى « أدبى » مجاز مرسل علاقته «الحالية» اذ المراد المحل الذى قام به الأدب ، وهو الشخص نفسه بقرينة قوله : «نظر» لاستحالة النظر الى الأدب بمعناه الحقيقى — ويحتمل أنه أراد «الأدب» بمعناه الحقيقى ، وهو ما يتحلى به من معان سامية ، وأنها من الوضوح والاشتهار بحيث يراها الأعمى ، وحينئذ لاشاهد فيه .

(٤) فى « أسنمة الآبال » مجاز مرسل علاقته «المسببية» ، اذ أن المراد بأسنمة الآبال الغيث — والأسنمة مسببة عن النبات المسبب عن الغيث .

(٥) فى « الكتاب » بمعنى المكتوب مجاز مرسل علاقته « المحلية » اذ أن المراد المعانى ، والمكتوب محل لها — والقرينة قوله:

« فهمت » لأن الفهم انما يكون للمعانى ، لا للنقوش ، ويصح أن تكون العلاقة المجاورة لأن المكتـــوب دال على معنــــاه ، والدال والمدلول متجـــاوران .

(٦) فى «بيتها» مجاز مرسل علاقته « المحلية أو المجاورة » كالذى قبله لأن المراد به شخص المرأة ، والبيت محل لها أو مجاور ــ والقرينة « نفى اللوم » وهو انما ينفى عمن يتصور لومه ، وهو الانسان .

(٧) فى «الورد» مجاز مرسل علاقته «اعتبار ما يكون » اذ المراد الحب الذى سيئول وردا فيما بعد ــ والقرينة قوله : «غرست» لأن الورد بمعناه الحقيقى لايغرس ، وانما يقطف ويجنى .

(٨) فى «العلم» مجاز مرسل علاقته « الحالية » اذ أن المراد أهل العلم . وهو حال فيهم قائم بهم ــ والقرينة قوله : «يعادى» لأن المعاداة بمعناها الحقيقى انما تكون للأشخاص ، ويصح أن يكون فى «العلم» استعارة بالكناية فيشبه العلم بعدو ثم يحذف ويرمز له باحدى خواصه وهى قوله « يعادى » .

(٩) فى « البلاد » مجاز مرسل علاقته « المحلية » اذ المراد أهل البلاد التى هى محل لهم ، والقرينة قوله : « قامت وقعدت » فان القيام والقعود من شئون الانسان .

(١٠) فى « السفن » مجاز مرسل علاقته المحلية أيضا اذ المراد : ركاب السفن ، وهى محل لهم ، والقرينة قوله : «تشتهى» فان الاشتهاء من صفات الأناسى ، لا من شئون الجماد .

(١١) فى «أنفسهم» مجاز مرسل علاقته «المحلية» كذلك اذ المراد « فرجعوا الى آرائهم » والنفوس محل لها ــ والقرينة قوله « رجعوا » اذ لا معنى للرجوع الى النفس بمعناها الحقيقى .

(١٢) فى «المحكمة» مجاز مرسل علاقته «المحلية» أيضا اذ المراد

قضاة المحكمة التى هى محل لهم — والقرينة قوله : «حكمت» فان صدور الحكم عن المحاكم بمعناها الحقيقى محال .

(١٣) فى « الزبيب » مجاز مرسل علاقته « اعتبار ما كان » اذ المراد عصيره وهو كان قبل ذلك زبيبا — والقرينة قوله : « شربنا » اذ أن الزبيب بمعناه الحقيقى لا يشرب .

(١٤) فى «ربك» مجاز مرسل علاقته السببية اذ المراد أمره ، أو عذابه والله تعالى سبب فيهما — والقرينة قوله : «وجاء» فان نسبة المجىء بمعناه الحقيقى الى الله محال .

(١٥) فى «قرأت» مجاز مرسل علاقته « المسببية » اذ أن المراد : «اذا أردت القراءة» ، فالقراءة مسببة عن الارادة والقرينة قوله : « فاستعذ بالله » فان الاستعاذة انما تكون قبل القراءة ، لا بعدها .

تمرين يطلب جوابه على نحو ما تقدم

وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه . بث الحكومة الأمن فى أرجاء البلاد . شربت البن . غرست القطن فى أرضنا . تناولت كأس الشفاء من يد الطبيب . قرر المجلس الأعلى كذا . أقمنا فى نعيم ورفاهية وأرسلنا السماء عليهم مدرارا . وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم . أرانا الله وجوهكم فى خير . من قتل قتيلا فله سلبه . ألقى القائد كلمة فى الجنود . خذ الملآن « للاناء الفارغ » . طحنت خبزا . أكلت دم القتيل.

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم — فطالما استعبد الانسان احسان

ألا لا يجهلن أحد علينا — فنجهل فوق جهل الجاهلينا

تسيل على حد الظباة نفوسنا — وليست على غير الظباة تسيل

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا — بأننى خير من تسعى له قدم

المجـــاز المركب

قلنا ــ فيما ســبق ــ ان المجاز على نوعين : مفرد ، ومركب . وقد فرغنا من الكلام فى المفرد ــ وهاك بيـــان المجاز المركب .

تعريفه ــ كما يقضى به القياس ــ هو اللفظ المركب المستعمل فى غير المعنى الذى وضع له لعلاقة بين المعنى الحقيقى والمجازى ، مـع قرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقى .

وهو ــ باعتبار هذه العلاقة ــ نوعان : مجـــاز مركب علاقته المشابهة ويسمى تمثيلا [1] أو استعارة تمثيلية ــ ومجاز مركب علاقته غير المشابهة ، ويسمى مجازا مركبا مرسلا .

الاســتعارة التمثيلية

هى اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشــابهة كما تقدم فى التشــبيهات المركبة [2] أى فى الهيئات المنتزعة من أمور متعددة اذا استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه كأن تقول : «رأيت مرآة فى كف أشل» تريد أن تقول : رأيت شمسا فقد شبهت هيئة الشمس السابق ذكرها بهيئة المرآة فى كف الأشل بجامع الهيئة الحاصلة من كل، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه بهللمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية ــ والقرينة حالية ــ ومثــله قوله تعــالى : « فنبذوه وراء ظهورهم » ــ وحقيقة الكلام : فتركوا الميثاق وأهملوه ، ولم يعتدوا به ــ واجراء الاستعارة فيه أن يقال : شبهت هيئة من أخذ عليهم الميثاق

---

(١) اذا أطلق « التمثيل » انصرف الى الاستعارة التمثيلية فاذا أريد التشبيه ذو الوجه المركب قيل تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثيلى .

(٢) هـــذا التعريف هو الموافق لقـول الخطيب فى تعريف المجاز المركب : هو اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى تشبيه التمثيل ومن المعلوم ان تشبيه التمثيل هو ما يكون وجهه منتزعا من متعدد ولا يكون ذلك الا بين هيئتين منتزعتين من أمور متعددة وقد سبق بحثه فى مبحث التشبيه .

فاهملوه، ولم يراعوه بهيئة من كان معه شيء تافه، لاقيمة له في اعتباره فطرحه وراء ظهره ، والجامع بينهما الهيئة الحاصلة من شيء يهمل احتقارا لشأنه ، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية ــ والقرينة حالية لأن التاركين للميثاق لم يطرحوا شيئا وراء الظهور حقيقة ، فحالتهم على غير ما يفيده هذا التركيب وضعا ــ وكقولهم في المتردد في أمره المتحير : « أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى (١) » ــ وحقيقة الكلام : أراك متحيرا في أمرك مترددا ــ واجراء الاستعارة فيه أن يقال : شبهت هيئة المتردد في أمره بين الاقدام والاحجام بهيئة رجل قام ليذهب الى جهة ــ فتارة يعقد النية على الذهاب ، فيقدم رجلا ، وتارة يعدل ، فيؤخرها ثانيا ــ والجامع الهيئة الحاصلة من اقدام تارة ، واحجام أخرى ، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية ــ والقرينة حالية اذ أن المتردد المذكور لايقدم رجلا ، ولا يؤخر أخرى، فحالته على غير ما يدل عليه التركيب وضعا ــ وسميت الاستعارة في المركب تمثيلية لجريان التشبيه فيه بين الهيئات المركبة من متعدد كما في الأمثلة المذكورة (٢) .

واذا فشت الاستعارة التمثيلية ، وشاع استعمالها سميت «مثلا» واذا فالأمثال السائرة كلها من قبيل الاستعارة التمثيلية التي شاع استعمالها ــ والمثل يراعى فيه المعنى الذى ورد فيه أولا ، فيخاطب به المفرد ، والمثنى، والجمع ــ مذكرا، أو مؤنثا من غير تغيير في العبارة

---

(١) قوله : تقدم رجلا أى تارة ومفعول تؤخر محذوف أى تلك الرجل المقدمة ، وأخرى نعت لتارة المحذوفة أى تارة أخرى وأصل الكلام أراك تقدم رجلا تارة وتؤخرها تارة أخرى ــ وأصل هذا المثل : ان الوليد ابن يزيد لما بويع بالخلافة وبلغه توقف مروان بن محمد في البيعة أرسل اليه الوليد يقول .. أما بعد فاني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابى فاعتمد على أيهما شئت والسلام .

(٢) قضيته أن التمثيل لابد فيه من انتزاع وجهه من متعدد فمعنى التمثيل فيه واضح لكثرة ما اعتبر فيه مما أوجب غرابته .

الواردة لأنه – كما قلنا – استعارة تمثيلية ، والاستعارة يجب أن تكون لفظ المشبه به المستعمل فى المشبه كما فى مثال «المتردد» فقد ورد فى شخص معين ، ثم شاع استعماله حتى صار مثلا يضرب لكل متحير فى أمره ، متردد فيه – مفردا كان ، أو مثنى ، أو جمعا – مذكرا ، أو مؤنثا ، فيقال لكل واحد مما ذكر : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، فينطلق به كما ورد .

ومثل المثل المذكور قولهم : « الصيف ضيعت اللبن » بكسر تاء الفاعل فقد ورد فى امرأة ، ثم فشا استعماله أيضا ، وذاع حتى صار مثلا يضرب لمن طلب شيئا بعد التفريط فيه ، وتضييعه ، وفوات فرصته – وأصل هذا المثل : ان امرأة شابة (١) كانت تحت شيخ (٢) طاعن فى السن ، ذى ثروة ، فزهدت فيه ، وكرهت معاشرته لضعفه ، وكبره ورجته أن يتركها ، فلبى طلبها ، وكان ذلك صيفا ، ثم تزوجت بعده بشاب فقير (٣) ثم احتاجت الى اللبن زمن الشتاء ، فجاءت الى زوجها الأول تطلب منه لبنا، فلم يجبها الى طلبها ، وقال لها القول المذكور ، فجرى مجرى الأمثال .

واجراء الاستعارة فيه أن يقال : شبهت هيئة من فرط فى شىء وقت امكان تحصيله ، ثم طلبه فى وقت يتعذر الحصول عليه فيه بهيئة امرأة تركت زوجها ذا اللبن الوفير ، ثم أتت اليه بعد فراقها تطلب اللبن منه والجامع الهيئة الحاصلة من التفريط فى الشىء وقت امكانه ، وطلبه وقت تعذره ، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية – والقرينة حالية اذ أن حالة المقول فيه المثل على غير ما يدل علية التركيب وضعا – ومثله قول الشاعر :

---

(١) تدعى دسوس بنت لقيط بن زرارة .

(٢) قيل اسمه عمرو بن عويس .

(٣) قيل اسمه عمرو بن معبد بن زرارة .

جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا   جزاء سنمار (١) وما كان ذا ذنب

يضرب لمن يجازى على الاحسان بالاساءة ــ وتقرير الاستعارة فيه أن يقال : شبه هيئة من يجازى بالاحسان اساءة بحال «سنمار» بجامع مقابلة الاحسان بالاساءة ، واستعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه استعارة تمثيلية ــ والقرينة حالية لأن حالة المقول فيه المثل تغاير ما يدل عليه اللفظ وضعا ــ ومثله قول الشاعر :

اذا جاء موسى وألقى العصا   فقد بطل السحر والساحر

مثل يضرب لمن يتضاءل شأنه عند وجود من هو أجل شأنا ــ وتقرير الاستعارة فيه هكذا : شبهت هيئة من يقل شأنه عند وجود الأجل شأنا بهيئة قوم فرعون ، وقد أخفقوا فى سحرهم عند مجىء موسى عليه السلام ، والقائه العصا ــ والجامع الهيئة الحاصلة من ضآلة الشىء الحقير بجانب الشىء الخطير ثم استعير الخ ــ والقرينة حالية كسابقاتها ــ وقد يقال فى تقريرها : شبهت حال من تحل المشكلات بوجوده بحال نبى الله موسى عليه السلام مع سحرة فرعون بجامع حال الشىء يحسم عنده النزاع ، ثم استعير الخ . وكقولهم : « أحشفا وسوء كيله » (٢) ؟ يضرب لمن يظلم من وجهين ــ واجراء الاستعارة فيه أن يقال : شبهت هيئة من يظلم من جهتين بهيئة رجل باع آخر تمرا حشفا ، وكان ، مع ذلك يطفف المكيال ــ والجامع الهيئة الحاصلة من ظلم مزدوج ، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه استعارة تمثيلية ــ والقرينة حالية ــ كما عرفت ــ وقس على ذلك جميع الأمثال السائرة نثرا ونظما .

---

(١) اسم رجل كان صانعا ماهرا وقد تقدم الحديث عنه .

(٢) كيلة بكسر الكاف اسم بمعنى الكيل بفتحها مصدر كال الشىء يكيله بمعنى قدره بالمكيال ــ وأصل هذا المثل أن رجلا اشترى تمرا من آخر فاذا هو حشف وناقص الكيل فقال المشترى ذلك فصار مثلا .

المجـــاز المركب المرســـل (1)

هذا هو القسم الثانى من قسمى المجاز المركب :

وهو اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لعـــلاقة غير المشابهة ، مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الأصلى كما فى الجمل الخبريه المستعملة فى الانشاء لأغراض لم يوضع لها الخبر كاظهار التحسر ، أو الضعف ، أو السرور ، أو الشماتة ، أو نحو ذلك ـ فمثال المستعمل فى معنى التحسر والتحزن قوله تعالى حكاية عن أم مريم : « رب انى وضعتها أنثى » ـ ومثال المستعمل فى اظهار الضعف قوله تعالى حكاية عن نبى الله زكريا عليه السلام « رب انى وهن العظم منى ، واشـتعل الرأس شيبا » ـ فهذان المركبان ـ وان كانا فى أصل وضعهما للاخبار والافادة الا أنهما ـ فى هذا المقام ـ مستعملان فى غير هذا المعنى اذ أن أم مريم ، وزكريا عليهما السلام يعلمان حق العلم أن الله سـبحانه لاتخفى عليه خافية ـ فأما أم مريم فقد أرادت بهذا الخبر اظهار التحسر، والتحزن على فوات مأمول لها هو ذلك المولود الذكر ـ وأما زكريا عليه السلام فقد أراد اظهار الضعف ، وأنه بلغ من الوهن والكبر غاية لا أمل له فى الحياة بعدها ـ والعلاقة فى الموضعين اللزوم اذ يلزم من اخبار أم مريم بأنها وضعت أنثى على غير ما كانت تأمل اظهار تحسرها وحزنها كما يلزم من اخبار زكريا بأنه قد وهن عظمه ، واشتعل رأسـه اظهار ضعفه ، وأنه بحالة تدعو الى الشفقة والرحمة ـ والقرينة فى الموضعين مقام الخطاب ـ ومن استعمال الخبر فى انشاء التحسر قول الشاعر يتحسر على ذهاب شبابه وأيام صباه .

ذهب الصبا وتولت الأيام ... فعلى الصـبا وعلى الزمان سـلام

فالخبر مستعمل فى انشاء التحسر والتحزن على فوات الشباب، وذهاب أيامه العذاب ، والعلاقة فيه اللزوم كسابقه اذ يلزم من الاخبار

(1) انما أطلق عليه هذا الاسم قياسا على المجاز المفرد والا فان العلماء لم يضعوا له اسما بل اكثرهم لم يبحثوه بحثا تفصيليا .

بذهاب الصبا وتصرم أيامه الباسمة التحسر والأسى على فواته بقرينة قوله : فعلى الصبا وعلى الزمان سلام .

ومثال الخبر المستعمل فى اظهار الابتهاج والفرح قولك لمن يعلم بنجاحك ، وأنت تعلم منه ذلك : نجحت فى الامتحان — فليس الغرض أن تفيده بنجاحك لأنه يعلم به كما تعلمه ، وانما أردت اظهار أنك مبتهج فرح بهذا النجاح — والعلاقة والقرينة كالذى قبله — ومنه قول الشاعر:

خلقت من الحديد أشــد قلبا   وقد بلى الحــديد وما بليت

فهذا كلام خبرى استعمل فى غير ما وضع له لأن الشاعر أراد بالاخبار اظهار الفخر والمباهاة ، والعلاقة اللزوم أيضا لأن اخبار الانسان بصفات الشجاعة والاقدام يلزمه الفخر غالبا ، والقرينة حال الشــاعر اذ لم يكن فى مقام الاخبار — الى غير ذلك من الأخبار التى لم يقصد بها المعنى الذى وضعت له ، وهو الاخبار للافادة .

غير أن العلماء أهملوا هذا القسم ، ولم يبحثــوه ، ولم يظهر لاهمالهم له وجه — واعتذر بعضهم عن هذا بقلة وروده ، وهو عــذر واه ، لا يقره الواقع ، اذ هو كثير شائع .

أسئلة وتطبيق على المجاز المركب بقسميه

١ — عرف المجاز المركب ، وقسمه ، ومثل لكل قسم .

٢ — عرف الاستعارة التمثيلية ، وبين وجه تسميتها « تمثيلية » . ومتى تسمى « مثلا » ، مثل لما تقول ، ثم أجر الاستعارة فى قــولهم: ان البغاث [1] بأرضنا يستنسر « يضرب للضعيف يصير قويا » .

٣ — ما الفرق بين المجاز المرسل المفرد ، والمجاز المرسل المركب ، اذكر لكل مثالا واشرحه .

---

(١) هو طير ضعيف الشوكة .

٤ ــ بين أنواع المجاز فيما يأتى واشرحها .

(١) تصرمت منـــا أويقـات الصبا
ولم نجـــد من المشيب مهـــربا

(٢) ان الأفاعى وان لانت ملامســـها
عنـد التقلب فى أنيابها العطب

(٣) وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها
ويجهد أن يأتى لهـا بضريب

(٤) وحيد من الخـــلان فى كل بلدة
اذا عظم المطـلوب قـل المسـاعد

(٥) من كان فوق محل الشمس موضعه
فليس يرفعـه شيء ولا يضع

(٦) وما انتفـاع أخى الدنيا بنـاظره
اذا استوت عنده الأنوار والظلم ؟

(٧) وليس يصـــح فى الأذهان شيء
اذا احتـاج النهـــار الى دليـــل

(٨) وبيننـــا لو رعيتم ذاك معـــرفة
ان المعـــارف فى أهـــل النهى ذمم

(٩) هواى مع الركب اليمـــانين مصعد
جنيب وجثمانى بمكة موثق [١]

٥ ــ أجر الاستعارة التمثيلية فيما يأتى :

(١) أتطلب أثرا بعد عين «فيمن ترك الشىء ، ثم طلبه بعد ذهابه»

---

(١) هواى مصدر اريد به اسم المفعول اى مهوى ، والركب اسم جمع لراكب ، واليمانين جمع يمان واصل يمان يمنى حذفت ياء النسب وعوض عنها الألف على خلاف القياس ثم أعل اعلال قاض ، ومصعد من اصعد فى الارض اذا ســـار فيها ، والجنيب المستتبع وهو الذى يتبعه قومه ويقدمونه أمامهم .

(٢) أسمع جعجعة ولا أرى طحنا (١) « فيمن يعد ولا يفى » (٣) تجرى الرياح بما لاتشتهى السفن ، (٤) أرى خالا (٢) ولا أرى مطرا « لكثير المال لا يصاب منه خير » ، (٥) تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها « لمن يصرف نفسه عن خسيس المكاسب »

(٦) ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل

يضرب لذى المنظر ولا خير فيه ، (٧) رجع بخفى حنين « لمن يعمل عملا فيخيب فيه » (٨) رمية من غير رام « لمن يصدر منه فعل حسن ليس له أهلا » ، (٩) عند الصباح يحمد القوم السرى « يضرب فى تحمل المشقة رجاء الراحة » .

(١٠) بالملح نصلح ما نخشى تغيره فكيف بالملح ان حلت به الغير؟

« يضرب لمن فسدت حاله ممن هو قدوة كرجال العلم والدين » .

(١١) اليد لا تصفق وحدها « لمن يعالج أمرا وحده فيعجز عنه » ،

(١٢) وعند جهينة الخبر اليقين «لمن يعرف الشيء على وجهه» ومثله قولهم: على الخبير سقطت .

جواب السؤال الرابع

(١) فى البيت مجاز مرسل مركب من استعمال الخبر فى الانشاء علاقته السببية لأن هذا الكلام سبب فى التحسر ، أو الملزومية لأن الاخبار بهذا يستلزم التحسر ، والقرينة حالية .

(٢) فى البيت استعارة تمثيلية شبه هيئة من يغر الناس بلينه الظاهرى ، ثم يعود ، فيضرهم ويؤذيهم بهيئة الأفاعى اللينة الملمس ، الشديدة الأذى بجامع هيئة شيء لين المجس ، ناعم الملمس ، ينطوى

---

(١) الجعجعة صوت الرحى والطحن بكسر الطاء الدقيق .
(٢) الخال المراد به السحاب .

على شيء ضار شديد الضرر ، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه استعارة تمثيلية — والقرينة حالية .

(٣) فى البيت استعارة تمثيلية — شبهت هيئة من علا قومه بحيث لا يباريه أحد بهيئة الشمس لا ضريب لها من الكواكب بجامع هيئة الشيء يعلو فيفوق غيره بحيث لا يطمع فى مماثلته — واستعير الكلام الدال على المشبه به للمشبه استعارة تمثيلية — والقرينة حالية .

(٤) فى البيت مجاز مرسل مركب من استعمال الخبر فى الانشاء علاقته السببية ، أو الملزومية لأن الاخبار بمثل هذا يسبب التحسر لفقد الخلان ، أو يستلزم التحسر لفقدهم — والقرينة حالية كالذى قبله .

(٥) فى البيت استعارة تمثيلية — شبهت هيئة من علت منزلته الى حيث لا يتأثر بسبب ما بهيئة من سكن فوق محل الشمس بجامع هيئة الشيء يسمو حتى لا يؤثر فيه ، أو يصل اليه شيء ، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه استعارة تمثيلية — والقرينة حالية .

(٦) فى البيت مجاز مرسل مركب من استعمال الاستفهام فى معنى الانكار والعلاقة فيه الملزومية اذ أن الاستفهام عن مثل هذا يستلزم الانكار — والقرينة حالية .

(٧) فى البيت استعارة تمثيلية شبه هيئة من لا يعترف بالفضل لذويه رغم وضوحه وشهرته بهيئة من يحتاج الى دليل على وجود النهار بجامع هيئة من يجهل جهلا مطبقا ، ثم استعير اللفظ الموضوع للمشبه به للمشبه استعارة تمثيلية — والقرينة حالية .

(٨) فى البيت مجاز مرسل مركب من استعمال الخبر فى معنى التوبيخ والتقريع — وعلاقته السببية أو الملزومية لأن مثل هذا القول يسبب التوبيخ ، أو يستلزمه — والقرينة حال الشاعر لأنه فى مقام التوبيخ .

(٩) فى البيت مجاز مرسل مركب من استعمال الخبر فى انشاء التحسر على حبيبه النازح الى اليمن ، وهو سجين بمكة ، موثق بهاء لا يستطيع فكاكا والعلاقة السببية ، أو الملزومية والقرينة حالية .

جواب السؤال الخامس

(١) شبه هيئة من ترك الشيء ، ثم طلبه بعد فواته بهيئة من أهمل طلب العين ، ثم تلمس الأثر بعد ذهابها بجامع هيئة الشيء يهمل أمره حتى ينتهى ثم يطلب بعده ما لانفع فيه ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه استعارة تمثيلية .

(٢) شبه هيئة من يعد ولا يفى بهيئة رحى تسمع لها جعجعة ولا ترى طحنا بجامع هيئة الشيء ظاهره خادع ، وباطنه مخيب ، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه استعارة تمثيلية والقرينة حالية .

(٣) شبه هيئة من يأتيه الشيء على غير ما يهوى بهيئة ركاب سفن تأتيهم الرياح بعكس ما يريدون بجامع هيئة الشيء يعرض له ما لايلائمه، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه استعارة تمثيلية .

(٤) شبه هيئة المثرى الذى لا يجود بخيره بهيئة السحاب الذى لا مطر فيه بجامع هيئة الشيء يرى حافلا ولا خير فيه ، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه استعارة تمثيلية والقرينة حالية .

(٥) شبه هيئة من يتعفف عن خسيس المكاسب بهيئة امرأة تؤثر الجوع عن أن تكون مرضعا بأجر بجامع هيئة الشيء يترفع عن الدنايا ، ثم استعير المركب الدال على المشبه به للمشبه استعارة تمثيلية .

(٦) شبه هيئة ذى المنظر الرائع ، ولا غناء فيه بهيئة فتيان طوال غلاظ لا خير فيهم بجامع هيئة الشيء يروعك منظره ، ولا يرضيك مخبره ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه استعارة تمثيلية والقرينة حالية .

(٧) شبه هيئة من يسعى فى عمل فيخيب فيه بهيئة الأعرابى الذى رجع بخفى حنين بجامع هيئة الشىء لم يجن منه خير ، ثم استعير اللفظ الموضوع للمشبه به للمشبه استعارة تمثيلية .

(٨) شبه هيئة من يصدر منه عمل لا يستأهله بهيئة من رمى السهم . فأصاب الرمية ، وهو لا يحسن الرمى بجامع هيئة الشىء يصدر عن غير أهله ، ثم استعير المركب الدال على المشبه به للمشبه استعارة تمثيلية .

(٩) شبه هيئة من يتحمل المشقة رجاء الراحة بهيئة من سرى ظمآنا رجاء العثور على الماء صباحا بجامع هيئة الشىء ينال بعد عناء ، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه استعارة تمثيلية .

(١٠) شبه هيئة من فسدت حاله ممن هو قدوة لغيره بهيئة ملح الطعام سرى اليه الفساد ، فلم يعد صالحا للاستعمال بجامع هيئة الشىء المفيد يعتريه تلف ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه استعارة تمثيلية .

(١١) شبه هيئة من يحاول عملا وحده ، فيعجز عنه بهيئة من يحاول التصفيق بيد واحدة بجامع هيئة الشىء لا يحالفه التوفيق .

(١٢) شبه هيئة من يعرف الشىء على وجهه الحق بهيئة الرجل منسوبا الى جهينة بجامع هيئة الشىء يعرف به الأمر على حقيقته ، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية والقرينة فى الجميع حالية لأن حالة المقول فيه المثل تغاير ما يدل عليه التركيب وضعا .

رزمة ولا درة[1] « لمن يعد ولا يفى » . ركوض فى كل عروض[2] « لمن يمشى بين الناس بالفساد » . مصائب قوم عند قوم فوائد . رب حثيث مكيث [3] « لمن أراد العجلة فحصل على البطء » . لأمر ما جدع قصير أنفه « لمن يتستر تحت أمر ظاهرى ليحصل على أمر خفى » رب مخطئة من الرامى الذعاف [4] « لمن يخطىء على غير عادة » .

فصل فى شرائط حسن الاستعارة

لا تقع الاستعارة موقعها من الحسن والقبـول الا اذا توافرت الأمور الآتية بعد :

(١) — رعاية جهات حسن التشبيه أى مراعاة أسباب حسنه لأنها مبنية عليه فهى تابعة له فى الحسن والقبح ، فان حسن حسنت ، وان قبح قبحت .

فمن جهات حسن التشبيه أن يكون وافيا بافادة الغرض منه — فان كان الغرض منه مثلا تزيين المشبه « كوجه أسود » ، فشبه بمقلة الظبى ، ذات السواد الجميل ، ثم استعير له لفظها ، فقيل : رأيت مقلة ظبى ، وأريد وجه أسود — حسنت الاستعارة لوفاء التشبيه بالغرض. فاذا شبه الوجه الأسود المذكور بالفحم لافادة هذا الغرض ، ثم استعير له لفظه . فقيل : « رأيت فحما » ، وأريد الوجه الأسود لم تحسـن الاستعارة لعدم حسن التشبيه اذ لم يف بالغرض المطلوب .

---

(١) الرزمة بفتح الراء وسكون الزاى حنين الناقة ، والدره بكسر الدال وفتح الراء المشددة كثرة اللبن وسيلانه .

(٢) العروض الناحية .

(٣) الحثيث السريع ، والمكيث البطىء .

(٤) الذعاف القاتل .

وان كان الغرض منه تشويه وجه أسود عليه آثار الجدرى ، فشبه بحمأة جامدة قد نقرتها الديكة ، ثم استعير له لفظها ، فقيل : رأيت حمأة منقورة ، وأريد الوجه الأسود المجدور حسنت الاستعارة لحسن التشبيه لوفائه بالغرض — ولو شبه الوجه المذكور لأفاده هذا الغرض بقطعة منقبة من معدن كريم أسود اللون ، ثم استعير له لفظها فات الحسن — وهكذا .

ومن جهات حسن التشبيه أن يكون وجه الشبه غير مبتذل — بأن يكون غريبا لطيفا — اما بكثرة ما فيه من التفصيل — أو لكونه نادر الحضور في الذهن — كما سبق في تشبيه « الشمس بالمرآة في كف الأشل » . وتشبيه « زهر البنفسج على سيقانه بأوائل النار في أطراف الكبريت » — فاذا استعير لفظ المرآة في كف الأشل للشمس ، فقيل : « رأيت مرآة في كف أشل » مرادا به الشمس لقرينة حال ، أو استعير لفظ النار مشبوبة في أطراف كبريت لزهر البنفسج فقيل : « رأيت نارا مشبوبة في أطراف كبريت » ، وأريد به البنفسج لقرينة حال أيضا — حسنت الاستعارة فيهما لحسن التشبيه لما فيه من الدقة بكثرة الاعتبارات في الأول ، ولندور حضور المشبه به في الثاني — أما استعارة لفظ « الشمس » للانسان ذى الوجه المشرق ، أو لفظ الأسد للرجل الجرىء فليست بذات حسن لفوات الحسن في التشبيه بسبب ابتذاله لوضوح الوجه فيه .

ويستثنى من جهات حسن التشبيه شيء واحد تحسن فيه الاستعارة ، وان لم يحسن التشبيه وهو أن يقوى الشبه بين الطرفين جدا حتى ليخيل لك أنهما متحدان كالشبه بين العلم والنور ، أو بين الشبهة والظلمة — ففي مثل هذين المثالين تحسن الاستعارة ، فتقول : في قلبي نور أى علم ، ولا يحسن التشبيه ، فلا تقول : في قلبي علم كالنور — وتقول : في قلبي ظلمة أى شبهة ، ولا يحسن أن تقول : في قلبي شبهة كالظلمة .

وانما قبح التشبيه فى مثل ماذكرنا لقوة الشبه بين الطرفين حتى كأنهما شيء واحد ، فاجراء التشبيه بينهما بمثابة تشبيه الشيء بنفسه — وحسنت فيه الاستعارة لاختفاء شبح التشبيه لفظا .

(٢) — أن يزداد بعـدها عن الحقيقة بالترشـيح ولذلك كانت الاستعارة المرشحة أكثر قبولا فى ذوق البلغاء من أختيها — المجردة ، والمطلقـة .

(٣) — ألا يشم فيها رائحة التشبيه لفظا (١) بالا يذكر فى الكلام لفظ يدل على المشبه كما فى قولنا : « زارنى بدر فى منزلى » فليس فى العبارة لفظ دال على المشبه — أما قول الشاعر المتقدم :

لا تعجبوا من بلى غـلالته　　　قـد زر أزراره على القمر

فاستعارة — كما يقولون — قليلة الحسن (٢) لما فيها من اشـمام رائحة التشبيه بسبب ذكر لفظ دال على المشبه ، وهو « الضمير » فى قوله : « غلالته » أو فى « أزراره » — وهذا يتنافى مع ما ترمى اليه الاستعارة — ذلك أن الغرض منها — كما تقدم اظهار المبالغة فى التشبيه بادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به ، ومقتضى هـذا أن يستويا فى وجه الشبه — واشمام رائحة التشبيه بما ذكرنا يلفت الذهن الى ما هو معلوم فى أصل التشبيه من أن المشبه بين أقوى فى وجـه الشبه من المشبه — وهذا يتعارض مع ما تقتضيه الاسـتعارة من تناسى التشبيه ، ودعوى اتحاد الطرفين .

ومما ينبغى أن يعلم هنا أن المراد باشمام رائحة التشبيه المشروط

---

(١) انما شرطوا ذلك فى اللفظ لأن شم التشبيه معنى لابد منه فى كل استعارة بواسطة القرينة لأن الاسـتعارة لفظ أطلق على المشـبه بمعونة القرينة فلا يمكن نفى اشـمام التشبيه لفظا ومعنى لأن المعنى على التشبيه قطعا .

(١) فى نفسى مما يقولون شيء فانى لأشعر بروعة الاستعارة تملأ جوانب نفسى كلما قرأت هذا البيت أو سمعته .

نفيه فى حسن الاستعارة ما لا يخرج به الكلام عن الاستعارة كما فى البيت المذكور ، ونحوه مما ذكر فيه المشبه على وجه لا ينبىء عن التشبيه — بخلاف ما لو ذكر فيه المشبه على وجه ينبىء عن التشبيه نحو « محمد أسد » ، أو صرح فيه بوجه الشبه نحو « رأيت أسدا فى الجرأة » ، أو بالأداة نحو « رأيت مثل الشمس » فان مثل هـذا الاشمام فى الأمثلة المذكورة مبطل للاستعارة ، فنفيه شرط لصحتها ، لا لحسنها .

(٤) — ألا يكون وجه الشبه خفيا جدا بحيث لا يدرك بغير تأمل ونظر ، فلا تحسن استعارة لفظ « أسد » للرجل الأبخر ، وهو ذو الفم المنتن لخفاء وجه الشبه اذ أن انتقال الذهن من معنى الأسد الى الرجل انما يكون باعتبار المعنى المشهور فى الأسد ، وهو الجرأة ، لا البخر — فاستعارة لفظ الأسد للأبخر حينئذ يعد الغازا وتعمية فى المراد — ذلك أن من شروط حسن الاستعارة — كما علمت — عدم اشمامها رائحة التشبيه ، وذلك مما يبعدها عن الحقيقة فاذا انضم الى ذلك خفاء وجه الشبه ازدادت بعدا ، فخفيت على الفهم ، وصارت الغازا — ومن هذا القبيل قولهم فى الاستعارة التمثيلية : « رأيت يوم الجمعة فى المسجد ابلا مائة ، لا تجد فيها راحلة » [1] من قوله صلى الله عليه وسلم : الناس كابل مائة ، لا تجد فيها راحلة — يريد : أن المختار المنتخب من الناس فى عزة وجوده ، مع كثرة أفراد جنسه كالنجيبة المنتخبة التى لا توجد فى كثير من أفراد جنسها — فوجه الشبه بين الطرفين هو « عزة وجود الكامل ، مع كثرة أفراد جنسه » ، وهذا المعنى خفى

---

(١) فى الفائق أن الراحلة البعير الذى يرتحله الرجل — جملا كان أو ناقة ، ثم انه يحتمل ان تكون جملة « مائة لا تجـد فيهـا راحلة » استئنافية اى مائة منها لا تجد فيها راحلة فهى جواب عن سؤال مقدر كانه قيل : على اى حال رأيتهم ؟ فقيل : مائة منها لا تجد فيها راحلة — ويحتمل أن تكون مائة نعتا للابل وأن ما بعده وصف للمائة اى ابلا معدودة بهذا القدر الكثير الموصوف بأنك لا تجد فيه راحلة .

لأن انتقـال الذهن من معنى الابل الى الناس انما يكون باعتبار المعنى المشهور فى الابل ، وهو كثرة الأكل ، وقلة الفهم ، مع كبر الأعضاء ، وطولها ، أو هو الصبر والجلد على العمل ــ أما عزة وجود الكامل ، مع كثرة أفراد جنسه فهو معنى بعيد عن الخاطر ــ لهذا كانت الاستعارة فى المثال المذكور تعمية فى المراد والغازا .

ومن هنا يعلم أن التشبيه أعم محلا (١) اذ كل ما يتأتى فيـه الاستعارة يتأتى فيه التشبيه من غير عكس لجواز أن يكون وجه الشبه غير جلى ، فتصير الاستعارة الغازا كما فى المثالين المذكورين .

هذا ــ والاستعارة التمثيلية كالتحقيقية فى أن حسنها يكون بما ذكرنا من الأمور السابقة اذ لا فرق بينهما الا من حيث الافراد والتركيب ــ أما الاستعارة المكنية فلا يشترط فى حسنها عدم اشمامها رائحـة التشبيه لعدم تأتيه فيها اذ من لوازم المكنية أن يذكر معها شىء من خواص المشبه به ، وذلك دليل التشبيه وحينئذ لا ضير فى خفاء وجه الشبه فيها .

والاستعارة التخييلية قرينة المكنية ــ كما علمت ــ فحسنها حينئذ تابع لحسن المكنية .

اختبـــار

(١) اذكر بالاجمال الأسباب الموجبة لحسن الاستعارة مع التوضيح بالمثال لكل ما تذكر .

(٢) ما السر فى قبح التشبيه فى مثـل فى قلبى علم كالنــور ؟ وما وجه حسن الاستعارة فيه ؟ وما علة كون الاستعارة فى قول الشاعر:

(١) المراد به أن يكون العموم من حيث التحقق ، لا من حيث الصدق اذ لا يصدق التشبيه على الاستعارة ، أو العكس .

قد زر « أزراره على القمر ؟ » وفى نحو قولك : « رأيت أسدا ؟ » أى أبخر قليلة الحسن . اشرح ذلك بوضوح تام .

(٣) من أى قبيل تشبيهك وجها أبيض بالجير تريد تحسينه ، علل لما تقول .

فصل آخر فى المجاز بالحذف والزيادة

اعلم أن لفظ « مجاز » كما يطلق على الكلمة المنقولة عن معناها الأصلى الى غيره — كما سبق — يطلق أيضا (١) على الكلمة المنقولة عن حكم اعرابها الأصلى الى غيره بسبب حذف لفظ ، أو زيادة لفظ .

فالأول كما فى نحو قوله تعالى : « وجاء ربك » . « واسأل القرية » فكل من لفظى « ربك والقرية » مجاز بالحذف (٢) اذ ليس الكلام محمولا على ظاهره لاستحالة مجىء الرب سبحانه فى الآية الأولى ، وللقطع بأن المراد سؤال أهل القرية ، لا سؤال الأبنية فى الثانية — وأصل الكلام : وجاء أمر ربك ، واسأل أهل القرية — فهما — فى الأصل — مجروران بالاضافة ، ثم نقلا من هذا الحكم الاعرابى بسبب حذف المضاف ، وجعل الأول مرفوعا على الفاعلية ، والثانى منصوبا على المفعولية .

والثانى كقوله تعالى : ليس كمثله شىء — فقوله : « كمثله »

---

(١) اما على سبيل الاشتراك اللفظى اى ان لفظ « مجاز » موضوع بوضعين — احدهما للكلمة المستعملة فى غير معناها الوضعى ، والثانى للكلمة التى تغير حكم اعرابها الأصلى ، فيكون اطلاق المجاز عليها حينئذ حقيقة — واما على سبيل التشابه اى مشابهة الكلمة المنقولة عن اعرابها الأصلى للكلمة المنقولة عن معناها الأصلى بجامع الانتقال عن الأصل فى كل واستعير اسم المشبه به وهو لفظ « مجاز » للمشبه فيكون اطلاق لفظ « مجاز » على الكلمة التى تغير حكم اعرابها مجازا بالاستعارة .

(٢) ويحتمل أن يكونا من قبيل المجاز المرسل من اطلاق اسم السبب على المسبب فى الأول ، واطلاق اسم المحل على الحال فى الثانى .

مجاز بالزيادة والأصل : ليس مثله شيء لأن المراد نفى مثل الله ، لا نفى مثل مثله اذ لا مثل له تعالى حتى ينفى عن ذلك المثل من يكون مثله — فالحكم الاعرابى « لمثل » حينئذ هو النصب خبر ليس ، ثم نقل من هذا الحكم ، وجعل مجرورا بسبب زيادة الكاف .

ومن هذا البيان يعلم أن الموصوف بالمجاز فى هذا النوع هو الكلمة التى تغير اعرابها — كما فى المثالين المذكورين — وهذا اقرب مما ذكره السكاكى من أن الموصوف بالمجاز هنا هو حركة الاعراب .

وجه ذلك أن مدلول المجاز على الرأى الأول واحد فى الموضعين، اذ مدلوله هنا ، وفيما تقدم : « الكلمة المنقولة (١) » — بخلاف الحال على رأى السكاكى فان فى مدلوله تخالفا فى الموضعين — فمدلوله فيما تقدم : « الكلمة » نفسها ، وفى هذا الموضع « حال الكلمة » ، وهو الاعراب — وما ليس فى مدلوله تخالف أولى بالاعتبار مما فى مدلوله تخالف .

المبحث الخامس فى الكناية

تعريفها — هى — فى اللغة — أن تتكلم بالشىء وتريد غيره — — وهى مصدر كنيت بكذا عن كذا اذا تركت التصريح به ، وبابه رمى يرمى — وورد كنوت بكذا عن كذا من باب دعا يدعو ،وقد أنشد الجوهرى :

وانى لأكنو عن قدور (٢) بغيرها
وأعرب أحيانا بها وأصارح

---

(١) أما هناك فمنقولة عن المعنى الأصلى ، واما هنا فمنقولة عن اعرابها الأصلى .

(٢) بفتح القاف وضم الدال اسم امرأة .

والأول أفصح بدليل قولهم فى المصدر : « كناية » ولم يسمع كنـاوة .

وهى ــ فى الاصطلاح ــ لفظ أطلق ، وأريد به لازم معناه الحقيقى لقرينة لا تمنع من ارادة هذا المعنى ، مع المعنى المراد .

قيود التعريف ــ خرج بقيد « اللفظ » نحو الاشارة ، والكتابة من كل ما ليس بلفظ ــ وخرج بارادة لازم المعنى الحقيقى اللفظ المراد به المعنى الحقيقى نفسه ــ وخرج بقوله : لقرينة لا تمنع الخ المجاز اذ لا بد فيه من قرينة تمنع من ارادة المعنى الحقيقى ، مع المعنى المجازى ــ عند من يمنع الجمع بين الحقيقة ، والمجاز كالخطيب القزوينى كما تقول : « كلمنى أسد » فلا يجوز أن يراد منه الحيوان المفترس لأن فيه قرينة تمنع من ذلك ، وهى « كلمنى » اذ أن الكلام من شـأن الانسان ، لا من شأن الأسود .

ومن هنا يعلم أن الكناية واسطة بين الحقيقة والمجـاز ــ فهى ليست بحقيقة لأن اللفظ لم يرد به معنـاه الحقيقى ، بل أريد به لازمه ــ وليست بمجاز لأن المجاز لا بد له ــ كما قلنا ــ من قرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقى [1] .

ولا يرد على الخطيب أنه لا يجيز استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه لأن محل عدم الجواز عنده اذا استعمل اللفظ فيهما على أن كلا مقصود لذاته ــ وما هنا ليس كذلك لأن المقصود بالذات هو المعنى اللازمى لا غير .

مثال الكناية قولك : « محمد طويل النجاد » كناية عن طول قامته ــ قال الشاعر :

---

(1) وقيل : هى من قبيل الحقيقة لأنها لفظ مستعمل فى المعنى الحقيقى لينتقل منه الى المعنى اللازمى ، والحقيقة اعم من أن يكون المراد باللفظ فيها المعنى الحقيقى وحده كما فى الصريح ، أو مع ارادة المعنى الكنائى كما فى الكناية .

« طويل نجـــاد السـيف » شهم كأنما
تصـــول اذا اسـتخدمته بقبيل (١)

فالمعنى الحقيقى لهذا اللفظ هو أن نجاد محمد طويلة ، وليس هذا مرادا انما المراد لازم هذا المعنى ، وهو : أن محمد طويل القامة اذ يلزم عادة من طول النجاد أن تكون القامة طويلة — ويصح مع هذا ارادة المعنى الحقيقى أيضا بأن يراد المعنيان جميعا — طول النجـاد ، وطول القامة — وهذا هو موضع الفرق بينها وبين المجاز — كما عرفت — ومثله قولك : « محمـد نظيف اليد » كناية عن نزاهته فالمعنى الحقيقى هو أن يده نظيفة ولكنه ليس مرادا بل المراد لازم هذا المعنى، وهو أنه نزيه ، لا يفعل ما يلوث شرفه ، وتجوز ارادة المعنيين — وكقولهم : « فلانة نؤوم الضحى » كناية عن أنها مترفة مخدومة ، لها من يكفيها أمرها ، ويقوم بشئونها — فالمعنى الحقيقى للفظ : أن المرأة المذكورة تنام الى الضحى ، وليس هذا مرادا وانما المقصود ما يلزم هذا المعنى وهو أنها من ذوات الترف والنعمة لها من يقوم بتدبير أمرها ، واصلاح حالها — وتجوز ارادة المعنيين معا — كما علمت — وهكذا ...

تنبيهان

الأول — ليس بلازم فى الكناية أن يكون المعنى الحقيقى للفظ المكنى به متحققا فى الواقع اذ يصح أن تقول : « فلان طويل النجاد » كناية عن طول القامة ، وان لم يكن له نجاد ، بل تصح الكناية حتى مع استحالة المعنى الحقيقى كما فى قولهم : المجد بين برديه ، والكرم

(١) النجاد ما وقع على العاتق من حمائل السيف وفيه اشعار بأن الممدوح من أرباب السيف والاقدام ، والقبيل الجماعة شبه الممدوح وهو مفرد بالجمع فى القوة والمنعة ، وفى هذا المعنى يقول حافظ فى رثاء مصطفى باشا كامل :

سنشهد فى التاريخ انك لم تكن — فتى مفردا بل كنت جيشا مغازيا

تحت ردائه كناية عن اثبات المجد والكرم للممدوح — فان المعنى الحقيقى لكل من العبارتين وهو حلول المجد بين البردين ، وحلول الكرم تحت الرداء مستحيل الحصول اذ أن الحلول الحسى بين الأشياء أو تحتها من شأن الأجسام ، لا المعانى — وكما فى قوله تعالى : (« الرحمن على العرش «استوى») كناية عن الاستيلاء والسيطرة فالمعنى الحقيقى للاستواء هو « الجلوس » وهذا المعنى مستحيل على الله سبحانه (١) ومن هذا يعلم أن الشرط فى الكناية جواز ارادة المعنى الحقيقى ، لا ارادته بالفعل لامتناع ارادته فيما ذكرنا . اهـ

الثانى — علمت مما تقدم أن مناط الفرق بين المجاز والحقيقة وجوب وجود القرينة المانعة فى الأول . دون الثانية .

وقد فرق « السكاكى » بينهما أيضا بأن الانتقال « فى الكناية» من اللازم الى الملزوم كالانتقال من طول النجاد الى طول القامة فى المثال المتقدم فطول القامة ملزوم لطول النجاد ، وطول النجاد لازم لطول القامة — أما المجاز فالانتقال فيه من الملزوم الى اللازم « عكس الأول » كالانتقال من الغيث الى النبات فى نحو قولك : رعى جوادى الغيث ، وكالانتقال من الأسد الى الجرىء فى نحو قولك : على الفرس أسد ، فان النبات لازم : للغيث عادة ، والغيث ملزوم له — كما أن الجرىء لازم للأسد ، والأسد ملزوم له .

ورد هذا الفرق بأن اللازم اذا لم يكن ملزوما (٢) لا ينتقل منه

---

(١) ومثل الآية المذكورة قوله تعالى : ليس كمثله شىء كناية عن نفى المماثلة عن ذاته تعالى اذ أن سلب الشيئية عن مثل مثله يستلزم سلبها عن مثله والا لزم التحكم فى نفى الشيئية عن احد المثلين دون الآخر ولا يخفى امتناع ارادة المعنى الحقيقى لهذه العبارة لاستحالة ثبوت مماثله تعالى .

(١) اى بنفسه أو بانضمام قرينة اليه فالأول كالناطق بالنسبة للانسان فانه — وان تبادر منه أنه لازم للانسان — ملزوم له أيضا لمساواته له اذ يلزم من وجوده وجود الانسان ، والثانى كقولنا : رأيت =

الى الملزوم لأن اللازم من حيث انه لازم يجوز أن يكون أعم من ملزومه . ولا دلالة للعام على الخاص كما فى الضوء للشمس اذ لا دلالة للضوء عليها لاحتمال أن يكون ضوء مصباح ، أو قمر — والسكاكى نفسه معترف بهذه القضية واذ لا بد — فى الانتقال من اللازم الى الملزوم — أن يكون المنتقل منه ملزوما أيضا كان الانتقال حينئذ من الملزوم الى اللازم ، واذا لا يتحقق الفرق بينهما من هذه الناحية لأن الانتقال فى كل منهما من الملزوم الى اللازم ، فثبت أن الفرق الذى أتى به السكاكى ليس بشىء .

وما يقال من أن المراد باللازم فى الكناية ما كان تابعا كطول النجاد التابع لطول القامة فمردود بأن المجاز أيضا قد ينتقل فيه من التابع فى الوجود الخارجى الى المتبوع كاطلاق النبات على الغيث فى نحو : أمطرت السماء نباتا — فلو اختصت الكناية بما يكون الانتقال فيه من التابع كان مثل هذا المثال من قبيل الكناية ، مع أنه مجاز بالاجماع فثبت أن لا فرق بين الكناية والمجاز الا من حيث القرينة — كما سبق .

أقسام الكناية

تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه الى ثلاثة أقسام :

(١) كناية يطلب بها صفة (١) .

(٢) كناية يطلب بها موصوف .

(٣) كناية يطلب بها نسبة صفة الى موصوف .

= انسانا لا يفارق المنارة كناية عن المؤذن فان الانسان الموصوف بهذا الوصف فيما يتبادر لازم للمؤذن ، ويصح ان يكون اعم منه لجواز ان تكون ملازمته للمنارة لا للأذان لكن قرينة العرف دالة على انه المؤذن لأن ذلك هو المتبادر الغالب فهذا اللازم الأعم صار ملزوما بالقرينة :

(١) المراد بالصفة المعنى القائم بالغير كطول القامة وكالجود ، لا خصوص النعت النحوى .

فالأولى — وهى المطلوب بها صفة — ضـــابطها : أن يصرح بالموصوف، وبالنسبة اليه، ولا يصرح بالصفة المطلوب نسبتها واثباتها، ولكن يذكر مكانها صفة تستلزمها كما فى المثال السابق : « محمــد طويل النجاد » كناية عن طول قامته ، فقد صرح بالموصوف ، وهـــو « محمد » وصرح بالنسبة ، وهى اسناد طول النجاد اليه ، ولم يصرح بالصفة المطلوب نسبتها ، وهى « طول القامة » ، ولكن ذكر مـــكانها صفة أخرى تستلزمها هى « طول النجاد » — وكما فى قولهم : «فلانة نئوم الضحى » كناية عن أنها مترفة مخدومة فقد صرح بالموصـــوف ، وهو « فلانة » وصرح بالنسبة ، وهى اسناد النوم فى الضحى اليها ، ولم يصرح بالصفة المطلوب نسبتها ، وهى «الترف والنعمة» ولكن ذكر مكانها صفة تستلزمها هى « النوم الى الضحى » — وهكذا .

وهذه الكناية ضربان — قريبة وبعيدة :

فالكناية القريبة — ما ينتقل الذهن فيهـــا من المعنى الأصـــلى الى المقصود بلا واسطة بين المنتقل عنه والمنتقل اليه كما فى القول السابق: فلان طويل النجاد ، فان المطلوب بقولنا : « طويل النجاد » صفة هى « طول القامة » — كما بينا — ، وليس بين طول النجاد ، وطول القامة واسطة ، وانما ينتقل الذهن من طول النجاد الى طول القامة مباشرة — وسميت قريبة لقصر زمن ادراك المقصود منها بسبب انتفاء الواسطة .

والقريبة نوعان — واضحة وخفية

فالواضحة — ما يفهم منها المقصود لأول وهلة لوضوح اللزوم بين المكنى به والمكنى عنه كما تقدم فى قولنا : فلان طويل نجاده ، أو فلان طويل النجاد (١) فان طول القامة يفهم من طول النجاد بلا حاجة الى

---

(١) الفرق بين المثالين ان الأول من قبيل الكناية الساذجة لايشوبها شىء من التصريح بالمعنى المقصـــود لأن فاعل الوصف هو النجاد لينتقل منه الى طول قامة فلان والثانى من قبيل الكناية المشوبة بشىء من التصريح =

تأمل لوضوح اللزوم بينهما ــ كما عرفت ــ ومثله قول الشاعر :

أبت الروادف والثـدى لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا(١)

كنى عن كبر عجيزة المرأة ، ونهود ثديها بارتفاع قميصها عن أن يمس منها بطنا أو ظهرا ، وهى كناية واضحة اللزوم ــ كما ترى ــ

والخفية ــ مالا يفهم منها المقصود الا مع شيء من التأمل والتفكير لخفاء اللزوم بين المكنى عنه ، والمكنى به كما فى قولهم : فلان عريض القفا كناية عن أنه أبله بليد فان عرض القفا بافراط مما يستدل به على البلاهة والبلادة الا أن فهم ذلك منه يتوقف على اعمال فكر وروية لأن فى اللزوم بين المعنيين نوع خفاء ، لا يدركه كل أحد .

والكناية البعيدة ــ ما ينتقل الذهن فيها من المعنى الأصلى الى المقصود بواسطة كما فى قولنا : « عباس كثير الرماد » كناية عن أنه جواد مسماح ــ فالمطلوب بهذه الكناية صفة هى « الجود » ، وبين كثرة الرماد وصفة الجود وسائط عدة لابد من مراعاتها للوصول الى هذه الصفة . فينتقل أولا من كثرة الرماد الى كثرة الاحراق ، ومنها الى كثرة الطبخ ، ثم الى كثرة الأكلة ، ومنها الى كثرة الضيفان ، ومنهـا الى الجود ــ ومثله قول الشاعر :

وما يك من عيب فانى جبان الكلب ، مهزول الفصيل (٢)

= بالمعنى المراد لتضمن الوصف للضمير العائد على الموصوف فكأنه قيل : فلان طويل ، وهو كلام صريح لا كناية فيه ولما أضيف الى النجاد صار كناية عن طوله لكن مع شيء من التصريح لتحمل الوصف لضمير الموصوف بدليل انك تقول : فلانة طويلة النجاد وانتما طويلا النجاد وانتم طوال النجاد فتؤنث وتثنى وتجمع .

(١) الروادف جمع ردف بكسر فسكون وهو عجيزة المرأة ، والثدى بضم الثاء مع التشديد وكسر الدال وتشديد الياء جمع ثدى بفتح فسكون والقمص بضم القاف والميم وسكن للضرورة جمع قميص وقد جمعت هذه الأشياء للمبالغة .

(٢) الفصيل ولد الناقة .

فقد كنى عن جوده . وكثرة قراه للأضياف بجبن الكلب ، وهزال الفصيل اذ ينتقل الذهن من جبن الكلب الى تأديبه ومنــه الى استمرار ما يوجب نباحه ، وهو اتصال مشاهدته وجوها اثر وجوه ، ثم ينتقل من هذا الى كون صاحبه مقصدا للداني والقاصي ؛ ومن هذا الى أنه يقرى الأضياف ؛ ومن قرى الأضياف الى وصف الجود ــ كذلك ينتقل الذهن من هزال الفصيل الى فقد (١) أمه بنحرها ، ومنه الى قوة الداعي لنحرها ، لكمال عناية العرب بالنوق لا سيما المتليات (٢) ، ومنه ينتقل الذهن الى اعدادها للطبخ ؛ ومنه الى أنه مضياف كريم ــ وسميت هذه الكناية بعيدة لبعد زمن ادراك المقصود منها .

والثانية ــ وهى المطلوب بها موصوف ــ ضابطها : أن يصرح بالصفة ، وبالنسبة ، ولا يصرح بالموصوف المطلوب النسبة اليه ، ولكن يذكر مكانه صفة ، أو أوصاف تختص به كما فى قولك : « فلان صفا لى مجمع لبه » كناية عن قلبه ــ فقد صرح فى هذه الكناية بالصــفة ؛ وهى « مجمع اللب » ، وصرح بالنسبة ، وهى اسناد الصفاء اليهــا ؛ ولم يصرح بالموصوف المطلوب نسبة الصفاء اليه ، وهو « القلب » ؛ ولكن ذكر مكانه وصف خاص به وهو « كونه مجمع اللب » ، فان القلب ــ كما يقولون ــ موضع العقل والتفكير .

وهذه الكناية أيضــا نوعان :

الأول ــ ما يكون الكناية فيه معنى واحدا كما فى المثال السابق: فلان صفا لى مجمع لبه فمجمع اللب المكنى به عن القلب معنى واحد ــ كما ترى (٣) ــ وكما فى قول الشاعر :

(١) أو الى اخذ اللبن منها وتقديمه للضيفان .

(٢) هى التى تلاها ولدها اى تبعها .

(٣) ويسمى هذا النوع من الكنــاية عند اصحاب العلوم العقلية « خاصة بسيطة » لعدم تركبها ، ويسميه السكاكى « كناية قريبة » لا بالمعنى السابق بل بمعنى سهولة المأخذ وسرعة الانتقال فيها لبساطتها .

الضاربين بكل أبيض مخـذم والطاعنين مجامع الأضغان (١)

يصف الشاعر قومه بالبسالة ، وحسن البلاء فى الحروب ، وأن سيوفهم لا تعرف غير المقاتل جفونا — كنى بمجامع الأضغان ؛ وهـو معنى واحد عن القلوب — والمراد بوحدة المعنى ألا يكون من أجناس مختلفة ، وان كان مثنى أو جمعا فمجامع الأضغان فى قول الشـاعر السابق — وان كان جمعا — هو معنى واحد من حيث ان مدلوله جنس واحد هو « القلوب » لا أجناس مختلفة ؛ وكون القلب مجمع الضغن وصف خاص به ، فلا يحل الضغن فى غيره .

الثانى — ما يكون الكناية فيه مجموع معان مختلفة ضم بعضها الى بعض لتكون جملتها مختصة بالموصوف ، فيتوصل بذكرها اليـه كما يقال فى الكناية عن الانسان : زارنى حى ، مستوى القامة ، عريض الأظفار — فالكناية مجموع هذه المعانى من الحياة ، واستواء القامة ، وعرض الأظفار ، لا كل واحد منها — وهذه المعانى مجتمعة وصف خاص بالانسان ، لا يوجد فى سـواه (٢) .

والثالثة : وهى المطلوب بها نسبة (٣) — ضـابطها : أن يصرح بالموصوف والصفة ، ولا يصرح بالنسبة بينهما ، ولكن يذكر مـكانها نسبة أخرى تستلزمها — وهذه النسبة — اما أن تكون اثباتا أو نفيا — فمثالها فى الاثبات قولهم : « المجد بين بردى محمد » كناية عن اثبات المجد له — فقد صرح فى هذه الكناية بالموصوف ، وهو « محمد » .

---

(١) الأبيض السيف والمخذم كمنبر القاطع والاضغان جمع ضـغن وهو الحقد ، وكل من الضاربين والطاعنين منصوب على المدح بقدرتهم على النكاية والفتك بالأعداء .

(٢) ويسمى هذا النوع عند ذوى العلوم العقلية « خاصة مركبة » لتركبها من جملة معان مختلفة ، ويسميه السكاكى كناية بمعنى صعوبة المأخذ والانتقال فيها لتركبها من عدة أمور .

(٣) أى اثبات أمر لأمر أو نفيه عنه .

وصرح بالصفة ، وهى « المجد » ، ولكن لم يصرح بنسبة المجد اليه. وانما ذكر مكانها نسبة المجد الى برديه اثباتا ، وهى تستلزم نسبة المجد اليه من حيث وجوده بين برديه الخاصين به ، واستحالة قيام المجد بنفسه، ووجوب قيامه بمحل صالح ــ ومنه قول زياد بن الأعجم :

ان السماحة والمروءة والندى
في قبة ضربت على ابن الحشرج (١)

فقد كنى عن اثبات هذه الثلاثة للممدوح باثباتها لقبة ضربت عليه لأنه اذا أثبت الأمر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبت له لما قلنا من استحالة قيام الأمر بنفسه ووجوب قيامه بمحل صالح له ــ ومثالها فى النفى قول الشنفرى يصف امرأة بالعفة والنزاهة :

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها   اذا ما بيوت بالملامة حلت

فقد صرح بالموصوف ، وهو الضمير فى « بيتها » العائد على المرأة ، وصرح بالصفة ، وهى اللوم المنفى فى قوله « بمنجاة من اللوم» ولم يصرح بنسبة اللوم عنها ، ولكن ذكر مكانها نسبة أخرى هى نفى اللوم عن بيت يحتويها . وهذا اللوم يستلزم نفى اللوم عنها (٢) .

---

(١) هو عبد الله بن الحشرج كان أميرا على نيسابور يدل على ذلك قوله : « فى قبة » اذ يفهم منه ان الممدوح ممن تضرب له القباب وذلك عنوان السيادة والأمارة .

(٢) قيل قد يطلب بالكناية صفة ، ونسبة معا كقولك : كثر الرماد فى ساحة محمد كناية عن صفة المضيافية واثباتها لمحمد وقد يطلب بها الصفة والنسبة والموصوف جميعا كما فى قولك : كثر الرماد فى ساحة حى مستوى القامة عريض الأظافر ــ ويجاب بأن ما ذكر ليس كناية واحدة بل هو فى المثال الأول كنايتان ــ احداهما مطلوب بها صفة وهى كثرة الرماد كناية عن المضيافية ــ والثانية مطلوب بها نسبة المضيافية الى محمد بواسطة نسبتها الى ساحته وفى المثال الثانى ثلاث كنايات ــ مطلوب بها صفة فى كثرة الرماد ، ومطلوب بها نسبة فى اثباتها للساحة، ومطلوب بها موصوف فى حى مستوى القامة عريض الأظفار .

تنبيه :

قد يكون الموصوف بالكناية غير مذكور فى الكلام وذلك اذا كان المطلوب بالكناية صفة ، أو نسبة صفة الى موصوف .

فمثال المطلوب بها صفة قولهم : « كثر الرماد فى هذه الساحة » فان كثرة الرماد كناية عن صفة المضيافية ، وايقاع الكثرة فى الساحة كناية عن ثبوت هذه الصفة لصاحب الساحة ، وهو لم يدكر فى الكلام .

ومثال المطلوب بها نسبة : قوله صلى الله عليه وسلم فى شأن من يؤذى المسلمين : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » فهو كناية عن نسبة هى نفى (١) صفة الاسلام عن المؤذى ، وهو غير مذكور فى الكلام — ووجه الكناية فيه أن مدلول الجملة فى الحديث الشريف حصر الاسلام فيمن لا يؤذى المسلمين ، ولا ينحصر فيه الا بانتفائه عن المؤذى — فقد أطلق الملزوم ، وهو حصر الاسلام فيمن لا يؤذى . وأريد اللازم، وهو انتفاء الاسلام عن المؤذى .

أما الكناية المطلوب بها موصوف فلا يتصور الا كونه غير مذكور لأنه هو المطلوب بالكناية والا فكيف يطلب حصول ما هو حاصل.

بحث للسكاكى فى بعض أنواع الكناية :

رأى السكاكى أن يسمى بعض أنواع الكناية بأسماء تختلف باختلاف الاعتبارات ، فهى تتنوع عنده الى أربعة أنواع — تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وايماء ، أو اشارة .

فالتعريض — لغة خلاف التصريح ، واصطلاحا : امالة الكلام الى

---

(١) النسبة المكنى عنها هنا نفى الصفة لا ثبوتها لأن نسبة الصفة يكنى عنها مطلقا — ثبوتية كانت أو سلبية كما تقدم مثاله وهى هنا سلبية اذ هى سلب الاسلام عن المؤذى .

عرض (١) يدل على المقصود أى توجيه الكلام الى جانب يفهم منـه المعنى المراد — فلفظ الحديث السابق من قبيل التعريض اذا قصد منه شخص معين اذ أن معناه الصريح حصر الاسلام فى غير المؤذى ، ويلزمه نفى الاسلام عن كل مؤذ ، وهو المعنى الكنائى — فاذا قصد به نفى الاسلام عن ذلك الشخص المعين المفهوم من سياق الكلام (٢) — ومثله قولك لآخر : « لست بخائن ولا مراء » فهو كناية من قبيل التعـريض بخيانة ومراءاة من تخاطبه لقرينة أنه ممن اتسم بهاتين الرذيلتين .

ومن مزايا التعريض أن تستطيع النيل من خصمك ، والتنديد به بما لا يخرج عن دائرة الأدب ، ولا يجعل له عليك سبيلا .

ومما تقدم يعلم أن التعريض ليس من قبيل الحقيقة ، ولا من المجاز ولا من الكناية لأن الحقيقة هى اللفظ المستعمل فى معناه الأصلى ، والمجاز هو اللفظ المستعمل فى لازم معناه فقط ، والكناية هى اللفظ المستعمل فى اللازم ، مع جواز ارادة الأصل — أما التعريض فهو أن يفهم من اللفظ معنى بالسياق أو القرائن ، من غير أن يقصد اسـتعمال اللفظ فيـه (٣) .

---

(١) العرض بضم العين الجانب والناحية تقول : عرضت بفـلان اذا قلت قولا لغيره وانت تعنيه فقد أشرت بالكلام الى جانب واردت به جانبا آخر .

(٢) معنى هذا : ان اللفظ قد يستعمل فى معنى مكنى عنه ليلوح به الى معنى آخر بالقرائن او السياق كما فى الحديث فان حصر الاسلام فيمن لا يؤدى يلزمه انتفاء الاسـلام عن مطلق مؤذ فاذا استعمل هـذا اللفظ فى هذا اللازم ولم يرد به شخص معين بالذات كان كناية وان كان ثم شخص معين موصوف بالايذاء وقد قصد اليه بالكناية كان الكلام تعريضا .

(٣) ذكر السكاكى ان التعريض قد يكون مجازا تارة ، وكناية أخرى كما تقول لآخر : آذيتنى فستعرف فان مدلول هذا التركيب والمقصود منه تهديد المخاطب بسبب ايذائه اياه وهـذا المعنى يلزمه عرفا تهديد من كان مثل المخاطب فى الايذاء والضرر فان استعمل هذا التركيب فى اللازم فقط وهو تهديد غير المخاطب لقرينة كون المخاطب صديقا مثلا =

والتلويح — كناية كثرت فيها الوسائط بين اللازم والملزوم كما سبق فى نحو : فلان كثير الرماد، وفلان جبان الكلب، مهزول الفصيل، وكقولهم : « فلان كثير الاخوان » كناية عن حسن أخلاقه فان الذهن ينتقل أولا من كثرة الاخوان الى سهولة خلقه ، ومنها الى آنسهم به ، وارتياحهم اليه ، ثم ينتقل من هذا الى حسن معاشرته ومعاملته ، ثم الى حسن أخلاقه وطيب أعراقه — وسميت الكناية تلويحا لأن التلويح — فى الأصل — أن تشير الى غيرك من بعد — وكثيرة الوسائط بعيدة الادراك غالبا .

والرمز — كناية عدمت فيها الوسائط أو قلت مع خفاء اللزوم — فمثال ما عدمت فيه الواسطة قولهم : فلان عريض القفا اذ أنهم يكنون بعرض القفا عن البله والبلادة — ومثله قولهم : فلان مكتنز اللحم ، أو مفتول الذراعين كناية عن القوة — ومثال ما قلت فيه الواسطة قولهم : فلان عريض الوسادة فهم يكنون بعرض الوسادة عن عرض القفا ، ثم يكنون به عن البله والغباء — واللزوم فيما مثلنا خفى — كما ترى — يحتاج الى نوع من التأمل — وسميت هذه الكناية «رمزا» لأن الرمز — فى الأصل — أن تشير الى قريب منك خفية بنحو شفة ، أو حاجب قال الشاعر :

رمزت الى مخافة من بعلها — من غير أن تبدى هناك كلامها

والايماء أو الاشارة — كناية عدمت وسائطها أو قلت ، مع وضوح اللزوم — فمثال ما عدمت فيه الواسطة قولك لآخر : « الحظ حليف الوفى » فتكنى بمحالفة الحظ للوفى عن اتصافه بالوفاء — ومثال ما قلت فيه الواسطة قول البحترى :

= ولعلاقة الاشتراك فى الايذاء ولو فرضا كان هـذا الكلام مجازا وان استعمل فى اللازم والملزوم معا لقرينة عداوة تنتظم المخاطب وغيره كان الكلام كناية وفى هذا الكلام نظر يطول البحث فيه .

أو ما رأيت المجـد ألقى رحـله   في آل طلحة ثم لم يتحول؟ (١)

يقول ــ قد علمت أن المجد أقام بخيام آل طلحة ، ولم يرحل عنها فقد أثبت المجد لخيام آل طلحة اذ جعله مقيما بها وهو كناية عن اثبات المجد لهم من حيث ان المجد صفة لابد من قيامها بمحل والخيام لا تصلح محلا لها ، واللزوم واضح في المثالين ــ كما ترى ــ وسميت هـذه الكناية اشارة أو ايماء لأن الاشارة ــ في الأصل ــ موضوعة للدلالة على محسوس وهو أمر ظاهر ، ومثلها الايماء .

اختبـــار

(١) عرف الكناية لغة واصطلاحا ، ثم بين محترزات التعريف ، وهل هي من قبيل الحقيقة أو المجاز ؟ بين ذلك بوضوح ، مع التمثيل .

(٢) كيف صح جـــواز ارادة المعنى الأصلي في الكناية ، مع استحالته في قولهم : المجد بين برديه ؟.

(٣) هل بين المجاز والكناية فارق ؟ واذا كان فما هو ؟ وما رأى السكاكي في الفرق بينهما ، وبم رد عليه فيما رأى ؟ .

(٤) اذكر أقسام الكناية باعتبار المكنى عنه ، وضابط كل منهـا ، مع التمثيل لكل ما تذكر .

(٥) قسم الكناية المطلوب بها صفة ، وعرف كل قسم ، ومثل له.

(٦) قسم الكناية المطلوب بها موصوف ، مع التمثيل لكل قسم، ثم بين نوع الكناية في قول الشاعر :

ودبت له في موطن الحلم علة   لها كالصـلال الرقش شر دبيب (٢)

---

(١) القاء الرحل كناية عن الاقامة ، والتحول الارتحال . وقوله « في آل طلحة » على تقدير مضاف أي في خيام آل طلحة .

(٢) الصـلال جمع صل بكسر الصاد ضرب من الحيات لا نجاة من لدغه والرقش جمع رقشاء وهي حية ذات نقط سود في بياض .

(٧) ما نوع الكناية فى قولك لآخر عديم النفع : خير الناس من ينفعهم .

(٨) عرف التعريض ، وهل هو من قبيل الحقيقة ، أو من قبيل المجاز ؟ مثل له من انشائك ، مع بيان المعنى الكنائى فيما تمثل به .

(٩) عرف التلويح ، والايماء ، ومثل لكل بمثال ، مع بيان المعنى الكنائى فيهما .

(١٠) اذكر الفرق بين الرمز ، والايماء ، ثم بين الرمز والتلويح ، مع التمثيل .

تمرين وجوابه

وضح نوع الكناية فيما يأتى :

(١) وكلبك آنس بالزائرين
من الأم بابنتها الزائرة

(٢) لا يرفع الضيف عينا فى منازلنا
الا الى ضاحك منا ومبتسم

(٣) أكلت دما ان لم أرعك بضرة
بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

(٤) لا ينزل المجد الا فى منازلنا
كالنوم ليس له مأوى سوى المقل (١)

(٥) فما جازه جود ولا حل دونه
ولكن يصير الجود حيث يصير

---

(١) المقل جمع مقلة وهى العين جملة .

(٦) فأتبعتها أخرى فاضللت نصلها (١)
بحيث يـكون اللب والـرعب والحقـد

(٧) واذا الكريم أضـاع مطلب أنفه
أو عرسـه لكريهـة لم يغضـب

(٨) لا أمتع العـوذ بالفصـال ولا
أبتـاع الا قريبـة الأجـل (٢)

(٩) أبين فمـا يزرن سـوى كريم
وحسـبك أن يزرن أبا سـعيد (٣)

(١٠) ولما شربنـاها (٤) ودب دبيبهـا
الى مـوطن الأسرار قلت لهـا قفى

(١١) يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبـلا
يكلمـه من حبـه وهـو أعجـم

(١٢) لسـت بـراعى ابل ولا غنـم
ولا بجـزار على ظهـر وضـم (٥)

(١٣) خلق اللسـان لنطقه وبيـانه
لا للسـكوت وذاك حظ الأخـرس

(١٤) هو سمين رخو (١٥) فلان يفترش الثرى ويتوسد الجنـادل

(١٦) فـلان مـلء اهـابه الـكرم

(١٧) « حملناه على ذات الواح ودسر »

(١) النصل حديدة السيف يقول : اتبعت طعنة بطعنة اخفيت بها حديدة السيف في القلب الذى هو موضع هذه الأشياء الثلاثة .

(٢) العوذ بالضم الابل الحديثات النتاج جمع عائذ كحائل وحول والفصال جمع فصيل وهو ولد الناقة .

(٣) الضمير فى أبين للابل يقول : يكفيك من كل كريم أن تزور ابلك أبا سعيد أى كل الصيد فى جوف الفرا .

(٤) الضمير للخمر .

(٥) الوضم كل ما قطع عليه اللحم .

جواب التمرين

(١) فى البيت كناية يراد بها صفة الكرم — بيانه أن استئناس الكلب بالزائرين عنوان معرفته بهم لأن الكلب لا يأنس الا بمن يعرف ؛ ومعرفته بهم دليل اتصال مشاهدته اياهم ليل نهار وهذا دليل على أن دار الممدوح محط الرحال ، وملتقى الآمال ؛ وهذا يدل على ما أراده الشاعر من وفور احسان الممدوح ، وسعة جوده ، وعموم أياديه فقد بعدت المسافة بين أنس الكلب بالزائرين ، واحسان الممدوح فهى من الكنايات البعيدة المسماة « بالتلويح » — وكون الكلب آنس من الأم مبالغة فى استئناسه بالزوار وهو يقتضى المبالغة فى وصف الممدوح بالاحسان .

(٢) فى البيت كناية أريد بها نسبة الكرم الى قومه وعشيرته اذ يلزم من الضحك والابتسام فى وجه الضيف الحفاوة به وهذا يستلزم الكرم « ايماء » لقلة الوسائط ، ووضوح اللزوم بين الابتسام والكرم .

(٣) فى الشطر الثانى من البيت كناية يراد بها صفة هى طول الرقبة « ايماء » — بيانه أن بعد مهوى القرط يستلزم أن يكون العنق طويلا — وهى قريبة لعدم وجود الواسطة بين بعد المهوى ، وطول العنق ، وواضحة لوضوح اللزوم بين المعنيين .

(٤) فى الشطر الأول من البيت كناية يراد بها نسبة — هى اثبات المجد لهم « ايماء » — ذلك أن نزول المجد فى منازلهم الخاصة بهم مقصورا عليها ، لا يتعداها الى غيرها يستلزم ثبوت المجد لهم ، وقصره عليهم اذ أن المجد صفة لا يصلح قيامها بالجدران والحوائط ، وليس فى المنازل سواهم ؛ فلزم أن تقوم الصفة بهم — وهى قريبة ، وبينة اللزوم .

(٥) فى الشطر الثانى من البيت كناية يراد بها نسبة — هى ثبوت المجد للممدوح « ايماء » — ذلك أن حلول المجد بكل مكان يستلزم

ثبوت المجد له لأن المجد ــ كما قلنا ــ وصف لا يصلح قيامه بالأماكن. فلزم ثبوته له ، وقيامه به ــ وهى قرينة واضحة .

(٦) فى الشطر الثانى من البيت كناية يراد بهـا موصوف هو « القلب » لأن القلب موطن للأشياء الثلاثة المذكورة ، وكونه موطنا لها وصف خاص به ، فصح أن يكون كناية عنه .

(٧) فى الشطر الأول كناية يراد بها موصوف هو « الفرج » ــ بيانه أن الجنين ــ على ما يقال ــ اذا أتم أيامه فى الرحم ، وأراد الخروج منه طلب بأنفه الموضع الذى يخرج منه ؛ فقد كنى الشاعر بمطلب أنفه عن فرج الأم لأنه وصف خاص به ــ يريد أن يقول : ان الرجل الذى لا يحمى عرض أمه ، ولا امرأته لا يغضب بعد ذلك من شىء لأنهما محك الغيرة ومثارها .

(٨) فى البيت كنايتان بعيدتان يراد بهما صفة هى « الجود » ذلك أن حرمانه العوذ من أن ترى فصالها ، وتمتع بها يدل على أنه ينحرها ولا يبقيها ، وهذا يدل على كثرة القرى الدال على وفرة الجود ــ وأن ابتياعه لما قرب أجلها يدل على أنها لا تبيت عنده حية ، ومعنى هذا أنه ينحرها ، وهذا يدل على كثرة القرى الدالة على أنه مضياف كريم .

(٩) فى الشطر الثانى من البيت كناية يراد بها صفة ــ هى كرم أبى سعيد « ايماء » ــ والكناية واضحة من قوله : وحسبك أن يزرن أبا سعيد ، مع ما يفيده صدر البيت من أن الابل أبت الا أن تولى وجهها شطر الكريم .

(١٠) فى البيت كناية يراد بها موصوف هو « القلوب » اذ هى من الناس مواضع أسرارهم وهى معنى واحد وان تعددت لأن مدلولها متحد الجنس .

(١١) فى البيت كناية يراد بها صفة الكرم على نحو ما قيل فى البيت الأول من هذا التمرين فان حب الكلب للضيف حتى انه ليكاد

يكلمه دليل شدة معرفته به . وهذا يدل على كثرة مشاهدته اياه لكثرة الوسائط فيها .

(١٢) فى البيت كناية يعرض فيها الحجاج بأن من يخاطبهم من رعاة الابل والغنم ، أو من الجزارين فهى كناية يراد بها نسبة الحقارة لهؤلاء .

(١٣) فى البيت تعريض أيضا بأن المخاطب عيى غبى فهو كناية يراد بها نسبة العى للمخاطب .

(١٤) فيه كناية عن صفة الكسل ، وفقدان النشاط « ايماء » ذلك أن بدانة الجسم ، ورخاوته تستدعيان (عادة) الرغبة عن العمل ، والزهادة فيه ، وهذا هو عين الكسل — والكناية فيه قريبة واضحة لوضوح اللزوم بين البدانة والكسل .

(١٥) فيه كناية يراد بها صفة هى الفقر « ايماء » لأن افتراش الثرى ، وتوسد الجنادل دليل فقدان ما يفترش ويتوسد ، وهذا عنوان ضيق ذات اليد فهى كناية قريبة ، واضحة اللزوم .

(١٦) فيه كناية يراد بها نسبة الكرم الى الممدوح لأن الكرم صفة لا يصلح اهاب الممدوح وعاء لها ، فلزم ثبوت الكرم لذى الاهاب .

(١٧) فيه كناية يراد بها موصوف هو « السفينة » لأن مجموع الأمرين المذكورين وهما — الألواح والدسر مشدودا أحدهما بالآخر وصف خاص بالسفينة .

تمرين يطلب جوابه على قياس ما سبق

تشتكى ما اشتكيت من ألم الشو
ق اليها والشوق حيث النحول
بنى المجد بيتا فاستقرت عماده
علينا فأعيا الناس أن يتحولا

ضعيف العصا بادى العروق ترى له
عليها اذا ما أجاب الناس اصبعا

أحن الى ما يضمن الخمر والحلى
وأصدف عما فى ضمان المآزر (١)

نصبوا بقارعة الطريق خيامهم
يتسابقون على قرى الضيفان

ويكاد موقدهم يجود بنفسه
حب (٢) القرى حطبا على النيران

رميتهم ببحر من حديد
له فى البر خلفهم عباب

فمساهم وبسطهم (٣) حرير
وصبحهم وبسطهم تراب

فلان لا يضع العصا عن عاتقه . لبس الدهر لهم جلد النمر . أيجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ؟ فلان رحب الصدر ، قوى الظهر . فلان طاهر الذيل . روى أن امرأة وقفت على قيس بن سعد (٤)، فقالت : أشكو اليك قلة الفأر فى بيتى ، فقال : ما أحسن ما روت عن حاجتها ! املاوا بيتها خبزا ولحما وسمنا ، ويروى أن عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك ، فقالت : يا أمير المؤمنين : مشت جرذان بيتى على العصى ، فقال لها : ألطفت فى السؤال لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود ، وملأ بيتها حبا — الى غير ذلك من لطائف الكنايات ، وطرائف العبارات ، ذات المعانى الخفية الرائعة .

---

(١) الخمر بضم الخاء وسكون الميم أو ضمها جمع خمار بالكسر وهو ما تستتر به المرأة وجهها ، وأصدف على زنة أضرب بمعنى أعرض ، والمآزر جمع مئزر وهو الملحفة .

(٢) مفعول لأجله أى لأجل الحب .

(٣) جمع بساط وسكنت سينه للضرورة .

(٤) من سادات العرب وأجاويدهم .

خاتمة :

أطبق علماء هذا الفن على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأن الكناية أبلغ من التصريح [1] ، وأن الاستعارة أبلغ من التشبيه ، ومن المجاز المرسل ، والكناية .

أما وجه الأبلغية فى المجاز والكناية فلان الانتقال فيهما من الملزوم الى اللازم [2] فهما كدعوى الشيء ببينة [3] — ذلك أنك حين تقول متجوزا : « رأيت أسدا على المنبر » انما تريد أن تقول : رأيت رجلا مقداما على المنبر . وهذه دعوى قام عليها دليلها هو اثبات معنى الأسد له اذ يلزم من كونه أسدا أن يكون مقداما جريئا للزوم الاقدام والجرأة للأسد — وأنك حين تقول مكنيا : محمد طويل النجاد انما تريد أن تقول : محمد طويل القامة ، وهى أيضا دعوى قام عليها دليلها هو اتصافه بطول النجاد اذ يلزم من كونه طويل النجاد أن يكون طويل القامة — وكأنك قلت فى الأول : رأيت مقداما على المنبر لأنه أسد ، وقلت فى الثانى : محمد طويل القامة لأنه طويل النجاد .

أما الحقيقة فى نحو : « رأيت رجلا مقداما على المنبر » ، والتصريح فى نحو : « محمد طويل القامة » فدعويان لم يقم عليهما

---

(١) المراد بالأبلغية هنا الأفضلية فى الحسن والقبول وانما قلنا ذلك لأن الكناية كلمة مفردة ، وأن المجاز قد يكون مفردا وقد سبق أن البلاغة لايوصف بها المفرد .

(٢) أى فلا يفهم المعنى المراد منهما من اللفظ نفسه . بل بواسطة الانتقال من الملزوم الى اللازم فلا يفهم معنى الشجاع من ذات قولك : رأيت أسدا على فرس . بل بواسطة الانتقال من معنى الحيوان المفترس الى لازمه وهو الشجاع — كذلك لا يفهم معنى طول القامة من ذات قولك : فلان طويل النجاد ، بل بواسطة الانتقال من طول النجاد الى لازمه الذى هو طول القامة .

(٣) وجه كونهما كالدعوى بالبينة : أن تقرر الملزوم يستلزم تقرر اللازم لامتناع انفكاك الملزوم عن اللازم فصار تقرر الملزوم مشعرا باللازم

دليل ـ وما كان مؤيدا بدليل أبلغ وآكد مما لم يدعم بدليل ، فثبت أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح .

ووجه أبلغية الاستعارة على التشبيه هو أن الاستعارة نوع من المجاز ، مبنى على دعوى اتحاد المشبه والمشبه به ، والتشبيه نوع من الحقيقة بناء على القول الراجح وقد ثبت أن المجاز أبلغ من الحقيقة ـ على ما بينـا .

ووجه أبلغيتها على المجاز المرسل ما فيها من دعوى الاتحاد لفظا ومعنى أما لفظا فلاطلاق لفظ المشبه به على المشبه ، وأما معنى فلادخال المشبه فى جنس المشبه به ، واعتباره فردا من أفراده ـ بخلاف المجاز المرسل نحو : أمطرت السماء نباتا ، فان فيه دعوى الاتحاد لفظا فقط من حيث اطلاق اللفظ على المعنى الثانى ـ أما الاتحاد فى المعنى فغير موجود فيه اذ ليس بين المعنيين « كالمـاء والنبات » فى المثـال المذكور تشابه ما حتى يدعى اتحادهما .

ووجه أبلغيتها على الكناية من جهتين : ـ

« الأولى » أن فى الاستعارة جمعا بين كناية واستعارة من حيث ان فيها انتقالا من الملزوم « كالأسد » الى اللازم « كالشجاع » ـ كما ينتقل فى الكناية من « طول النجاد » مثلا الى طول القامة ، ومن حيث ان فيها استعمال اللفظ فى غير المعنى الموضوع له لعلاقة المشابهة .

« الثانية » أنها مجاز قطعا بخلاف الكناية ففى مجازيتها خلاف بين علماء البلاغة مبسوط فى محله ، فارجع اليه ان شئت .

تنبيه :

ليس معنى الأبلغية فى هذه الثلاثة أنها تفيد زيادة فى أصـل المعنى ، لا يفيدها غيرها انما المراد : أنها تفيد تأكيدا لاثبات المعنى لا يوجد فى سواها .

فليست فضيلة قولنا : « رأيت قمرا » على قولنا : رأيت وجها لا يتميز عن القمر فى اشراقه وبهائه من حيث ان الأول أفاد زيادة فى مســاواة الوجه للقمر فى اشراقه لم يفدها الثـانى اذ أن التركيبين فى افادة هذا المعنى سواء — انما مزية الأول على الثانى من حيث ان الأول أفاد تأكيدا وتقريرا لاثبات معنى المساواة ، دون الثانى لمـا فى التركيب الأول من دعوى الاتحاد ، والتعبير عن المشبه بلفظ المشبه به — ودلالة دعوى الاتحاد على معنى المساواة كما فى التركيب الأول أبلغ من التنصيص على المساواة كما فى التركيب الثانى .

كذلك ليست فضيلة قولنا : « محمد طويل النجاد » على قولنا : محمد طويل القامة من جهة أن التركيب الأول أفاد زيادة فى معنى الطول لم يفدها الثانى فالتركيبان فى ذلك سواء انما ميزة الأول على الثانى من ناحية أن الأول أفاد تأكيدا وتقريرا لاثبات معنى الطول ، دون الثانى لمـا فى التركيب الأول من الدعوى المستندة الى دليل — كما بينا سابقا — ودلالة دعــوى « الشيء » ، مؤيدة بدليل كمـا فى التركيب الأول أبلغ من التنصيص عليه غفلا عن الدليل كما فى التركيب الثانى يدرك ذلك صاحب الذوق السليم ا هـ .

هذا — والاستعارة التمثيلية أبلغ أنواع الاستعارة لأنها انما تكون فى الهيئات المنتزعة من أمور متعددة فهى كثيرة الاعتبارات والملاحظات، لا يوفق فيها الا من أوتي حسن روية ، وبعد نظر — ويليها فى الأبلغية الاستعارة المكنية لاشتمالها على المجـاز العقلى فى قرينتها — أمـا التصريحية ففى المرتبة الثالثة .

نموذج فى التطبيق على جميع ما مر من قواعد علم البيان

وفى يده الصمصـــام تحكى شباته
نواجذ أفــواه المنايا القواضــــب(١)

---

(١) الصمصام والصمصامة الســـيف لا ينثنى وشباته حده . والنواجذ الأضراس والانياب مفرده ناجذة ، والقواضب القواطع .

الجواب ــ شبه الشاعر حد الحسام المرهف بنواجذ المنايا ووجه الشبه المضاء والنفاذ ، وهو أمر عقلى ، والطرفان حسيان ، وأداة التشبيه قوله : «تحكى» ، وهى من الأدوات التى يليها المشبه، والتشبيه تحقيقى لان الوجه محقق فى الطرفين وهو غير تشبيه تمثيل لأن الوجه شىء واحد ، لا مركب ، وهو مفصل لحذف وجه التشبيه ، ومرسل لذكر الأداة ــ والغرض بيان مقدار حال المشبه ، وأنه بلغ من قوة مضائه ونفاده بحيث لا يرد له حكم ــ وفى « المنايا » استعارة بالكناية ــ شبهت المنايا بالسبع بجامع الاغتيال ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ، ثم حــذف ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو « نواجذ » على سـبيل الاستعارة المكنية ، ولفظ « أفواه » ترشيح لملاءمته للمشبه به الذى هو المستعار منه ، وهى أصلية لأن اللفظ المستعار اسم جنس ، وقرينتها اثبات النواجذ للمنايا ، وهذا الاثبــات استعارة تخييلية ــ ودونك القياس على ذلك فيما يأتى من الأبيات :

كأن عيــون النرجس الغض حولنا
مــــداهن در حشـــوهن عقيــق

هــرب النــوم عن جفــونى فيهــا
هــرب الأمن عن فــؤاد الجبــان

سالت عليه شـعاب الحى حين دعا
أنصـــاره بوجـــوه كالدنانير

والــــسحب تلعب بالبروق كأنهـا
قار على عجـــل يقلب مصـــحفا

ازرع جميــلا ولو فى غير موضعه
فــلا يضـيع جميـــل أينما زرعا

اذا ما الدهر جــر على أناس
كـــلا كله أنــاخ بآخــرينا

ونار لو نفخت بهــا أضاءت
ولكن أنت تنفـــخ فى رمــاد

والبــدر فى أفق السماء كغادة
بيضــاء لاحت فى ثيــاب حداد
حتى بدا وجــه الصـــباح كأنه
وجــه الحبيب أتى بــلا ميعـــاد

تمرينات

بين أنواع التشبيه ، والمجاز المرسل والاســـتعارة والكنايه فيما يأتى :

قال تعالى : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » . « فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ، ألفاظ كغمزات الألحاظ ، ومعـــان كما تنفست الأسحار ، ذم انسان آخــر فقال : كأن وجهه أيام المصائب ، وليالى النوائب ، يا عجبا من جسم كالخيال ، وروح كالجبال . القضاة دعائم العدل ، وبأيديهم أزمة الفصل والفضل — قال الحريرى : لبثنا فى الانتظار الى أن هرم النهار ، وكاد جرف الليل ينهار . زارنا فكأنه مطر الربيع ، ونزل بساحة الوغى فكان كأسد خفــان ، وفاه بلفظ كالدر المنظوم ، وبدا بوجــه كفلق الصبح ، أو كصفحة القمر .

والظل فى سلك الغصون كلؤلؤ
رطب يصــافحه النسيم فيسقط
له راحــة ينهل جــودا بنانهــا
ووجــه اذا قابلتـــه يتهـــلل
اذا أنشـــب الدهر ظفرا ونابا
وصـــال على الحر منــا ونابا
صـــبرنا ولم نشــك أحــداثه
لأنا نعــاف التشــكى ونابى (١)

(١) أصله نأبى سهلت همزته .

وقفت وما بالمـوت شـك لواقف
كأنك فى جفن الـردى وهو نائم

المـرء مثـل هـلال حين تبصره
يبدو ضـئيلا ضعيفا ثم يتسـق

يـزداد حتى اذا مـاتم أعقبـه
كر الجديدين نقصـا ثم ينمحق

أنا نار فى مرتقى نظـر الحـا
سـد ماء جار مع الاخـواز

بنفسـج جمعت أوراقه فحكى
كحـلا تشرب دمعـا يوم تشتيت

كأنه وضـعاف القضـب تحمله
أوائل النـار فى أطراف كبـريت

وقيل فى وصف السماء :

بسـاط زمرد بسـطت عليه
دنـانير تخالطهـا دراهـم

ونهر المجرة يجرى فى سندسها ، ويسرى ليسقى ذوابل نرجسها فبينما أسرح فى درر الدرارى نظرى ، وأروض فى رياضها جواد فكرى اذ هب نسيم السحر يروى عن أهل نجد أطيب الخبر ، ثم تبسـم الفجر ضـاحكا ، واقتنص بازى الضوء غراب الظلام ، وفض كافور النور مسك الختام .

تم وضع هذا الكتاب عصر يوم السبت ٢٨ شوال سنة ١٣٦٦ هـ الموافق ١٣ سبتمبر سـنة ١٩٤٧ م فنرجو أن يكون قد رافقه بعض التوفيق فى تأليفه وتنسيقه ، وفى اسئلته وتطبيقه ونحمده جل شأنه ونسـأله أن ينفع به سـؤال معترف بالعجز لقـادر بعونه وتوفيقه تتم الصالحات .

نصوص امتحانات سابقة

امتحان النقل من السنة الثالثة الثانوية ـ الدور الأول
لسنة ١٣٦٠ الدراسية

البلاغة — الزمن المحدود للاجابة : ساعتان

---

١ ـ اشرح المراد من كون التشبيه تمثيلا أو غير تمثيل واذكر خلاف السكاكى فى ذلك ثم بين متى يكون التشبيه مفصلا ، ومتى يكون مجملا ، مع بيان أنواع المجمل ، ومثل لكل ما تقول . (١٠ ـ ٤٠)

٢ ـ عرف الاستعارة ، وقسمها باعتبار اللفظ المستعار ، وبين المراد بكونها تحقيقية مع التمثيل لكل ذلك . ثم اشرح وجه مفارقتها للكذب ، وبين متى يصح جريانها فى علم الشخص ومتى يمتنع جريانها فيه مع التمثيل .

(٧ ـ ٤٠)

٣ ـ افرق بين المجاز المفرد والمركب ، ثم بين هل انقسام المفرد الى مرسل واستعارة خاص به أو جار فى المركب كذلك ، ووجه ما تقول مع التمثيل . (٧ ـ ٤٠)

التطبيـق

(أ) بين وجه الشبه والغرض من التشبيه فيما يأتى :

١ ـ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث .

٢ ـ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

٣ ـ والسحب تلعب بالبروق كأنها قار على عجل يقلب مصحفا

(٣ ـ ٤٠)

(ب) هات مثالا لكل واحد مما يأتى :

تشبيه وجهه من بديع المركب الحسى ـ تشبيه مبتذل تصرف فيه بما أخرجه الى الغرابة ـ مجاز مرسل علاقته المسببية ـ استعارة اجتمع فيها الترشيح والتجريد ـ استعارة تبعية مدار قرينتها على المفعول . (٥ ـ ٤٠)

(جـ) بين نوع الاستعارة فيما يأتى :

١ ـ انفقت عمرى فى رضاك .
٢ ـ فى الليلة الظلماء يفتقد البدر .
٣ ـ قصر تعانق شرفاته السحاب .

(د) بين نوع الكناية فى كل مما يأتى :

١ ـ قوله تعالى « وحملناه على ذات ألواح ودسر » .
٢ ـ قوله تعالى « فما بكت عليهم السماء والأرض » .
٣ ـ قولهم فى المديح « فلان ساكن الريح » .
٤ ـ ولما شربناها ودب دبيبها   الى موطن الأسرار قلب لها قفى
٥ ـ اذا كنت مرتاد السماحة والندى
فسائل تخبر عن ديار الأشاهب

(٥ ـ ٤٠)

امتحان النقل من السنة الثالثة الثانوية ـ الدور الثانى
لسنة ١٣٦٠ الدراسية

البلاغة **الزمن المحدود للاجابة : ساعتان**

---

١ ـ افرق بين التشبيه المبتذل والغريب ، وفصل القول فى أسباب الابتذال والغرابة ، وما معنى التفصيل فى وجه الشبه ، وما أحسن وجوهه ، مع التمثيل لكل ما تذكر ؟

٢ ـ اختلف علماء البيان فى إن الاستعارة مجاز عقلى أو لغوى ، فاشرح هذا الخلاف ، واذكر ادلة كل من الطرفين ، مع توجيه اختيار المصنف .

٣ ـ عرف كلا مما يأتى ، مع التمثيل :

الاعتبار المناسب ـ الحال ـ الكناية ـ المجاز بالحذف ـ الترشيح ـ التجريد .

التطبيق

(ا) بين الغرض من التشبيه ، ووجهه ، واداته فيما يأتى :

١ ـ ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا .
٢ ـ الامام العادل ظل الله فى أرضه .
٣ ـ كأن سهيلا والنجوم وراءه   صفوف صلاة قام فيها امامها

٤ — قولهم فى ذم الشخص : انه مثل السراب ، يغر من رآه ، ويخلف من رجاه .

(ب) مثل لكل واحد مما يأتى :

تشبيه مجمل فيه وصف المشبه به فقط — تشبيه الغرض منه اظهار المطلوب — استعارة تمثيلية — استعارة تبعية ، ثم يحول مثالها الى استعارة أصلية — مجاز مرسل علاقته الجزئية .

(جـ) بين نوع المجاز ، والاستعارة ، والكناية فيما يأتى :

١ — وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض .

٢ — قال اعرابى : دخلت البصرة فاذا ثياب أحرار على أجسام عبيد .

٣ — وقد أغتدى والليل يبكى تأسفا
على نفســه والنجم للغـرب مائل

٤ — يا كوكبا ما كان أقصر عمره
وكـذاك عمـر كواكب الاسـحار

٥ — أتتنى لســان فكذبتها
وما كنت أرهبها أن تقالا

امتحان النقل من السنة الثالثة الثانوية — الدور الأول
لسنة ١٣٦١ الدراسية

البلاغة — **الزمن المحدود للاجابة : ساعتان**

١ — اذكر أقسام الاستعارة باعتبار الجامع ومثل لكل قسم ، ولأى قسم منها مثل المصنف بالحديث الشريف : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار اليها » وما الذى أورده الشارح عليه ؟ ثم اجر الاستعارة فى قوله تعالى : « وقطعناهم فى الأرض أمما » . (١٠ — ٤٠)

٢ — تكلم عن أربعة أغراض من أغراض التشبيه تعود الى المشبه مبينا فى كل غرض منها حال وجه الشبه فى الطرفين مع توضيح ذلك المثال . (٨ — ٤٠)

٣ — اشرح معنى الاستعارة المكنية على رأى الجمهور من البلاغيين ، وهل يشملها معنى المجاز اللغوى على هذا الرأى ، وضح ذلك فى قول

زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله   وعرى أفراس الصبا ورواحله .

(٦ — ٤٠)

التطبيق

(أ) مثل لما يأتى : تشبيه مقيد الطرفين ، تشبيه قريب أخرجه شرط فيه الى الغرابة تشبيه قيد احد طرفيه ، تشبيه تمثيل على مذهب السكاكى فيه ، مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يئول اليه ، استعارة مكنية مرشحة .

(ب) ما الذى اخل بفصاحة الامثلة الآتية :

١ — قول المتنبى :

جفخت وهم لا يجفخون بهابهم   شيم على الحسب الأغر دلائل

٢ — قول حسان :

ولو ان مجدا اخلدالدهر واحدا   من الناس ابقى مجده الدهر مطعما

٣ — قول أبى تمام :

جذبت نواه غدوةالسبت جذبة   فخر صريعا بين ايدى القصائد

(جـ) بين نوع الكناية فى قول ابى نواس :

يشير اليك الجود من وجناته   وينظر من أعطافه حين ينظر

(٤ — ٤٠)

امتحان النقل من السنة الثالثة الثانوية لسنة ١٣٦٢ هـ الدراسية

البلاغة   الدور الأول   (الزمن — ساعتان)

---

١ — اذكر الفرق بين التعقيد اللفظى والمعنوى ومثل لهما وبين وجه اخلالهما بالفصاحة وكيف ترد على من زعم ان ذكر ضعف التاليف يغنى عن التعقيد اللفظى .

٢ — علام استشهد المصنف بقول الشاعر :

كما ابرقت قوما عطاشا غمامة   فلما رأوها اقشعت وتجلت

ثم بين المشبه والمشبه به ووجه الشبه فى المثال   (٩ — ٤٠)

٣ — اذكر اقسام التشبيه باعتبار طرفيه افرادا وتركيبا ومثل لكل قسم .   (٩ — ٤٠)

٤ ـ التطبيق

(أ) مثل للآتى : تشبيه ملفوف . مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان . استعارة تمثيلية .

(ب) بين ما الذى أخل بالفصاحة فى الآتى مع التوجيه :

(٦ ـ ٤٠)

قال الشاعر :

اذا جاوز الاثنين سر فانه
بنشر وتكثير الوشاة قمين

وقال آخر :

وشوه ترقيش المرقش رقشة
فاشياعه يشكونه ومعاشره

(٤ ـ ٤٠)

امتحان النقل من السنة الثالثة الثانوية (الدور الثانى)
لسنة ١٣٦٢ ـ ١٣٦٣ هـ الدراسية البلاغة (الزمن ساعتان)

١ ـ يقول المصنف (وارتفاع شأن الكلام فى الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدمها فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب) اشرح هذه العبارة شرحا وافيا وبين المراد من الاعتبار المناسب والمراد من الكلام والمراد من الحسن (١٠ ـ ٤٠) .

٢ ـ عرف تشبيه التمثيل ومثل له وبماذا قيده السكاكى وافرق بين مذهبه وبين مذهب الجمهور مع التمثيل (٩ ـ ٤٠) .

٣ ـ اشرح معنى الاستعارة الوفاقية والعنادية ومثل لهما ثم بين تحت أيهما تدخل الاستعارة التهكمية ووجه ما تقول مع التمثيل .

(٨ ـ ٤٠)

التطبيق

(أ) هات أمثلة لما يأتى : كناية اريد بها صفة . مجاز مرسل علاقته الحالية .

استعارة تبعية . تشبيه ضمنى . مجاز مركب . تكرار اخل بالفصاحة . (٩ ـ ٤٠)

(ب) فى الحديث والبيت الآتيين مجاز وكناية فبين نوع المجاز واذكر علاقته ووضح الكناية وبين نوعها :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجاته الطاهرات : أسرعكن لحوقا بى اطولكن يدا .

وقال الشاعر :

ولما شربناها ودب دبيبها
الى موطن الاسرار قلت لها قفى

(٤ — ٤٠)

امتحان نقل السنة الثالثة من القسم الثانوى — الدور الأول
لسنة ١٣٦٣ الدراسية

البلاغة **الزمن المحدود للاجابة : ساعتان**

القواعد

١ اشرح المعانى الاصطلاحية للألفاظ الآتية مع التمثيل :
التعقيد المعنوى — ضعف التاليف — تنافر الحروف — مقتضى الحال — المقام .

وهل يغنى ضعف التاليف عن التعقيد اللفظى فى تحقيق معنى فصاحة الكلام ، ولماذا .

(٨ — ٤٠)

٢ — قد يكون وجه الشبه مركبا حسيا فما أنواع طرفى التشبيه حينئذ ، اشرح ذلك مع التمثيل لكل نوع ، ثم بين فى مثال معنى التركيب فى الوجه والطرفين ، ولهذا الوجه انواع بديعة ، فصل القول فى تلك الأنواع مع التمثيل .

(١٢ — ٤٠)

٣ — قيل ان الاستعارة من قبيل المجاز اللغوى فما وجه ذلك ، ثم بين بأى شىء تفارق الاستعارة الكذب ، وهل تجرى الاستعارة فى علم الشخص ولماذا ، مثل لما تذكر .

(٨ — ٤٠)

التطبيق

١ — مثل لما يأتى :

تشبيه ملفوف — استعارة مكنية مرشحة — تشبيه مبتذل خرج الى الغرابة — مجاز مرسل علاقته الاطلاق والتقييد .

(٤ — ٤٠)

٢ — بين اركان التشبيه ، ونوع وجهه ، وطرفيه باعتبار التركيب والأفراد فيما يأتى :

قال عدى بن الرقاع يصف ظبية :

تزجى أغن كأن ابرة روقـــه قلم أصـــاب من الدواة مـــدادها

وقال آخر :

تبنى سنابكها من فرق أرؤســهم سقفا كواكبه البيض المباشـــير

(٨ — ٤٠)

امتحـان نقل السنة الثالثة من القسم الثانوى — الدور الثانى لسنة ١٣٦٣ الدراسية

البلاغة **الزمن المحدود للاجابة : ساعتان**

القــواعد

١ — افرق بين التعقيد المعنوى واللفظى مع التمثيل ، وبماذا ترد على من اشترط فى فصاحة الكلام خلوصه من كثرة التكرار وتتابع الاضافات ، وما ضابط التنافر المخل بفصاحة الكلمة ، وما وجه الغرابة فى كلمة (مسرج) فى قول العجاج :

وفاحما ومرسنا مسرجا

وما معنى مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، مثل لما تقول .

(١٠ — ٤٠)

٢ — اذكر معنى التشبيه القريب المبتــذل ، والتشـــبيه البعيد الغريب ، وبين الأسباب التى يكون بها التشبيه قريبا ، والأسباب التى يكون بها بعيدا ، ومن اى النوعين التشبيه البليغ ، وما وجه ذلك ، ومتى يكون البعيد الغريب حسنا ، وضح ما تذكر بالمثال . (١٠ — ٤٠)

٣ — بين معنى الاستعارة الوفاقية ، والعنادية ، ومن أى النوعين الاستعارة التهكمية ، ثم اذكر معنى الاستعارة الغريبة ، مع التمثيـــل وعلى أى شىء استشهد المصنف بقول الشاعر :

اخـــذنا باطراف الأحاديث بيننـــا

وســــالت بأعنـــاق المطى الاباطح

مع بيان وجه الاستشهاد فى البيت . (٨ — ٤٠)

التطبيق :

١ — مثل لما يأتى :

تشبيه تمثيل — مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان — كلام اخل

بفصاحته التعقيد اللفظي — كلام مطابق لمقتضى ظاهر الحال .
(٤ — ٤٠)

٢ — بين نوع التشبيه باعتبار حسية الطرفين او عقليتهما ؛ والغرض منه ، واجر الاستعارة فى قول معن بن أوس يعاتب ابن عمه .

فما زلت فى لينى لـه وتعطفى
عليه كما تحنو على الولد الأم
وخفض له منى الجناح تألفا
لتدنيه منى القرابة والرحم
(٨ — ٤٠)

امتحان نقل السنة الثالثة من القسم الثانوى — الدور الأول
لسنة ١٣٦٤ الدراسية

البلاغة **الزمن المحدود للاجابة : ساعتان**

القواعد :

١ — تكلم على اربعة اغراض من اغراض التشبيه تعود الى المشبه مبينا فى كل غرض منها حال وجه الشبه فى الطرفين . مع توضيح ذلك بالمثال .
(٨ — ٤٠)

٢ — اذكر اقسام التشبيه باعتبار الطرفين افرادا وتركيبا ممثلا لكل قسم منها ، وافرق بين التشبيه المركب والمتعدد . (٨ — ٤٠)

٣ — اذكر المراد من دخول الجامع فى طرفى الاستعارة وعدم دخوله فيهما ، مع التمثيل لكل منهما ، وبين لأى قسم منهما مثل المصنف بالحديث الشريف (خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار اليها) وما الذى أورده الشارح عليه ، ثم أجر الاستعارة فى قوله تعالى (وقطعناهم فى الأرض أمما) .

التطبيق :

١ — ما الذى اخل بفصاحة الأمثلة الآتية :

قال الشاعر :

جفخت وهم لا يجفخون بهابهم
شيم على الحسب الأغر دلائل

وقال الآخر :

جذبت نداه غدوة السبت جذبة   فخر صريعا بين أيدى القصائد

وقال الآخر :

ولو ان مجدا أخلد الدهر واحدا   من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

(٦ — ٤٠)

٢ — مثل لما يأتى :

تشبيه قريب أخرجه شرط فيه الى الغرابة — تشبيه تمثيل على مذهب السكاكى — استعارة مكنية مرشحة — مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يئول اليه .

(٤ — ٤٠)

٣ — بين نوع الكناية فى البيت الآتى :

يشير اليك الجود من وجناته   وينظر من أعطافه حين تنظر

(٤ — ٤٠)

امتحان نقل السنة الثالثة من القسم الثانوى — الدور الثانى لسنة ١٣٦٤ الدراسية

البلاغة   **الزمن المحدود للاجابة : ساعتان**

القواعد :

١ — عرف البلاغة فى الكلام ، واشرح التعريف مبينا معنى المطابقة، والحال ، وبين الخلاف فى مقتضى الحال ، وهل يختلف معنى الحال باختلاف معنى المقتضى والمطابقة ، وضح لما تقول بالمثال . (١٠ — ٤٠)

٢ — اشرح معنى اشتراك الطرفين فى وجه الشبه تحقيقا أو تخييلا مع التمثيل لما تقول ، ثم بين وجه الشبه فى قولهم (النحو فى الكلام كالملح فى الطعام) . (٨ — ٤٠)

٣ — اشرح تعريف المجاز المركب ، وبين هل يقع فى غير الاستعارة، وبأى شىء يمتاز عن التشبيه التمثيلى ، مع توضيح ما تقول بالمثال

(٧ — ٤٠)

التطبيق :

١ — بين نوع الاستعارة فى المثالين الآتيين وأجرها فيهما :

رأيت اليوم عمرو بن العاص يستعرض جيش مصر .

قولهم فى المثل (بيدى لا بيد عمرو) . (٤ — ٤٠)

٢ ــ بين وجه الشبه والغرض من التشبيه فى الأمثلة الآتية :

قال الله تعالى : (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) ·

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) ·

وقال الشاعر :

والسحب تلعب بالبروق كأنها قار على عجل يقلب مصحفا
(٥ ــ ٤٠)

٣ ــ هات امثلة لما يأتى :

تشبيه مفروق ــ تشبيه تعدد فيه وجه الشبه ــ استعارة تمثيلية ــ تعقيد معنوى ــ كناية اريد بها صفة ــ مجاز مرسل مركب ·
(٦ ــ ٤٠)

امتحان نقل السنة الثالثة من القسم الثانوى ــ الدور الأول لسنة ١٣٦٥ الدراسية

البلاغة **الزمن المحدود للاجابة : ساعتان**

القواعد :

١ ــ فصل القول فى بيان الأمور التى اذا خلص منها الكلام كان فصيحا مع التمثيل · (١٢ ــ ٤٠)

٢ ــ بين معنى التشبيه المشروط ، ومثل له ، ولماذا سمى بذلك ؟ وتحت اى أنواع التشبيه يندرج ؟ ولماذا ومتى يكون التشبيه الغريب بليغا ؟ وما أعلى مراتب التشبيه فى المبالغة ؟ ولماذا (٨ ــ ٤٠)

٣ ــ اشرح مذهب الجمهور فى الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية ، وهل بينهما تلازم على هذا المذهب ؟ ولماذا ؟ وما وجه تسمية التخييلية استعارة عندهم ؟ ثم بين طريقة اجراء الاستعارة على مذهبهم فى مثال · (٨ ــ ٤٠)

التطبيق :

١ – مثل لما يأتى :

تشبيه تمثيل – استعارة تبعية فى اللام – كناية اريد بها صفة – مجاز مرسل علاقته الجـزئية . (٤ – ٤٠)

٢ – بين نوع المجاز وقرينته فيما يلى :

خير الناس من يبنى دينه ولا يهـدم دنياه .

شراء النفوس بالاحسان خير من بيعها بالعدوان . (٤ – ٤٠)

٣ – بين نوع التشبيه والغرض منه فى قول الشاعر :

تحسنت الدنيا بوجـه خليفة   هو الصبح الى أنه الدهر مسـفر

(٤ – ٤٠)

امتحان نقل السنة الثالثة من القسم الثانوى – الدور الأول لسـنة ١٣٦٦ الدراسية

البلاغة   **الزمن المحدود للاجابة : ساعتان**

القـواعد :

١ – فصل القول فى بلاغة الكلام ، وبين تفاوت مراتبه ووضـح منشأ هذا التفاوت ، وعرف الاعتبار المناسب وهل هو غير مقتضى الحال وجه ما تقـول . (٧ – ٤٠)

٢ – وضح التشبيه الذى يكون وجه الشبه فيـه مركبا حسيا ، واذكر أقسـامه مع التمثيل وبين البديع الغريب منه بمثال تشرح فيـه وجه الغرابة وما المراد بالتركيب . (١٠ – ٤٠)

٣ – اذكر أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين وبين وجه ذلك التقسيم ووضحه بالتمثيل واشرح ما تكون به الاستعارة خاصية مع التمثيل .

(٨ – ٤٠)

التطبيق :

١ – (أ) بين التشبيه والغرض منه فى قول المتنبى :

فان تفق الأنام وانت منهم   فان المسك بعض دم الغـزال

(ب) **من أى أقسام الاستعارة قوله تعـالى :**

(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) وضح طريقة اجراء تلك الاسـتعارة . (٦ – ٤٠)

٢ ــ مثــل لما يأتى :

مجاز علاقته السببية ــ استعارة مطلقــة ــ كناية عن نســبة ــ استعارة تمثيلية . (٤ ــ ٤٠)

٣ ــ تكلم من علم البيان على ما يأتى :

(فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها) .

وذى رحم قلمت أظفــار ضــغنه بحلمى عنه وهو ليس له حلم

(٥ ــ ٤٠)

امتحان نقل السنة الثالثة من القسم الثانوى ــ الدور الثانى لســنة ١٣٦٦ الدراســية

البلاغة **الزمن المحدود الاجابة : ساعتان**

القــواعد :

١ ــ بين التنافر فى الكلمة واذكر ضــــابطه واشرح الغرابة المخلة بفصاحة الكلمة مع التمثيل . (٥ ــ ٤٠)

٢ ــ اذكر أغراض التشبيه موضحا كلا منها بمثال (٩ ــ ٤٠)

٣ ــ قسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار باسطا القول فى دليل التبعية واجرها فى قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم) وبين العــلم الذى تجرى فيه الاستعارة ونوعها . (١٢ ــ ٤٠)

التطبيق :

١ ــ مثل لما يأتى :

تشبيه مشروط ــ مجاز مرســل علاقته الكليــة ــ اســـتعارة بالكناية ــ كناية عن موصوف (٤ ــ ٤٠)

٢ ــ تكلم عن علم البيان عمــا يأتى :

بيض صــنائعنا سود وقائعنا ناســو بأموالنــا آثار ايدينــا

واذا تبــاع كريمة او تشترى فسواك بائعهــا وأنت المشترى

(٦ ــ ٤٠)

٣ ــ بين نوع التشبيه ووجه الشبه فيما يأتى :

فانك شمس والملوك كواكب اذا ظهرت لم يبدفهن كوكب

(٤ ــ ٤٠)

امتحان نقل السنة الثالثة من القسم الثانوى ــ الدور الأول
لسنة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م)

البلاغة — الزمن المحدود للاجابة : ساعتان

القواعد :

١ ــ اشرح التعقيد ، واذكر سببه مع التمثيل ، وبماذا ترد على من اشترط في فصاحة الكلام خلوصه من كثرة التكرار وتتابع الاضافات ، ولم كان كل بليغ فصيحا دون العكس . (٩ ــ ٤٠)

٢ ــ عرف وجه الشبه وبين التحقيقى منه والتخييلى مع التمثيل. واذكر الفرق بين وجه الشبه المركب ووجه الشبه المتعدد ، وبين لم وجب أن يكون الطرفان حسيين اذا كان الوجه حسيا ؛ ولم كان وجه الشبه العقلى أعم ، ولم لا يجوز أن يكون وجه الشبه فى قولهم (النحو فى الكلام كالملح فى الطعام) كون القليل مصلحا والكثير مفسدا ، وما وجه الشبه اذن فى قولهم هذا . (١٢ ــ ٤٠)

٣ ــ بين الفرق بين الاستعارة والمجاز المرسل ، واذكر مثالا فيه لفظ يصح أن يكون استعارة وان يكون مجازا مرسلا بحسب القصد مع بيان العلاقة اذا جعلته استعارة والعلاقة اذا جعلته مجازا مرسلا ، ومثل للاستعارة التى معناها متحقق حسا والاستعارة التى معناها متحقق عقلا ، وبين الاستعارة فى قول الشاعر « وسالت بأعناق المطى الأباطح » واذكر ما افادها اللطف والغرابة .

التطبيق :

١ ــ بين ما فى هذه الأبيات من البيان :

قال بشار :

وكأن رجع حديثها ... قطع الرياض كسين زهرا
حوراء ان نظرت اليـ ... ـك سقتك بالعينين خمرا
وتخال ما جمعت عليـ ... ـه ثيابها ذهبا وعطرا

(٦ ــ ٤٠)

٢ ــ مثل لما يأتى من انشائك :

كناية عن نسبة ــ مجاز مرسل علاقته الجزئية ــ استعارة مرشحة .
(٣ ــ ٤٠)

امتحان نقل السنة الثالثة من القسم الثانوى ــ الدور الثـانى
لسنة ١٣٦٨ هـ ــ ١٩٤٩ م

البلاغة — الزمن المحدود للاجابة : ساعتان

القــواعد :

١ ــ بين مخالفة القياس وضعف التاليف ومثل لهما واشرح تنـافر الكلمات ومثل له بمثالين احدهما أشـد تنافرا من الآخـر ٠
(٧ ــ ٤٠)

٢ ــ قسم التشبيه باعتبار الطرفين من حيث الأفراد والتركيب مع التمثيل لكل قسم ، وبين التشبيه المجمل والمفصل مع التمثيل ٠
(١٢ ــ ٤٠)

٣ ــ اشرح راى الخطيب والجمهـور فى الاسـتعارة بالكنـاية والاستعارة التخييلية واجر الاستعارة بالكناية على رأيهما مبينا قرينتها فى قول زهير :

صحا القلب عن سلمى واقصر باطله ... وعرى افراس الصـبا ورواحله
(١٠ ــ ٤٠)

التطبيق :

١ ــ بين ما فى الأبيات من البيـان :

قال ابو تمـام يعاتب أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى :

اذا ما الحاجة انبعثت يداها ... جعلت المنع منك لهـا عقـالا
فأين قصائد لى فيـك تأبى ... وتأنف ان اهـان وان اذالا
هى السحر الحـلال لمجتليه ... ولم ار قبلهـا سـحرا حـلالا
(٦ ــ ٤٠)

٢ ــ بين المجاز المرسل وعلاقته فيما يأتى :

قال تعالى : واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ٠ وقال تعالى : « قـد بدت البغضاء من أفواههم » ٠

وقال الشـاعر :

الا من راى الطفل المفارق امه ... بعيد الكرى عينـاه تنسكبان
(٥ ــ ٤٠)

امتحـان نقل السنة الثالثة من القسم الثانوى ــ الدور الأول
لسـنة ١٣٦٩ هـ ــ ١٩٥٠ م

البـلاغة **الزمن المحدود للاجابة : ساعتان**

القـواعد :

١ ــ عرف البلاغة فى الكلام واشرح التعريف ، مبينا معنى المطابقة، والحـال ، وبين الخـلاف فى مقتضى الحـال ، وهل يختلف معنى الحـال باختلاف معنى المقتضى والمطابقة وضح ما تقول بالمثال . (١٠ ــ ٤٠)

٢ ــ اشرح معنى اشتراك الطرفين فى وجه الشبه تحقيقا أو تخييلا مع التمثيل لما تقول ، ثم بين وجه الشبه فى قولهم (العلم كالنور) .
(٨ ــ ٤٠)

٣ ــ وضح تعريف المجاز المركب ، وبين هل يكون المجاز المركب غير استعارة ، وبأى شىء يمتاز عن التشبيه التمثيلى ، وضح ما تقـول بالمثال . (٧ ــ ٤٠)

التطبيق

١ ــ بين نوع الاستعارة فى المثالين الآتيين واجرها فيهما :
« رأيت اليوم خاتما » ، « بيدى لا بيد عمرو » . (٤ ــ ٤٠)

٢ ــ بين وجه الشبه والغرض من التشبيه فى الأمثلة الآتية :

قال الله تعالى « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحسد يأكل الحسـنات كما تأكل النار الحطب » .

وقال الشاعر :

والسـحب تلعب بالبروق كأنها
قـار على عجـل يقلب مصـحفا
(٥ ــ ٤٠)

٣ ــ هات أمثلة لما يأتى :

تشبيه مفروق ــ تشبيه تعدد فيه وجه الشبه ــ استعارة بالكناية ــ تعقيد معنوى ــ استعارة تبعية ــ كناية أريد بها صفة .

(٦ ــ ٤٠)

امتحان نقل السنة الثالثة من القسم الثانوى ـ الدور الثانى
لسنة ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م

البلاغة — الزمن المحدود للاجابة : ساعتان

القواعـد :

١ ـ عرف الغرابة ، وتنـافر الحروف ومثل لهما ، وبين ما يعرف به كل منهما ، ولم اشترط فى الفصاحة الخلو منهما ٠ (٨ ـ ٤٠)

٢ ـ اذكر أربعة من أغراض التشبيه ممثلا لكل منها ، وافرق بين التشبيه المركب والمتعدد ، والمفصل والمجمل ، مع التمثيل ٠ (٨ ـ ٤٠)

٣ ـ اذكر المراد من دخول الجامع فى طرفى الاستعارة ، وعـدم دخوله فيهما ، مع التمثيل لكل منهما ، وبين لأى قسم منهما مثل المصنف بالحديث الشريف (خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار اليها) وما الذى أورده الشارح عليه ، ثم أجر الاسـتعارة فى قوله تعالى : (وقطعناهم فى الأرض أمما) ٠

التطبيق

١ ـ ما الذى أخل بفصاحة الأمثلة الآتية :

قال الشاعر :

جفخت وهـم لا يجفخون بهابهم
شيم على الحسب الأغـر دلائـل

وقال آخـر :

جذبت نداه غدوة السبت جذبة
فخر صريعا بين أيدى القصائد

وقال آخـر :

ولو أن مجدا أخلد الدهر واحدا
من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

(٦ ـ ٤٠)

٢ ـ مثل لمـا يأتى :

تشبيه قريب تصرف فيه بما يجعله غريبا ـ تشبيه تمثيلى على مذهب السكاكى ـ استعارة مكنية مرشحة ـ مجاز مرسل علاقتـه اعتبار ما يئول اليه ٠

٣ ـ بين نوع الكناية فى البيت الاتى :

يشـــير اليك الجود من وجنـــاته
وينظر من اعطافه حين تنظر
(٤ ـ ٤٠)

امتحان نقل السنة الثالثة من القسم الثانوى ـ الدور الأول
لسنة ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م

البلاغة **الزمن المحدود للاجابة : ساعتان**

القواعد .

١ ـ (أ) اذكر الفرق بين التعقيد اللفظى والمعنوى ، وبين نوع التعقيد ووجه قول العباس بن الأحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا
وتكسب عينـــاى الدموع لتجمدا

(ب) ما المراد من الحال ، والمطابقة ، والمقتضى ؟ وضح ذلك بمثال من انشائك . (٨ ـ ٤٠)

٢ ـ بين المراد من التركيب فى وجه الشبه ثم قسم المركب الحسى باعتبار الطرفين مع التمثيل لكل قسم وبيان المشبه والمشبه به ووجه الشبه فى مثالين مما تذكر (١٢ ـ ٤٠)

٣ ـ (أ) وضح الفرق بين الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة ، ولم كانت المرشحة أبلغ منهما مع التمثيل لما تذكر .

(ب) اشرح كلا من الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية عنـد الخطيب ثم أجر الاستعارة فى قول الهذلى :

واذا المنيـة أنشـــبت أظفارهـــا
ألفيت كل تميمـــة لا تنفـــع
(٨ ـ ٤٠)

التطبيق :

١ ـ بين المشبه والمشبه به فى قول حافظ يصف اشراق الشـمس فى مصر واحتجابها فى ايطاليا :

شمسهم غادة عليها حجاب
فهى شرقية حوتهـــا الخدور
شمسنا غادة ابت أن توارى
فهى غربية جلاهـا الســـفور
(٤ ـ ٤٠)

٢ ـ أجر الاستعارة فى قول صفى الدين الحلى :

خلع الربيع على غصون البان
حللا فواضلها على الكثبان
(٢ ـ ٤٠)

٣ ـ مثل لما يأتى :

مجاز مرسل علاقته المحلية ـ تشبيه مبتذل تصرف فيه بما يجعله غريبا ـ استعارة تبعية مرشحة ٠
(٣ ـ ٤٠)

٤ ـ بين نوع الكناية فى قول الشاعر :

قـــوم ترى ارماحهم يوم الوغى
مشـــغوفة بمواطن الـكتمان
تعود بسط الكف حتى لو أنه
ثناها لقبض لم تطعه انامله
(٣ ـ ٤٠)

موضوعات الكتاب